المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

منبر الإسلام

السنة (٦٣) العدد (٨) شعبان ١٤٢٥ هـ - سبتمبر- أكتوبر ٢٠٠٤م -

غير مخصص للبيع

تحويل القبلة مغزاه ومعناه

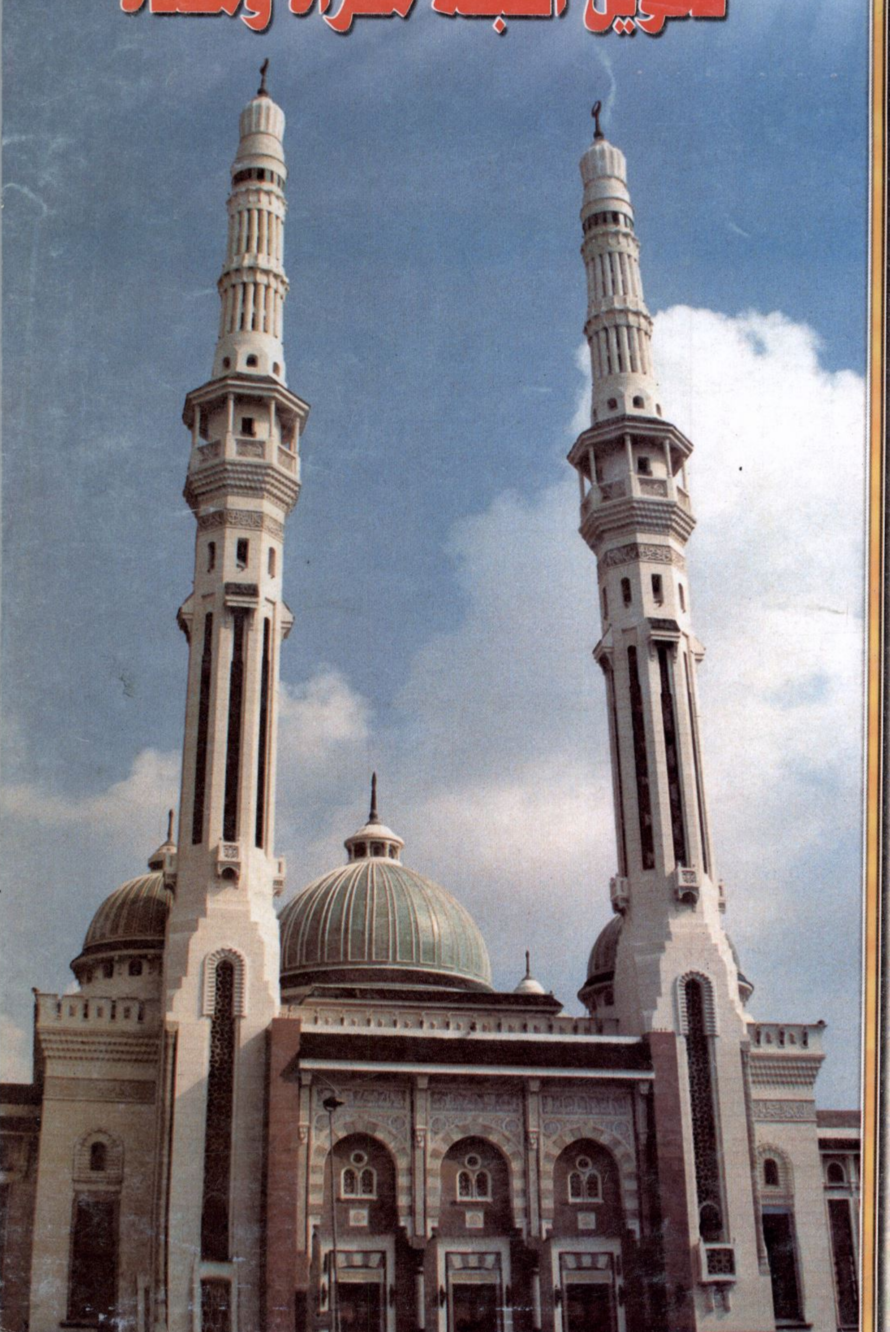

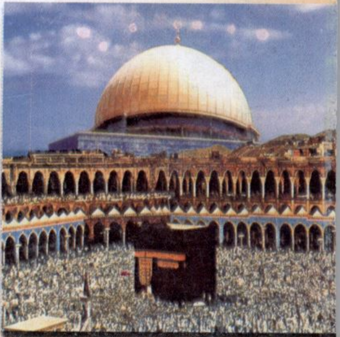

الضوابط الشرعية للاستمتاع بالطيبات

جولة نقدية لكتاب محمد ﷺ المثل الكامل

الإسلام وتنظيم الأسرة

منهج الجاحظ فى الدفاع عن القرآن الكريم

موقف الإسلام من الحرب والسلام

من محتويات العدد

□ تفسير سورة الحاقة
أ. د. محمد سيد طنطاوى
□ تحويل القبلة .. المغزى والحدث (حديث الشهر)
أ. د. عبدالصبور مرزوق
□ محاسن الإسلام ومزاياه فى تشريعات المرأة
أ. د. عبدالعظيم المطعنى
□ العمل ميدان الكسب ومحراب العبادة
فضيلة الشيخ محمد عبدالمجيد زيدان
□ موقف الإسلام من الحرب والسلام
فضيلة الشيخ شوقى عبداللطيف
□ أثر البيئة فى السلوك
أ. د. محمد شامة
□ الصحة أمانة.. الوقاية من سرطان المثانة
أ. د. عبدالمعبود عمارة
□ الإسلام ودوره فى التنمية الشاملة
أ. د. جمال رجب سيدبى
□ تحيا اللغة العربية ويرحم الله سيبويه
أ. د. محمد فتحى فرج بيومى

غلاف الشهر

● كان تحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام استجابة من الله لرسوله الذى أحب أن تكون قبلته ناحية البيت يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾

«اقرأ التفاصيل داخل العدد»

الاشتراكات

تطلب الاشتراكات من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ٩ ش النباتات - بجاردن سيتى - القاهرة.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٣٥ خمسة وثلاثون جنيها بجمهورية مصر العربية.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٣٥ خمسة وثلاثون دولارا أمريكيا للدول العربية والإفريقية
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٤٠ أربعون دولارا أمريكيا للدول الأوروبية
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٤٥ خمسة وأربعون دولارا أمريكيا فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وشرق آسيا
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٦٥ خمسة وستون دولارا أمريكيا فى أمريكا الجنوبية واستراليا واليابان.

المراسلات:

٩ ش النباتات بجاردن سيتى - القاهرة - تليفون: ٧٩٥٨٦٥٩ - ٧٩٤١٦٢٧ - ٧٩٥٨٦٦٤
تلغرافيا: منبر الإسلام - القاهرة

منبر الإسلام
تصدرها وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس مجلس الإدارة

الدكتور : **محمود حمدى زقزوق**

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير

الدكتور : **عبد الصبور مرزوق**

نائب رئيس المجلس

مجلس التحرير

الدكتور : **صوفى أبو طالب**

الدكتور : **أحمد كمال أبو المجد**

الدكتور : **أحمد هيكل**

كلمة التحرير

عزيزى القارئ

هذا عدد شهر شعبان الذى شهد حدثا من الأحداث العظام، فقد كان الرسول ﷺ يحب أن تكون قبلته ناحية البيت العتيق ويتطلع فى صلاته ناحية السماء فأنزل الله سبحانه وتعالى قوله: ﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾، فعندما صلى الرسول ﷺ مستقبلا الكعبة ومتحولا عن بيت المقدس كان أتباع الرسول ﷺ نماذج شامخة فى طاعة الأمر وتحولوا عن الهيئة التى كانوا عليها واستداروا راكعين إلى البيت الحرام بمكة المكرمة، وفى هذا تأكيد على ارتباط الأمة بإيمانها الذى امتلأت به قلوبهم فكان نعم العون لها فى مواجهة المواقف الصعبة وهو الطريق للخروج من المحنة بينما وقع أهل النفاق والريب والكفرة من اليهود فى ارتياب وزيغ عن الهدى وشك وتخبط.

هذا ما يقف عليه القارئ فى ثنايا هذا العدد. وكما تعودنا أن نقدم فى كل عدد كل ماهو جديد حول قضايا المجتمع الإسلامى من قضايا الأسرة والشباب والبيئة، ومحاولات تشويه جمال العربية لغة القرآن الكريم من دعاوى غير واعية تروج للتخلى عن الفصحى واستبدالها بالعامية. هذا إلى جانب علوم التفسير والحديث والشخصيات التى أثرت الدعوة الإسلامية والتى قادت حركة المقاومة الشعبية فى مقاومة الإحتلال من أجل الحرية والاستقلال، وفى جانب الدعوة نقدم الضوابط الشرعية للاستمتاع بالطيبات، والأخلاق فى الإسلام ودعوته إلى العمل والتنمية الشاملة هذا إلى جانب الأبواب التى تشترك معنا عزيزى القارئ فى تحريرها.

حديث الشهر

تحويل القبلة: المغزى والحدث

سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها

أ. د. عبد الصبور مرزوق

كان تحويل القبلة فى شعبان من بيت المقدس إلى البيت الحرام من الأحداث التى هزت المجتمع الإسلامى، وأتاحت فرصة لليهود كى يتساءلوا عن السبب لاسيما وأن الرسول ﷺ والمسلمين معه ظلوا يصلون إلى بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا، وأنه ﷺ كان يحب أن تكون قبلته ناحية البيت ويتطلع فى صلاته ناحية السماء فنزل قول الله تعالى: ﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾.

بينما قالت اليهود فيما أوضحه القرآن الكريم وسماهم السفهاء فى قوله: **﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها﴾**، فرد عليهم القرآن فى قوله سبحانه: **﴿قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم﴾**.

ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك

أما أبناء الإسلام من أتباع الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - فقد كانوا نماذج شامخة فى طاعة الأمر الإلهى الذى نزل على الرسول ﷺ، وكان لهم فى طاعته ما يستثير الإعجاب فعندما صلى الرسول ﷺ مستقبلا الكعبة، ومتحولا عن بيت المقدس خرج واحد ممن صلى مع الرسول ﷺ فمرّ على مسجد آخر تصلى فيه بقية الجماعة المسلمة فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ متجهين قبل مكة يعنى أن القبلة قد تحولت من بيت المقدس إلى البيت الحرام فى مكة.

وهنا تبدو الطاعة التى تستثير الإعجاب والتقدير حيث تحول المصلون على الهيئة التى كانوا عليها وهم ركوع فاستداروا

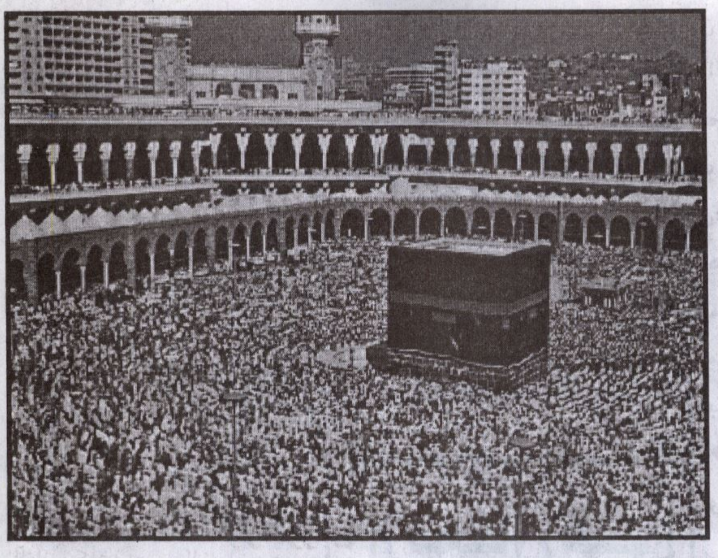

راكعين إلى البيت الحرام بمكة المكرمة.

***

وتقول المصادر: إنه لما أمر الرسول ﷺ باستقبال البيت الحرام بمكة خطب رسول الله ﷺ فى الناس يعلمهم بذلك وكانت أول صلاة صلاها إلى الكعبة هى صلاة العصر وذلك فى مسجد بنى سلمة ولذا سمى مسجد القبلتين.

وفى حديث نويلة بنت مسلم أن الخبر جاءهم بذلك وهم فى صلاة الظهر فتحول الرجال إلى مكان النساء والنساء إلى مكان الرجال.

هكذا والصلاة مستمرة.

***

وتقول المصادر: ولما وقع هذا حصل لبعض الناس من أهل النفاق والريب، والكفرة من اليهود ارتياب وزيغ عن الهدى وشك وتخبط وقالوا: ﴿**ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها**﴾، فأنزل الله جوابه: ﴿**قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم**﴾.

كما نزل قوله تعالى: ﴿**ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله**﴾ بمعنى أن الحكم والتصرف والأمر كله لله

تحويل القبلة تكريم من الله لرسوله واستجابة له

فحيثما وجهنا الله توجهنا فالطاعة هى الأساس والشأن كله فى امتثال أمر الله ولو وجهنا فى كل يوم إلى جهات عديدة فنحن عباده، ولله سبحانه وتعالى عناية عظيمة برسوله محمد ﷺ وبأمته حيث هداهم إلى قبلة خليل الرحمن إبراهيم ووجههم إلى بيته سبحانه فى المسجد الحرام.

***

ومن مظاهر هذه العناية بمحمد ﷺ وأمته أن جعلهم الأمة الوسط ليكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول ﷺ عليهم شهيدا. كما جاء فى قوله سبحانه: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا**﴾.

***

صنائع الإيمان فى طاعة المؤمنين

والوسط هنا بمعنى الخيار والأجود كما كان الرسول محمد ﷺ أى أشرفهم نسبا، وكما جاء عن الصلاة الوسطى وهى صلاة العصر التى جاء التنبيه القرآنى بالحفاظ عليها خاصة فى قوله تعالى: ﴿**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى**﴾.

ولأن أمة محمد ﷺ هى الأمة الوسط فقد أكمل الله شرعتها ومنهاجها وخصها بالخصوصيات المعروفة بأنها ليست خاصة بها وإنما هى إلى الناس كافة عبر الزمان وعبر كل مكان مما يؤكد عالميتها وختامها للرسالات.

وفى هذا يقول الحق سبحانه: ﴿**هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس**﴾ الحج: آية ٧٨.

وروى الإمام أحمد فى حديث له عن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «**يدعى نوح يوم القيامة فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم فيدعى قومه فيقال لهم: هل بلغكم؟ فيقولون ما أتانا من نذير وما جاءنا أحد فيقال لنوح عليه السلام من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته.**

***

وروى الإمام أحمد أيضا من حديث عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ أنه قال: «**يجىء النبى يوم القيامة ومعه الرجلان أو أكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال لهم: هل بلغكم هذا؟ فيقولون لا. فيقال له هل بلغت قومك فيقول نعم، فيقال له من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته ـ فيدعى محمد وأمته فيقال لهم: هل بلغ هذا قومه؟ فيقولون نعم، فيقال لهم وماعلمكم بهذا فيقولون: جاءنا نبينا محمد فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا، فذلك قوله تعالى: ﴿لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾**».

***

وهنا أقول:

إن الارتباط بين وسطية الأمة وبين ما جرى عند تحويل القبلة توضحه الآية الكريمة ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله**﴾ البقرة: آية ١٤٣.

فالآية فى صياغتها تؤكد أن هذا التحويل للقبلة والذى أطاعه المؤمنون كما أشرنا دقيقة الالتزام حتى كانوا يستديرون من ناحية الشام إلى ناحية الكعبة وهم ركوع لم يغيروا من هيئتهم شيئا. بينما استقبله اليهود واستقبله المنافقون بالشك وبالريب.

هذا الارتباط يؤكد أنه إذا ارتبطت الأمة بإيمانها وامتلأت قلوب أبنائها به فإنه يكون نعم العون للأمة فى مواجهة المواقف الصعبة التى تهتز فيها العزائم وتحار العقول.

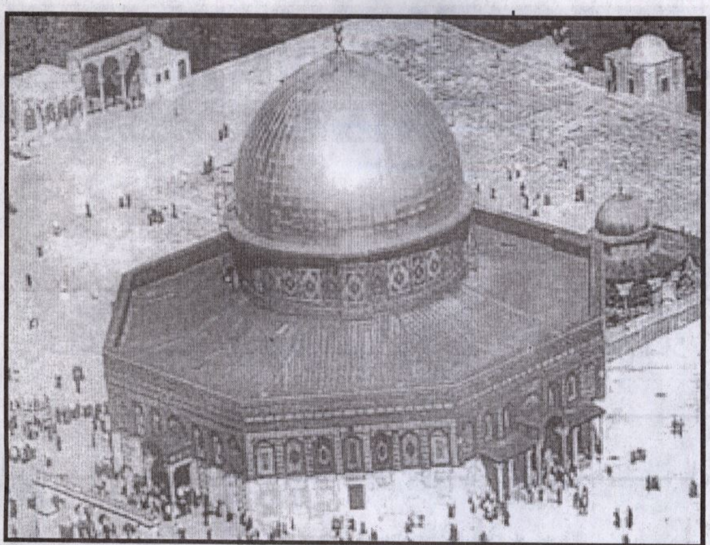

وهذا الارتباط ليس بجديد على أمة الإسلام التى كان الإيمان عبر تاريخها هو العاصم لها من الانهيار والضياع عبر مصاعب الأحداث.

***

ثم هو قبل هذا وبعده هو الطريق للخروج من المحنة ـ أى محنة بطمأنينة وثبات ـ الأمر الذى نراه فى زماننا من أقدس الواجبات التى على الأمة المسلمة فى شتى بقاعها مطالبة بالتزامه.

ثم أما بعد:

فنحن فى احتفالاتنا بتحويل القبلة ننبه كثيرا إلى ضرورة الضراعة إلى الله والدعاء أن يكشف عنا ما نحن فيه.

فما أحرانا ونحن نعيش واقعا بالغ الصعوبة كمسلمين، تتكالب علينا الأمم ليس فقط على أفرادنا وشعوبنا بل وعلى عقيدتنا وديننا.

ما أحرانا أن تكون دعواتنا يوم تحويل القبلة أن يصلح الله من أحوالنا وأن يلهم الصواب والرشاد قادتنا وأولياء أمور أمتنا أن يلتقوا من جديد لقاء الوحدة والاعتصام بحبل الله. لأن هذا وحده هو السبيل لحماية عقيدتنا مما يدبر لها من سوء ثم لحماية أمتنا من كتائب العدوان التى تتربص بها السوء.

الأمة الوسط والشهادة على الناس

***

وإذا كنت آمل أن تكون دعواتنا فى النصف من شعبان موجهة لإصلاح حال الأمة وحماية العقيدة فإنى أنبه إلى أن هذا الإصلاح لا تكفى فيه الدعوات مالم تقترن بالعمل الجاد والاتجاه الحق إلى إنقاذ الأمة وحماية العقيدة.

والله غالب على أمره.

انتظار المستحيل

شعر / حسن أبو الغيط

كـفّـوا عن الجـدل الطويل ... وعن انتظار المسـتـحـيل
لن تأخـذوا حـقًـا لكم ... منهم بلا ركض الخـيـول
لن تسـتـعـيدوا مالكم ... إلا بعـوْد للأصـول
لن تسـتطيـعـوا دونما ... عـمل بصف لا يمـيل

* * *

تتـصـورون تصـوراً ... وتحـلـلون بلا حـلـول
وتحـاولون تطـوراً ... من غـيـر ما عـمل جليل
هل تحـسـبـون عـدوكم ... برضـاه يعطى؟ يسـتـحيل
فلتـجـبـروه على الذى ... ترضـون أنتم.. ذا السـبيل

* * *

هـيـا اسـتـعـدّوا كلكم ... من بعـد مـا دقـوا الطبـول
دقـوا فـدقـوا مـثلهم ... مـتـوكلين على الوكـيل
لابد من حـرب هـنـا ... سـتـرونهـا عـمّـا قليل
كـفـوا وعن كل المنى ... إلا وأنتم بالخـيـول

* * *

مـاذا تخـافـون انطقـوا ... بالحـرب ذا صـمتُ ذليل
إن كـان غـول الحـرب يخـ ... ـشى فـالبديل أشد غـول
لكنّ غـول الحـرب يحـدو ... لانتـصـار أو وصـول
والنصـر يحلو والشـهـادة ... فلنكن عـزا يصـول

القرآن الكريم وعلومه

- تفسير سورة «الحاقة»
- «قل هل يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث»
- منهج الجاحظ فى الدفاع عن القرآن الكريم

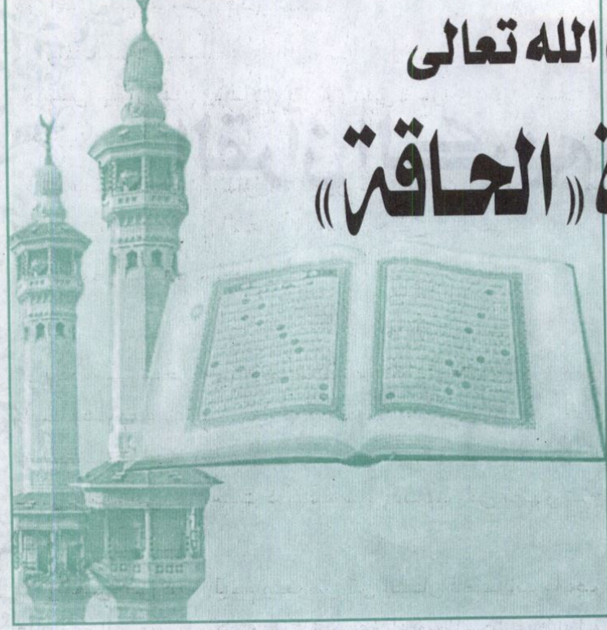

نظرات فى كتاب الله تعالى

تفسير سورة «الحاقة»

لفضيلة الإمام الأكبر
الدكتور / محمد سيد طنطاوى
شيخ الأزهر

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ
كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ
(١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ
فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢)
قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا
أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَأَمَّا مَنْ
أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ
كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا
لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي
مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ
فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي
سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢)
إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا
يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ
الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ
غِسْلِينٍ (٣٦) لَّا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ (٣٧) ﴾

الآيات: ١٩ ـ ٣٧

١ ـ بعد أن ذكر ـ سبحانه ـ فى الآيات السابقة جانبا من أهوال يوم القيامة، وبين ما تكون عليه الأرض والسماء والجبال فى هذا اليوم الذى لا تغنى فيه نفس عن نفس شيئا..

بعد كل ذلك جاءت هذه الآيات لتبين حال من أوتى كتابه بيمينه، وحال من أوتى كتابه بشماله فى هذا اليوم الشديد الأهوال.

وتلك عادة القرآن الكريم فى تهذيب النفوس، إنه ما تكلم عن المؤمنين وحسن عاقبتهم، إلا وأتبع ذلك بالحديث عن الفاسقين وسوء مصيرهم، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة..

وقد بدأ ـ سبحانه ـ هنا فى الحديث عن المؤمنين الصادقين وحسن مصيرهم فقال: **﴿فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه* إنى ظننت أنى ملاق حسابيه* فهو فى عيشة راضية* فى جنة عالية* قطوفها دانية* كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية﴾**.

٢ ـ والفاء فى قوله ـ سبحانه ـ: **﴿فأما من أوتى كتابه بيمينه..﴾** لتفصيل ما يترتب على العرض والحساب من جزاء، والمراد بكتابه: ما سجلته الملائكة لهذا الإنسان المؤمن الصادق

من أقوال طيبة، ومن أفعال حسنة.

والمقصود بيمينه: يده اليمنى، لأن من يُعطى كتابه بيده اليمنى، يكون هذا الإعطاء دليلا على فوزه وعلى نجاته من العذاب.

والعرب يذكرون التناول باليمين على أنه كناية عن الاهتمام بالشىء المأخوذ، وعن الاعتزاز به، ومنه قول الشاعر:

إذا ما رايةٌ رُفعت لمجدٍ

تلقاها عرابةُ باليمين

وقوله - سبحانه -: **﴿هاؤم اقرءوا كتابيه﴾**: جواب «أما». ولفظ **«هاؤم»** هنا: اسم فعل أمر، بمعنى خذوا. والهاء فى قوله - تعالى -: **كتابيه وحسابيه** وما يشبههما للسكت، والأصل: كتابى وحسابى، فأدخلت عليهما هاء السكت لكى تظهر فتحة الياء.

والمعنى: فى هذا اليوم يتعرض كل إنسان للحساب والجزاء على أعماله، ويتسلم كل فرد كتاب أعماله ويطلع عليه، فأما من أعطاه الله - تعالى - كتاب أعماله فى يده اليمنى على سبيل التكريم والتبشير، فيقول على سبيل البهجة والسرور هذا المؤمن الصادق لكل من يهمه أن يقول له: هذا هو كتابى فخذوه واقرءوه، فإنكم ستجدونه مشتملا على الإكرام لى، وعلى تبشيرى بالفوز الذى هو نهاية آمالى، ومحط رجائى.

٣ - ثم بين هذا الإنسان جانبا من الأسباب التى أدت إلى فوزه برضا ربه - عز وجل - فقال: **﴿إنى ظننت أنى ملاق حسابيه﴾**.

أى: إنى تيقنت وعلمت أن يوم القيامة حق، وأن الحساب والجزاء صدق، فأعددت للأمر عدته عن طريق الإيمان الكامل، والعمل الصالح، والقول الطيب، والسلوك القويم، والسير على الطريق المستقيم.

قال الضحاك - رحمه الله -: كل ظن فى القرآن من المؤمن فهو يقين، ومن الكافر فهو شك.

وهذه الجملة الكريمة بمنزلة التعليل للبهجة والمسرة التى دل عليها قوله - تعالى -: **﴿هاؤم اقرءوا كتابيه﴾**.

ثم بين - سبحانه - ما منحه لهذا المؤمن الصادق من مكرمات فقال: **﴿فهو فى عيشة راضية﴾**، أى: فهو فى حياة ذات رضا. أى: ثابت ودائم لها الرضا. أو فهو فى عيشة مرضية يرضى بها صاحبها ولا يريد التحول عنها.

وفى هذا التعبير ما فيه من الدلالة على أن هذه الحياة التى يحياها المؤمن فى الجنة، فى أسمى درجات الحبور والسرور، حتى لكأنه لو كان للمعيشة عقل، لرضيت لنفسها بحالتها، ولفرحت بها فرحا عظيما.

﴿فى جنة عالية﴾ أى: هذا المؤمن الصادق الذى أوتى كتابه بيمينه، يكون - أيضا - فى جنة مرتفعة على غيرها.

﴿قطوفها دانية﴾ أى: ثمارها قريبة التناول لهذا المؤمن الصادق، يقطفها كلما أرادها دون تعب ثم بين - سبحانه - ما تقوله الملائكة لهذا المؤمن الصادق فقال: **﴿كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية﴾**.

أى: وتقول الملائكة لهذا المؤمن الصادق الذى أعطى كتابه بيمينه، ولمن كان على شاكلته فى الاستقامة والطاعة لخالقه، تقول للجميع: كلوا أكلا طيبا، واشربوا شرابا هنيئا، بسبب ما قدمتموه فى دنياكم من إيمان خالص، ومن عمل صالح، ومن قول طيب، ومن سلوك حميد.

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - عند تفسيره لهذه الآيات: أى: يقال

لهم ذلك تفضلا عليهم، وامتنانا وإنعاما وإحسانا، وإلا فقد ثبت فى الحديث النبوى الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**اعملوا وسددوا وقاربوا، واعلموا أن أحدا منكم لن يدخله عمله الجنة، قالوا: ولا أنت يارسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل**».

٤ ـ وبعد أن بين ـ سبحانه ـ حسن عاقبة من أوتى كتابه بيمينه، اتبع ذلك ببيان سوء مصير من أوتى كتابه بشماله، فقال ـ تعالى ـ: **﴿وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه﴾**.

أى: وأما من أوتى كتابه من الجهة التى يعلم أن الإتيان منها يؤدى إلى هلاكه وعذابه، فيقول على سبيل التحسر والتفجع ياليتنى لم أعط هذا الكتاب، لأن إعطائى إياه بشمالى دليل عذابى وعقابى. **﴿ولم أدر ما حسابيه﴾** أى: ويقول ـ أيضا ـ وياليتنى لم أعرف شيئا عن حسابى، فإن هذه المعرفة التى لم أحسن الاستعداد لها، قد أوصلتنى إلى العذاب المهين.

﴿ياليتها كانت القاضية﴾ أى: ويقول كذلك هذا الشقى: ياليت الموت التى متها فى الدنيا، كانت هى الموتة النهائية التى لا حياة لى بعدها.

فالضمير للموتة التى ماتها فى الدنيا، وإن كان لم يجر لها ذكر، إلا أنها عرفت من المقام.

والمقصود بلفظ «القاضية»: القاطعة التى لا بعث بعدها ولا حساب.

قال قتادة ـ رحمه الله ـ: تمنى هذا الشقى الموت ولم يك عنده فى الدنيا شىء أكره منه، وشر من الموت ما يطلب منه الموت ثم أخذ هذا الإنسان الذى أوتى كتابه بشماله يتحسر على تفريطه وغروره، ويحكى القرآن ذلك فيقول: **﴿ما أغنى عنى ماليه* هلك عنى سلطانيه﴾**.

أى: تلك الأموال التى كنت أملكها فى الدنيا وأتفاخر بها لم تنفعنى شيئا، وذلك الجاه والسلطان الذى كنت أتمتع به فى الدنيا ذهب وزال ولم يبق منه شىء، وإنما ذهب أدراج الرياح وبقيت وحيدا.

٥ ـ وخلال هذا التفجع والتحسر الطويل يأتى أمر الله الذى لا يرد، فيقول ـ سبحانه ـ للزبانية المكلفين بإنزال العذاب بالكافرين: **﴿خذوه فغلوه﴾** أى: خذوا يديه فاجمعوها إلى عنقه.

فقوله ـ تعالى ـ: **﴿خذوه﴾** مقول لقول محذوف، وهو جواب عن سؤال نشأ عما سبق من الكلام، فكأنه قيل: وماذا يفعل بهذا الذى أوتى كتابه بشماله بعد هذا التحسر والتفجع؟ فكان الجواب: أمر الله ـ تعالى ـ ملائكته بقوله: **﴿خذوه فغلوه﴾**.

ولفظ **﴿فغلوه﴾** من الغُل ـ بضم الغين ـ وهو ربط اليدين إلى العنق على سبيل الإذلال والإهانة.

وقوله ـ سبحانه ـ: **﴿ثم الجحيم صلوه﴾** أمر آخر من الله للزبانية. أى: ثم بعد هذا التقييد والإذلال، اقذفوا به إلى جهنم، وهى النار الشديدة التأجج والتوهج، فاغمسوه فيها مرة بعد أخرى.

وقوله ـ عز وجل ـ: **﴿ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه﴾** أمر ثالث منه ـ عز وجل ـ لملائكته والسلسلة: اسم لمجموعة من حلق الحديد يربط بها الشخص لكى لا يهرب، أو لكى يزاد فى إذلاله وهو المقصود هنا ولفظ «**ذرعها**» بمعنى طولها. والمقصود بلفظ السبعين: حقيقة هذا المقدار من الطول. أو يصح أن يكون المقصود به المبالغة فى عظم طولها، كما فى قوله ـ تعالى ـ: **﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم..﴾**.

وقوله ـ تعالى ـ **﴿فاسلكوه﴾** من السَّلك بمعنى الإدخال فى

الشىء، كما فى قوله ـ سبحانه ـ ﴿ما سلككم فى سقر﴾ أى: ما الذى أدخلكم فيها؟

والمعنى: خذوا هذا الإنسان الشقى الذى أوتى كتابه بشماله فقيدوه، ثم أعدوه للنار المحرقة، ثم اجعلوه مغلولا فى سلسلة طولها سبعون ذراعا، بحيث تكون محيطة به إحاطة تامة، ثم اقذفوا به فى الجحيم وهو على تلك الحال المهينة.

ولفظ «ثم» فى كل آية من تلك الآيات السابقة جىء به للتراخى الرتبى، لأن كل عقوبة أشد من سابقتها، إذ إدخاله فى السلسلة الطويلة، أعظم من مطلق القائد فى الجحيم، كما أن إلقاءه فى الجحيم أشد من مطلق أخذه وتقييده.

وفى هذه الآيات ما فيها من تصوير يبعث فى القلوب الخوف الشديد، ويحملها على حسن الاستعداد لهذا اليوم، الذى لا تغنى فيه نفس عن نفس شيئا.

٦ ـ ثم بين ـ سبحانه ـ بعد ذلك الأسباب التى أدت بهذا الشقى إلى هذا المصير المؤلم المهين، فقال ـ تعالى ـ: **﴿إنه كان لا يؤمن بالله العظيم* ولا يحض على طعام المسكين﴾**.

أى: إن هذا الفاسق الشقى، إنما حل به هذا العذاب الشديد، وتلك المهانة التى لا مهانة بعدها، لأنه كان فى الدنيا مصرا على الإشراك بالله ـ عز وجل ـ وعلى عدم الإيمان بالله الواحد القهار، وكان كذلك لا يحث نفسه، ولا يحرض غيره، على بذل شىء من الطعام لأحد من المساكين الذين هم فى حاجة إلى العون والمساعدة.

ولعل وجه التخصيص لهذين الأمرين بالذكر: أن أقبح شىء يتعلق بالعقائد، هو الإشراك مع الله ـ تعالى ـ آلهة أخرى فى العبادة، وإن أقبح شىء فى الطباع، هو البخل وقسوة القلب، ومنع الخير عن المحتاج إليه.

ثم ختم ـ سبحانه ـ هذه الآيات بزيادة البيان للمصير الأليم لهذا الشقى فقال: **﴿فليس له اليوم هاهنا حميم* ولا طعام إلا من غسلين* لا يأكله إلا الخاطئون﴾**.

والمقصود باليوم هنا: يوم القيامة الذى يحاسب الله ـ تعالى ـ الناس فيه على أعمالهم.

والمراد بالحميم هنا: الصديق الذى يدافع عنه، أو القريب الذى يقف إلى جواره.

ولفظ «الغسلين» يطلق على صديد أهل النار، أو شجر يأكله أهل النار لا يسمن ولا يغنى من جوع.

ولفظ «الخاطئون» المقصود به أولئك الجاحدون الذين يتعمدون ارتكاب الذنوب ويصرون عليها، مأخوذ من قولهم: خطئ فلان، إذا تعمد ارتكاب الذنب.

ولذا قالوا: الخاطِئ هو من يرتكب الذنب عن تعمُّد وإصرار. والمخطئ: هو من يرتكب الذنب عن غير إصرار أو تعمد.

والمعنى: إن هذا الإنسان الشقى الذى أوتى كتابه بشماله، ليس له يوم الحساب والجزاء من صديق ينفعه، أو قريب يشفق عليه أو يحميه أو يدافع عنه، وليس له فى جهنم من طعام سوى شر الطعام وأقبحه، لأنه طعام لا يأكله إلا المرتكبون للفواحش عن تعمد وإصرار.

وهكذا نجد أن هذه الآيات الكريمة قد ساقت أشد ألوان الوعيد والعذاب، لكل كفار عنيد أوتى كتابه يوم الحساب بشماله، بعد أن بشرت المؤمنين الصادقين الذين أوتوا كتابهم بيمينهم بالجنات العالية، ذات القطوف الدانية.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعا من هؤلاء المؤمنين الصادقين.

﴿قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث﴾

أ. د. محمد محمد أبو ليلة

خلق الله تعالى الإنسان فى أحسن تقويم من حيث الصورة والتركيب وخلقه على الفطرة من حيث القابلية والاستعداد لعمل الخير والشر والميل إلى الخبيث أو الطيب ومن حيث القدرة على عمل هذا أو تجنب ذاك مع بذل الجهد ومحاولة الترجيح لأحد الطرفين على الآخر من جهة العبد.

يدور هذا المقال حول الأمر الإلهى لرسول الله ﷺ بإعلام الناس بأن الخبيث والطيب لا يستويان سواء كان ذلك فى الأعيان أو المقاصد أو الآثار فالطيب هو النافع والصالح من الأشياء وهو السلوك القويم والشعور بالأمن والطمأنينة والرضا عن الذات وحسن الرجاء فى الله - عز وجل - وقد أحل الله تعالى للناس الطيبات من الرزق وأمرهم بالسعى الطيب من خلال الوسائل الطيبة كذلك لتحصيلها والتنعم بها والحياة الطيبة هى أقصى غايات الإنسان على هذه الأرض، ناهيك عن الجنة وما فيها من طيبات تتجاوز طيبات الحياة الدنيا وصفا ونعيما وديمومة وتجردا من الآفات والعوارض.

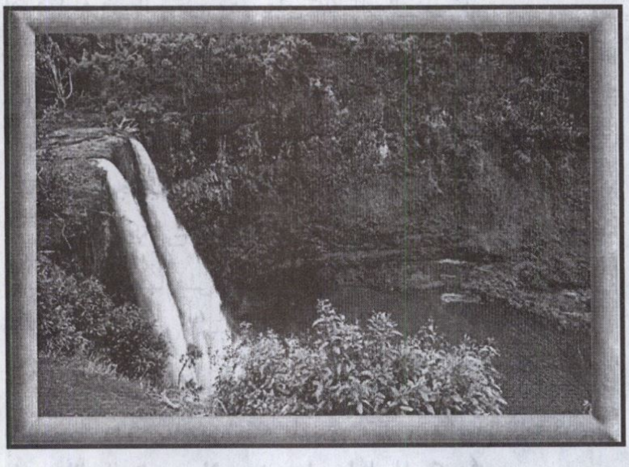

أما الخبائث التى لا يسعى إليها ولا يغتر بها إلا أصحاب الطبائع المنكوسة الجاهلين بمضارها وبعواقبها الوخيمة فإنها محرمة على المسلم **أولا:** لأنها بخلاف ما أمر الله به **وثانيا:** لأنها تضاد مصالح العباد وتلقى بهم إلى التهلكة فى الدنيا وفى الآخرة والخبيث مهما كثر ومهما شع بريقه ولمعت قشوره فإنه لا يعدو أن يكون استكثارا من أسباب الهلكة وتجميعا للسموم الزعاف القاتلة لذلك يحذر الله تعالى من الاغترار بالخبيث ولو كثر أو بالخبثاء وإن جمعوا وأوعوا وبنوا وشيدوا فمصير الخبيث ومصير الخبثاء نار جهنم **﴿ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم أولئك هم الخاسرون﴾** الأنفال: آية ٣٧.

وقد وردت كلمة خبيث فى القرآن سبع مرات:

﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنى حميد﴾ البقرة: آية ٢٦٧.

﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب..﴾ آل عمران: آية ١٧٩.

﴿ليميز الله الخبيث من الطيب..﴾ الأنفال: آية ٣٧.

﴿ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم أولئك هم الخاسرون﴾ الأنفال: آية ٣٧.

وورد بالمؤنث والمذكر على سبيل المثال:

﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات﴾ النور: آية ٢٦.

وورد مؤنثة فى قوله تعالى:

﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾ إبراهيم: آية ٢٦.

وورد مجموعة جمع تكسير فى قوله تعالى:

﴿الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ الأعراف: آية ١٥٧.

قبل أن نبين معنى «**خبيث**» نلفت النظر إلى أن الكلمة تأتى دائما مقرونة بمقابلها «**طيب**» أو «**طيبات**».

ولنعرف ما معنى «**الخبيث**» فى ميزان الشرع وفى ميزان الأخلاق:

«**الخبث**» و«**الخبيث**» هو النجاسة الحقيقية كما أن الحدث هو النجاسة الحكمية (التهانوى - كشاف ٢/ ١٧٩) وهو أيضا «ما يكره رداءة وخساسة سواء أكان أمرا محسوسا أو معقولا».

والردىء: ما كان باطنه تالفا أو به عطب وهو جار مجرى خبث الحديد وهو ما جاء فى حديث النبى ﷺ «**كما ينفى الكير خبث الحديد**».

وقول الشاعر:

سكبناه ونحسبه لجينا

فأبدى الكير عن خبث الحديد

و«**الخبيث**» بهذا المعنى يشمل كل باطل فى الاعتقاد أو فى الكلام أو فى الأفعال.

مهما كثُر الخبيث وشع بريقه ولمعت قشوره فإنه لا يعدو أن يكون استكثارا لأسباب الهلكة

ومن صفات هذا النبى الكريم الذى بشرت به الكتب ونبه عليه الأنبياء أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحل الطيبات ويحرم الخبائث. والمعروف: اسم جامع لكل فعل يعرف بالعقل أو بالشرع حسنه ومصلحته والمنكر: الضد من ذلك أى هو كل فعل أو قول أنكره الشرع والعقل السليم. وقد جعل الله تعالى خلق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من صفات المؤمنين أيضا يقول تعالى: **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾** آل عمران: آية ١١٠.

وقد حث الله تعالى على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على لسان لقمان فى وصيته لولده: **﴿يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر﴾** لقمان: آية ١٧.

وأمر تعالى به أمهات المؤمنين **﴿يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا﴾** الأحزاب: آية ٣٢.

وقال: **﴿لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل**

ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما﴾ النساء: آية ١١٤.

فقد وصف الأمر بإخراج الصدقة مع عمل المعروف يعنى العمل بالمروءة والإصلاح بين المتخاصمين والتأليف بين القلوب بأنه هو الخير الباقى.

ويقول تعالى: **﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾** التوبة: آية ٧١.

ومعنى **﴿ويحل لهم الطيبات﴾** أى يجعل كل شئ فيه مصلحة حلالا لهم بما فى ذلك أشياء حرمها الكفار وأهل الكتاب على أنفسهم من مأكول أو مشروب أو ملبوس أو منكوح **﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾** كأكل لحم الخنزير وشرب الخمر وأكل الربا وأكل أموال الناس بالباطل.

وقد سمى الله تعالى الخمر وما يصاحبها من محرمات بالرجس يقول تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون* إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾** المائدة: الآيتان ٩٠، ٩١. ووصفها النبى ﷺ بأنها أم الخبائث.

والقاعدة بالنسبة لهذا الحكم أن كل ما أحل ـ الله تعالى ـ لعباده فهو طيب ونافع فى الدين والدنيا وكل ما حرمه الله تعالى فهو خبيث ضار بدنيا وعقليا ونفسيا واجتماعيا.

﴿يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب* اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان..﴾ المائدة: الآيتان ٤، ٥.

﴿ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم﴾ الأعراف: آية ١٥٧، أى أن ما جاء به الإسلام من حلال ومن حرام فهو جار على قاعدة التيسير والسماحة.

يقول ﷺ: «**بعثت بالحنيفية السمحة**» والحنيفية السمحة هى دين التوحيد الخالص القائم على التيسير والتخفيف وقد قال الله تعالى: **﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾** البقرة: آية ٢٨٦.

﴿لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون﴾ الأنعام: آية ١٥٢.

توسطت عبارة **﴿لا نكلف نفسا إلا وسعها﴾** عدة وصايا وأوامر إلهية مهمة لصالح المجتمع الإنسانى كله ومن هذه الوصايا معرفة الحلال والحرام وعدم الإشراك بالله وبالبر بالوالدين وعدم قتل الأولاد يأسا من حصول الرزق أو خوفا من الفقر أو العار وعدم ارتكاب الفواحش الظاهر منها والخفى وعدم قتل النفس التى حرم الله إلا بحق يستوجب ذلك، هذا الحق يقرره الوالى وينفذه طبقا لأحكام الشريعة وليس بحكم العصبية والأهواء والمحافظة على أموال الأيتام وتنميتها لهم حتى يبلغوا سن الرشد وبتوفية الكيل والميزان وبإنفاذ العهد وإنجاز الوعد(٢).

وكل أمر فرضه الله تعالى على عباده أفرادا كانوا أو أسرا أو مجموعات عملا كان أو قولا فإنما راعى الشارع فيه جانب التيسير هذا بالإضافة إلى أن التكاليف الشرعية كلها تدور مع الطاقة حيث دارت فإذا قلت الطاقة قلت معها الفروض وحلت الرخص بل علقت بعض الأحكام

الخاصة بها حتى يصير الإنسان قادرا على أدائها.

قال ﷺ لأميريه ـ معاذ بن جبل وأبو موسى الأشعرى لما بعثهما إلى اليمن «**بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا وتطاوعا ولا تختلفا**».

ويقول: «**رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**».

ومما علم الله المسلمين أن يدعوا به ما جاء فى قوله تعالى: ﴿**ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين**﴾ البقرة: آية ٢٨٦.

وكلمة «**خبائث**» تشمل كل ما ينهى عنه الشرع ويعافه العقل الصحيح وينفر منه الطبع السليم فالرذائل والخسائس والموبقات وسائر المحرمات الشرعية من الخبائث .والله تعالى لا يحرم الصالح بدنيا أو عقليا أو نفسيا أو وجدانيا على الإنسان وإنما يحرم ما هو ضد وجوده وسعادته ﴿**قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون* قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**﴾ الأعراف: الآيتان ٣٢، ٣٣.

فعلى سبيل المثال نذكر أن مما حرمه الله على عباده اللواط وما شاكله من أعمال الشذوذ وانتكاس الطبع من الخبائث يقول تعالى عن نبيه لوط: ﴿**ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين**﴾ الأنبياء: آية ٧٤.

وقد ذكر الله تعالى أن القرية أو المدينة التى كان بها لوط عليه السلام قد أجمعت على عمل الخبائث واستحلت الشذوذ وهجرت ما أحل الله تعالى لها من النساء.

ومن الملاحظ أن هذه القرية وصفها الله تعالى بالقرية التى كانت تعمل الخبائث أو القرية الخبيثة وذلك فى مقابل الأرض التى وصفها الله تعالى بأنها مباركة ﴿**ونجيناه ولوطا إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين**﴾ الأنبياء: آية ٧١.

وقد عاقب الله تعالى القرية الخبيثة بأشد أنواع العذاب ﴿**ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين* قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين* ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين* إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون**﴾ العنكبوت: الآيات ٣١ ـ ٣٤، ﴿**ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون* أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون* فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون* فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين* وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين**﴾ النمل: الآيات ٥٤ ـ ٥٨، والقرية الخبيثة هى القرية غير المتوازنة ماديا وروحيا حيث تجعل المعاصى وعناصر الحياة فيها غير متكافئة.

ويصف الله تعالى البلدة الفاضلة بقوله: ﴿**والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه**﴾.. أى يخرج نباته طيبا مثله وذلك لطيب التربة المغروس فيها ﴿**والذى خبث لا يخرج إلا نكدا**﴾ الأعراف: آية ٥٨، يعنى أن الخبيث لا يتولد منه ولا ينتج عنه إلا كل خبيث والشىء من أصله مستمد ولأمراضه حامل.

وقد أمر الله تبارك وتعالى عباده أن يقولوا الطيب من القول، وأن يعملوا الطيب من العمل وأن

يختاروا الطيب ويفضلوه دائما على الخبيث والردىء من كل ذلك.

يقول تعالى: ﴿**وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا**﴾ النساء: آية ٢، ففى هذه الآية يأمر الله تعالى الأوصياء على اليتامى أن يؤدوا لهم أموالهم كاملة غير منقوصة إذا بلغوا الحلم وينهاهم عن أكلها وضمها إلى أموالهم ضيقا بالفقر وتعجلا للغنى عن طريق الحرام يأسا أن ينالهم الله بفضل من عنده. لقد استقلوا ما يأتى من الكسب الحلال الذى قدره الله تعالى لهم وغفلوا عن البركة التى يضعها الله فى القليل فيكثره ولم يرضوا بما قسمه الله لهم فحرموا لذة الشعور بالرضا والسكينة ومن يفعل ذلك فقد استبدل الحرام الذى مآله العار والفقر والنار بالحلال الذى مآله الشرف والعفة والغنى فى الحياة الدنيا والنعيم فى الحياة الآخرة.

وقد وصف الله تعالى أكل مال اليتيم ظلما «حوبا» أى إثما عظيما وخطأ جسيما وما درى هذا الغافل الطماع أن درهما واحدا من حرام كفيل بأن يقضى على قناطير مقنطرة من الذهب والفضة بل إنه على التحقيق يقضى مع ذهاب المال على الصحة والمروءة ويذهب بمحبة الناس له من القلوب. وإن الحرام ليخرب البيوت ويشتت الشمل ويجلب العقوق والشقاق وينزع الطمأنينة والسكينة من قلوب الخائنين والظالمين ويقسى قلوب الآخرين عليهم ويحرمهم لذة التنعم بما سرقوا وما انتهبوا من أموال الناس بالإثم ثم إنهم سوف ينتقلون من شقاء الدنيا إلى شقاء الآخرة.

وفى سورة المائدة يخبرنا الله تعالى أن الخبيث والطيب لا يستويان عينا أو فعلا أو قصدا إذ يقول تعالى: ﴿**قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث**﴾ المائدة: آية ١٠٠، وهذه الآية الكريمة التى هى موضوع هذا المقال فالخبيث من القول أو الفعل أو العمل لا يستوى بالطيب من هذه الأمور كلها البتة وإلا ضاعت القيم واستوى الخير والشر والعدل والظلم والحق والباطل.

يقول تعالى: ﴿**وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد**﴾ الحج: آية ٢٤. ﴿**إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه**﴾ فاطر: آية ١٠. ﴿**ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء* تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها**﴾ إبراهيم: الآيتان ٢٤، ٢٥.

وشجرة الكلمة الخبيثة تكون ثمارها المرة والضارة نفاقا وكذبا وتزويرا وتضليلا أو تقريرا كاذبا مزوقا أو فنا أو أدبا هابطا أو دعاية رخيصة أو دعوة إلى الإباحية والإلحاد ونبذ الدين وقد تكون تقبيحا للمتدينين وللدعاة إلى الفضيلة وإلى القيم والعوائد الصالحة وقد تكون الكلمة الخبيثة تحريضا على ضرب استقرار المجتمع أو الاعتداء على ثرواته وقد تكون غشا واختلاسا أو رشوة أو تعطيلا لمصالح العباد والشجرة الخبيثة يغذيها عادة النفاق والغش وأكل حقوق الناس والعبث بمقدراتهم .والكلمة الخبيثة تكون دائما مقرونة بفعل خبيث وغاية خبيثة ولذلك قرن رسول الله ﷺ بين يد الإنسان ولسانه فى عمل الشر وفى عمل الخير.

عن أبى موسى قال: قلت يا رسول الله: أى المسلمين أفضل قال: «**من سلم المسلمون من لسانه ويده**» رواه البخارى ومسلم والنسائى، وفى حديث آخر قرن ﷺ بين اللسان والفرج فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يضمن لى ما بين لحييه** (فكيه والمقصود لسانه) **وما بين رجليه** (يعنى فرجه) **أضمن له الجنة**» رواه البخارى والترمذى.

وإن الله تبارك وتعالى قد ميز الخبيث من الطيب وحذر من الاغترار بكثرة الخبيث أو زهوته

أو بريقه أو بالمتع الزائفة التى يتمتع بها الخبثاء وذلك لأنه محكوم عليهم بالخسارة فى الدنيا والآخرة .يقول تعالى بالإضافة إلى الآيات السابقة: **﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون* ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم أولئك هم الخاسرون﴾** الأنفال: الآيتان ٣٦، ٣٧.

وعن جابر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«من اقتطع مال امرئ مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار»**. قيل يا رسول الله: وإن كان شيئا يسيرا قال: **«وإن كان سواكا»**.

أما العمل الصالح والرزق الحلال فإنه يضمن الحياة الطيبة يقول تعالى: **﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾** النحل: آية ٩٧، هذه الحياة الطيبة فى الدنيا إنما هى بداية لحياة أطيب فى الآخرة وامتداد لها.

أما الذين تمرغوا فى أوحال الحرام وتدنسوا بنجس الخبائث فيقول تعالى فى حقهم: **﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون﴾** الأحقاف: آية ٢٠.

هذا إخبار مسبق من الله تعالى عما سيحدث وعما سيقال للكفار عند عرضهم على النار يقال لهم: إنكم استنفدتم كل ما لكم فى الدنيا لقد خبطتم فى متعها خبط البهائم لم تميزوا بين ما يضر منها وما ينفع أكلتم وشربتم ولبستم وسكنتم وركبتم وتحكمتم فى عباد الله بأهوائكم وتكبرتم عليهم بالحرام الذى اقتنصتموه وبالشرف الذى سرقتموه ثم ادعيتموه ولم ترعوا حق الله فى أمر ولا نهى ولا ندمتم ولا تبتم حتى جاءكم الموت وأنتم فى أوضاعكم المخزية فأنزلكم من بروجكم المشيدة وجذبكم بعنف إلى عالم الظلمة والحسرة والوحشة فلم تنفعكم أموالكم ولا أغنت عنكم أهلوكم من الله شيئا ولم تخدع الموت عنكم إذ جاءكم مظاهر الحياة التى كنتم تعيشونها وتستميتون إليها ولم ينفعكم كذلك رفقاء السوء بل إنهم عادوكم وولوكم الأدبار كأنهم لم يعرفوكم. جاءكم الموت دون استئذان وضربكم على حين غرة بعد أن كنتم تضربون وجوه الناس وأبشارهم وتسخرون منهم لمجرد أنهم لم يكونوا أمثالكم نصبا واحتيالا وذكاء فى الشر وحيلة فى المراوغة. ذوقوا أيها المستكبرون العذاب الذى هو من جنس ما عذبتم به الناس ومن عومل بمثل ما عامل به الآخرين من الظلم والشر فما ظلم ولا بخس **﴿ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون﴾** الأحقاف: آية ١٩.. **﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾** فصلت: آية ٤٦، وللخبيث من الناس مهما طالت حياته واتسعت فى الظلم جولاته وصولاته مصير سيئ ينتظره **﴿ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين* ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم* ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير﴾** آل عمران: الآيات ١٧٨ ـ ١٨٠.

يأمرنا الله تعالى أن نأكل من الرزق الحلال ولكن دون إسراف أو تبذير **﴿يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾** الأعراف: آية ٣١، فما بالنا بمن يبتلع الحرام ولا تنغلق له شهوة دون شىء منه يقول

تعالى: **﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى﴾** طه: آية ٨١، ويقول تعالى: **﴿كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون﴾** يونس: اية ١٢، حتى الإنفاق من المال الحلال ينبغى ألا يتجاوز الحد الشرعى **﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾** الفرقان: آية ٦٧، والقوام هو التوسط والاعتدال فى الأمور كلها وهما بمنزلة القلب للإسلام ويأمرنا الله بالأكل من الحلال الطيب **﴿ياأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا﴾** البقرة: آية ١٦٨، **﴿وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا﴾** المائدة: آية ٨٨. **﴿فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت الله إن كنتم إياه تعبدون﴾** النحل: آية ١١٤. ووصف الحلال بأنه طيب له دلالة خاصة وهى أن ما أحل الله لنا مفيد للجسم والعقل والنفس وينبغى أن ينفق الإنسان من الطيب الذى يحبه **﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنى حميد﴾** البقرة: آية ٢٦٧، ومعنى «**طيبات ما كسبتم**» أى أنفقوا مما كسبتم من حلال والحلال يعنى كل ما حصله الإنسان نتيجة عمل واجتهاد أو ساقه الله تعالى إليه على وجه شرعى فضلا منه ونعمة .يتبين ذلك من قوله تعالى: **﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شىء فإن الله به عليم﴾** آل عمران: آية ٩٢، والبر فى الآية هو الثواب والمعاوضة الربانية المشفوعة بالرضا والتوفيق وبالراحة النفسية والبر أيضا يعنى كل أعمال الخير والتقوى. عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا**» الحديث.

إن الكلمة الطيبة صدقة وسبب من أسباب التواد والتحاب بين الناس وتأسيس الحق والعدل والدفاع عن المظلوم وبالكلمة الطيبة بمعناها الأوسع والأشمل تعمل على تذكير الغافل ورد الضال إلى الله تعالى وقد علمنا الله تعالى قيمة الكلمة الطيبة بقوله تعالى: **﴿وقولوا للناس حسنا﴾** البقرة: آية ٨٣، **﴿وقل لهما قولا كريما﴾** الإسراء: آية ٢٣، **﴿ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون* يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾** الحجرات: الآيتان ١١، ١٢. **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾** النحل: آية ١٢٥.

روى البزار من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رجل للنبى ﷺ: علمنى عملا يدخلنى الجنة. قال: «**أطعم الطعام وأفش السلام وأطب الكلام وصل بالليل والناس نيام تدخل الجنة بسلام**».

والكلام الطيب ينبغى أن يقترن به الرفق وطلاقة الوجه أما الكلام الخبيث فهو أس الشرور وقد تكون الكلمة أداة قتل ووسيلة هدم وكذبا وزورا وسببا فى تضييع الحقوق وطريقا إلى الأمر بالمنكر والنهى عن المعروف والتحريض على الكفر والشر.

الرزق الطيب والمرأة الطيبة والذرية الطيبة والريح الطيبة والمقام الطيب كل ذلك من أجل نعم الله على عباده وكل هذه النعم تستوجب الشكر وتستدعى المحافظة عليها.

الهوامش:

١ ـ المائدة ١٠٠.

٢ ـ الراغب الأصفهانى: مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٧٢ وبصائر ذوى التمييز٢/٥٢٢: والأبشيهى: المستطرف ٣٨/١.

٣ ـ اقرأ الآيات (١٥١: ١٥٢) من سورة الأنعام

منهج الجاحظ فى الدفاع عن القرآن الكريم

د/ عبدالرحيم الكردى

عاش الجاحظ فى النصف الأول من العصر العباسى (١٥٠ ـ ٢٥٥هـ) وهو العصر الذهبى للحضارة الإسلامية، وكان الجاحظ درة هذا العصر، ذكاء وعلما وثقافة، فهو زعيم البيان العربى، وقطب من أقطاب علم الكلام، ألف زهاء ثلاثمائة وستين مؤلفا، تميزت بالابتكار والإبداع والطرافة، وتنم عن معرفة واسعة بالثقافات التى عرفها أبناء عصره.

هذا العالم الموسوعى الجليل كان يفهم آيات القرآن الكريم فهما خاصا، يعتمد على الفطنة الشديدة الحساسية لدقائق المعانى، وعلى الخبرة العميقة بدلالات الأساليب اللغوية، فلم يرض عن التفسيرات الساذجة التى كان يذيعها فريق من المفسرين بين الناس، ولم يرض عن التأويلات المغلوطة التي يستخدمها الطاعنون على القرآن، من أصحاب الملل الضالة، فانبرى للدفاع عن القرآن الكريم ضد هؤلاء وأولئك فكشف عن جهلهم باللغة، وعدم استواء منطقهم، وفضح دوافعهم، التى تتمثل فى الرغبة فى إرضاء أذواق العامة بالنسبة للمفسرين، وفى اتباع الضغائن والكراهية والحقد الدفين على الإسلام لدى الطاعنين.

لم يستخدم الجاحظ أساليب الدعاية والوعظ ولا أساليب التشهير، ولم يعتمد حتى على أساليب السخرية التى برع فيها وامتلك ناصيتها، بل استخدم منهجا علميا منضبطا فى الرد على هؤلاء وأولئك، هذا المنهج العلمى يعتمد على ثلاثة أركان هى:

أ ـ اللغة، ب ـ العقل، ـ جـ ـ الرواية.

رفض الجاحظ التأويلات المغلوطة التى يستخدمها الطاعنون على القرآن من أصحاب الملل الضالة وكشف عن جهلهم باللغة

هذا المنهج القائم على هذه الأركان الثلاثة فى فهم كتاب الله، كانت له جذور فى مناهج الفقهاء المجتهدين، من أمثال أبى حنيفة ومالك والشافعى، فقد كانوا يستخدمون اللغة والعقل والرواية فى فهم الآيات التى يستنبطون منها الأحكام الفقهية، لكن استخدام الجاحظ لهذا المنهج أسفر عن نظريات ثلاث تتعلق كل منها بركن من هذه الأركان الثلاثة، ففى المجال الأول مجال اللغة شيد الجاحظ نظرية فى البيان العربى لأول مرة، وفى المجال العقلى كان الجاحظ صاحب رؤية ومذهب خاص به فى التفكير والتعليل عرف باسمه «الجاحظية»، وفى مجال الرواية أقام الجاحظ بناء نظرية فى الإعجاز القرآنى بالتعاون مع النظام عرفت بالصَّرْفة.

أولا: نظرية البيان:

يرى الجاحظ أن البيان هو وضوح الدلالة، وأن الدلالة يمكن أن يعبر عنها بأدوات أخرى غير اللغة، مثل الإشارة

والخط والحال، لكن اللغة هى أعظم وسيلة منحها الله للإنسان لكى يبين عن أفكاره ومشاعره، ويرى أن البيان منحة عامة فى كل لغات البشر، ولدى كل الأجيال، فالعربى يوصف بالبيان فى لغته، والفارسى والرومى يوصفان أيضا بالبيان فى لغتيهما.

ويرى أن العرب فى جاهليتهم كانت لهم طرق خاصة فى استخدام اللغة، وفى التعبير عن المعانى، هذه الطرق كانت معروفة بالسليقة والفطنة لدى العرب الفصحاء، وكانوا لا يحتاجون إلى قواعد خاصة لمعرفتها، فلما فسدت الأذواق احتاج الناس إلى قواعد يعرفون بها طرق أداء المعنى، هذه القواعد تشبه قواعد النحو لكنها ليست هى، بل هى قواعد أخرى أكثر صعوبة وأوسع مدى، إنها «البيان العربى» الذى يحاول استقصاء أساليب العرب فى أداء الدلالات وكيفية وضع الألفاظ، وما يتصل بها من أطياف المعانى، فعلى سبيل المثال يرى الجاحظ أن الناس يفهمون كلمة (طَيِّب) على أنها تؤدى معنى واحدا، لكن المتتبع للبيان العربى يلاحظ أن العرب إذا قالوا: «ماء طيب» فيريدون أنه عذب وإذا قالوا: شعير طيب، أو بُرٌّ طيب فإنما يريدون أنه وسط وأنه فوق الدُّون، ويقولون «ريح طيب» أى أنه خال من النَّتَن، ويقولون: طاب لك الشىء.

ويروى الجاحظ فى ذلك أن طُوَيْسًا المغنى قال لبعض ولد عثمان بن عفان: «لقد شهدت زفاف أمك المباركة إلى أبيك الطيب يريد الطاهرة».

يقول الجاحظ: «ولو قال: شهدت زفاف أمك الطيبة إلى أبيك المبارك لم يحسن ذلك، لأن قولك طيب إنما يدل على قدر ما اتصل به من الكلام وقد قال الشاعر: والطيبون معاقد الأُزُرُ.

استخدم الجاحظ منهجا علميا منضبطا فى الرد على أصحاب الملل الضالة اعتمد على اللغة والعقل والرواية

وقد يخلو الرجل بالمرأة فيقول: وجدتها طيبة، يريد: طيبة الكَوْم، وإذا قالوا: فلان طيب الخلق فإنما يريدون الظّرف والمِلْح» (ص٥٩ جـ٤ الحيوان).

ويرى الجاحظ أيضا أن القرآن الكريم كما جاء بلغة العرب لفظا وصوتا فإنه نزل أيضا حسب البيان العربى، واستخدم الأساليب نفسها التى استخدمها العرب الجاهليون فى وضوح الدلالة، بل تنوع بيانه حسب تنوع البيان العربى، فهو إذا خاطب الأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحى والحذف وإذا خاطب بنى إسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطا وزاد فى الكلام (ص٩٤ جـ١ الحيوان).

من ثم فإن فهم آيات القرآن الكريم يتوقف على الخبرة بأساليب العرب، وأن من يتعرض لتفسير آية من آيات الله دون علم بهذه الأساليب فقد أخطأ، ويضرب الجاحظ أمثلة كثيرة لجهل مشهورى المفسرين فى عصره، من أمثال: عِكْرمة والكلبى والسُّدى والضحاك ومقاتل بن سليمان وأبو بكر الأصم وزيد بن

أسلم. كما يضرب أمثلة كثيرة أخرى لجهل أصحاب الملل الطاعنين فى القرآن بهذه الأساليب من ذلك مثلا: أن زيد بن أسلم يزعم فى قول الله تعالى: ﴿**والتين والزيتون**﴾ أن التين «دمشق» وأن الزيتون «فلسطين». يقول الجاحظ: «وما تعرف دمشق إلا بدمشق ولا فلسطين إلا بفلسطين (ص٢٠٨ جـ١ الحيوان).

ومن ذلك أيضا، طعن طائفة من أصحاب الدهرية فى قول الله تعالى: ﴿**حُرِّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير**﴾ قالوا: إن الله ذكر الميتة كلها والدم كله ولم يذكر من الخنزير إلا لحمه، فكيف تحرمون الشحم والعرق والمخ والرأس.

يقول الجاحظ فى ذلك: «العرب تقول للرجل الصانع نجارا وإن كان لا يعمل بالمثقب والمنشار، وتسميه خبازا إذا كان يطبخ ويعجن، وتقول: هؤلاء بنو فلان وإن كان نساؤهم أكثر من الرجال.. وإن للناس عادات وكلاما يعرف كل شىء بموضعه، وإنما ذلك على قدر استعمالهم له وانتفاعهم به، وقد يقول الرجل لوكيله: اشتر لى بهذا الدينار لحما أو بهذه الدراهم، فيأتيه باللحم فيه الشحم والعظم.. ولو أن رجلا قال: أكلت لحما وإنما أكل رأسا أو كبدا أو سمكا لم يكن كاذبا، وللناس أن يضعوا كلامهم حيث أحبوا» (ص٧٤ جـ٤ الحيوان).

ومما ينتمى إلى ذلك أيضا، أنهم طعنوا فى قول الله تعالى: ﴿**والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع**﴾ النور: آية ٤٥، وقالوا: كيف يكون المشى على البطن، وما علمنا أن المشى يكون إلا بالأرجل.

يقول الجاحظ: فى هذا الذى جهلتموه ضروب من الجواب أما وجه منه فهو قول القائل وقول الشاعر: «ماهو إلا كأنه حية» «وكأن مشيته حية» يصفون ذلك ويذكرون عند مشيته الأيم والحباب وذكور الحيات، ومن جعل للحيات مشيا من الشعراء أكثر من أن نقف عليهم» (ص٢٧١ جـ٤ الحيوان).

كان الجاحظ صاحب رؤية ومذهب خاص به في التفكير والتعليل عرف بـ«الجاحظية»

ومثل ذلك أيضا قولهم فى قوله تعالى عن النحل: ﴿**يخرج من بطونها شراب**﴾: إن العسل لم يدخل للنحلة فى بطن قط، كما أن ما تفرزه النحلة ليس شرابا بل يكون كذلك عندما يمزج بالماء.

يرد الجاحظ على هؤلاء بأنهم يجهلون أساليب العرب فى التعبير عن المعانى فهم يسمون الشىء باسم الشىء المجاور له، وباسم ما كان وما يكون، يقولون نزل السماء ويريدون المطر، ويقولون رعينا السماء ويريدون العشب، ويقولون أعصر خمرا ويريدون العنب، ثم ينهى حديثه عن ذلك بقوله: «ومن حمل اللغة على هذا المركب لم يفهم عن العرب قليلا ولا كثيرا وهذا الباب هو مفخر العرب فى لغتهم وبه وبأشباهه اتسعت» (ص٤٢٦ جـ٥ الحيوان).

ثانيا: الجاحظية:

كان الجاحظ أحد زعماء المعتزلة ورأس فرقة عرفت باسمه هى «الجاحظية» وكان يعتقد فيما كان المعتزلة يعتقدون به مثل إعلاء شأن العقل، وحرية الإرادة وخلق القرآن، والعدل، والتوحيد، وانفرد بأمور أخرى كالقول بالطبع والكمون، وتعادل قوى الطبيعة وغير ذلك.

وقد ظهر أثر اعتناق الجاحظ جليا فى فهمه لمعانى القرآن الكريم، خلال تحكيمه للعقل فى كل معنى، وخلال قدرته الفائقة على دحض مفتريات الطاعنين على القرآن فلم يقبل عقل الجاحظ قول الجهمية، وابن حائط: إن الوزغة يجب قتلها لأنها كانت تضرم النار على إبراهيم عليه السلام.

يقول الجاحظ: «إن الوزغة التى تقتلها على أنها كانت تضرم النار على إبراهيم أهى أم من أولادها، فمأخوذة هى بذنب غيرها؟ أم تزعم أنه فى المعلوم أن تكون تلك الوزغة لا تلد ولا تبيض ولا تفرخ إلا من يدين بدينها ويذهب مذهبها» (ص٢٨٧ جـ٤ الحيوان).

ولم يقبل عقل الجاحظ قولهم بأن الوطواط والضفدع والعقرب والحية فيهم عصاة وفيهم طائعون، ولم يقبل عقله قول المفسرين أن السنور خرج من عطسة الأسد فى سفينة نوح، ولا قولهم إن الخنزير خرج من سلح الفيل. ولم يقبل قولهم بأن الله قد شق لسان الحية لأنها حملت إبليس عند غوايته لآدم فى الجنة، ولا يقبل عقله قول ابن حائط وناس من جهال الصوفية بأن فى النحل أنبياء، لقوله تعالى: **﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾**، ويعجب الجاحظ من منطقهم المعوج وعدم فهمهم للآية ثم يقول: «فإن كنتم مسلمين فليس هذا قول أحد من المسلمين، وإلا تكونوا مسلمين فلم تجعلون الحجة على نبوة النحل كلاما هو عندكم باطل؟» (ص٤٢٤ جـ٥ الحيوان).

يرى الجاحظ أن فهم آيات القرآن الكريم يتوقف على الخبرة بأساليب العرب ومن يتعرض للتفسير بدونها فقد أخطأ

كما يرد الجاحظ على الدهرية طعنهم فى قوله تعالى: **﴿واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر إذ يعدون فى السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم﴾** الأعراف: آية ١٦٣، إذ يرون أن مجىء الحيتان فى مواعيد معينة ليس فيه إعجاز أو غرابة، فيقول الجاحظ لهم، لو كان قال: تأتيهم صيفا أو شتاء لكان كما تقولون، لكن يوم السبت ليس من متعلقات تقلب الطبيعة ودورانها، فهو يأتى صيفا وشتاء وربيعا، لذلك فإن العلاقة بينه وبين هجرة الأسماك والطيور منفكة.

وهكذا يستخدم الجاحظ عقله فى فهم النص، ويحكمه فى صواب معناه أو فى خطئه، وهذا لا يكون إلا من رجل كالجاحظ.

ثالثا: الصَّرْفة

أما الأمور التى لا يجد لها الجاحظ سندا

من التفسير اللغوى، أو من البرهان العقلى، ولا يمكنه انكارها لورودها فى القرآن الكريم أو فى الأخبار المتواترة فإنه يقول فيها: «بالصَّرْفة».

والمقصود بالصَّرفة. أن الله تعالى قد صرف أوهام أناس عن رؤية أشياء ظاهرة لهم لغاية وحكمة إلهية وتدبير ربانى.

وقد استخدم الجاحظ هذه النظرية فى الرد على الدهرية الذين طعنوا فى قصة سليمان وبلقيس، وفى قصة يوسف، وفى قصة موسى، وطعنوا فى الآيات التى تتحدث عن رجم الشياطين.

قالوا: زعمتم أن الله تعالى أعطى سليمان مُلكا على الجن والإنس والطير والريح، ثم زعمتم - وهو إما بالشام وإما بسواد العراق - أنه لا يعرف باليمن ملكة هذه صفتها، وملوكنا اليوم دون سليمان فى القدرة ولا يخفى عليهم ملك فى مشارق الأرض أو مغاربها، حتى يأتيه طائر ضعيف الطيران فيخبره بذلك، وقالوا مثل ذلك فى يوسف وهو وزير ملك مصر، ولا يعرف كيف يصل إلى أهله ولا يعرف مكانهم، ومثل ذلك بالنسبة لموسى ومعه أمة من الأمم يظلون أربعين سنة يتسكعون فى أرض التيه لا يستطيعون منها خروجا، وكانت من قبل ملاعبهم وطرق تجارتهم؟! ومثل ذلك قالوه فى الشياطين الذين يعرفون أنهم لايصلون إلى السمع فى السماء، ثم يعرضون أنفسهم للموت عن طريق الشهب حتى يوم القيامة. كأنهم بلهاء، وهم من هم كيدا ومكرا وشغفا بالأخبار.

يرد الجاحظ على كل ذلك بقول واحد، وهو أن الله تعالى قد صرف أوهام سليمان ويوسف وبنى إسرائيل وموسى. كما صرف أوهام الشياطين لحكمة إلهية، ولتدبير ربانى، ومثل ذلك صرف أوهام الجن عن معرفة موت سليمان حتى يبين أنهم لا يعلمون الغيب، ومثل ذلك أيضا صرف أوهام العرب عن معارضة القرآن، فلم يحاولوا - ولو بكلام سخيف - أن يتحدوه.

أمام تزايد المطاعن الموجهة للقرآن وشراستها يمكن أن نتخذ من منهج الجاحظ نواة لمناهج أخرى أكثر تطورا فى الدفاع عن القرآن الكريم

وبعد، فإن المطاعن التى تصدى الجاحظ لتفنيدها والتفسيرات المغلوطة التى كشف زيفها تعد الآن نوعا من التاريخ، لكن منهجه يمكن أن يتخذ نواة لمناهج أخرى أكثر تطورا فى الدفاع عن القرآن الكريم وفى فهمه فهما صحيحا، فالمطاعن التى توجه للقرآن الآن لم تنقطع بل ازدادت شراسة، والفهم الخاطئ لآيات القرآن لم يتوقف، ولن يتوقف إن شاء الله أيضا ذلك المدد الطيب من العلماء الذين يسخرون عقولهم وأقلامهم للدفاع عن القرآن الكريم ولتصحيح مفاهيمه فى عقول الغافلين.

كلمة الأستاذ الدكتور أحمد فتحى سرور فى الاحتفال بذكرى مولد السيدة زينب (رضى الله عنها)

كانت السيدة زينب نبراسا للعابدين والمجاهدين

ألقى الأستاذ الدكتور أحمد فتحى سرور - رئيس مجلس الشعب ورئيس مجلس إدارة مسجد السيدة زينب - كلمة فى الاحتفال بذكرى مولدها - رضى الله عنها - أكد فيها أن مُثل الحق والإيمان ومبادئ العدل والمساواة والإحسان، وقيم الخير والسماحة وحقوق الإنسان كما قررتها شريعة الإسلام هى الباقية أبدا مهما جابهتها قوى البغى والعدوان.. وقال سيادته:

أيها السادة، والإخوة الأعزاء

أحمد الله كما ينبغى أن يحمد، وأصلى وأسلم على سيدنا محمد ﷺ، وعلى آل بيته الطاهرين، وصحابته وأنصاره المجاهدين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وأرجو أن أرحب باسمكم جميعا، شاكرا كريم حضورهم: بكل من السادة:

فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر.

الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

د. عبدالعظيم وزير - محافظ القاهرة.

وفضيلة الأستاذ الدكتور على جمعة مفتى الجمهورية.

وفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر.

والأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الأسبق.

أ. أحمد كامل يس - نقيب الأشراف.

أ. عبدالرحمن شاذلى

وأصحاب الفضيلة العلماء والسادة السفراء وضيوفنا الأعزاء.

أيها الحفل الكريم..

فى رحاب هذا البيت العامر من بيوت الله، يجمعنا اللقاء فى كل عام؛ لنعيش الذكرى العطرة، ذكرى مولد التقية النقية، الطاهرة الذكية، السيدة زينب - رضى الله عنها - وأرضاها، نتنسم عبق الأريج الفواح، ونحلق بقلوبنا وأرواحنا فى ملكوت الله الفسيح، نجدد الحياة بإيمان راسخ، وعزيمة قوية، وقيم نبيلة، مستمدة من نبع النبوة، الذى يفيض علينا بالقيم والفضائل، والحق والخير، والسماحة والوفاء، والحب والعدل.

ومع الذكرى الزينبية الطيبة، تفوح الذكريات المباركات، ونستعيد الدروس والمواقف والعبر، فهل من مُدّكر؟

لقد تربت العقيلة الطاهرة فى أحضان النبوة، فى كنف جدها

المصطفى - عليه الصلاة والسلام - الذى أرسله ربه بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله.

وورثت عن أمها الزهراء فيوض الهدى والنور، وعاشت إلى جوار أبيها فتى الإسلام الأول سيدنا على بن أبى طالب رضي الله عنه، رمز الشجاعة والتضحية والإقدام، والفصاحة والبيان. فتخلقت بأخلاقه. ونهلت من علمه، ونالها من فصاحته وبيانه.

مسجد السيدة زينب

الصمت والسكون، فنالت بذلك درجة المتقين، الذين **﴿كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون﴾**.

وقد ابتليت فى حياتها بأعظم المحن والمصائب؛ ففقدت جدها - عليه الصلاة والسلام - وفقدت أمها فاطمة الزهراء - رضى الله عنها - وهى فى سن الخامسة، ثم فجعت باستشهاد

ثم أخذت عن أخويها السبطين من قيم التضحية، حتى هانت عليها حياتها فى سبيل المثل والمبادئ العظام.

لقد تجمعت الفضائل - بفضل الله - فى سيدتنا الطاهرة، وحياتها العامرة؛ فكانت فى طاعة ربها العابدة الصوامة القوامة، المتبتلة المتفكرة، من الذين **﴿يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾**، وكانت تنهض من فراشها حين تنام العيون، ويسود

أبيها أمير المؤمنين، وهى فى سن الخامسة والثلاثين، وبعد ذلك بأخيها الحسن، ثم كانت المصيبة الكبرى فى كربلاء، حيث قتل أخوها أبو عبدالله الحسين - رضى الله عنه - وأهل بيتها وأقرباؤها، وولداها، أمام عينيها، عطشى لا يجدون شربة ماء، وما تلا ذلك من أسر لنساء من آل البيت وأطفالهم، وسوقهم جميعا إلى ابن زياد فى الكوفة، ثم إلى يزيد بن معاوية فى دمشق، وما نالهم فى كل ذلك من مشقة وهوان.

وكانت العقيلة الهاشمية طوال ذلك مضرب المثل فى الشجاعة والصبر والمواجهة.

ولقد حازت سيدتنا أم هاشم وأم العزائم سائر الفضائل والمحامد، فى العسر واليسر والمنشط والمكره، فكانت نبراسا للحائرين والعابدين، وقدوة للعاملين والمجاهدين، ولا غرو ولا عجب، فهى بنت بنت الحبيب ﷺ، وبنت الفارس المغوار الذى لم يشق له غبار طوال حياته؛ حيدرة الإسلام، أمير المؤمنين على بن أبى طالب - كرم الله وجهه -.

وإذا كنا نعيش اليوم فرحة الذكرى، فنحن نعيش معها مواطن الأسوة فى شخصية الطاهرة، وفى أمها الزهراء، وأبيها، وإخوتها، وابنيها، ومن كان معهم أو لحق بهم من قوافل الشهداء.

ونحن أحوج إلى التأسى والاقتداء، فى عالم يموج اليوم - كما الأمس - بالفتن، ويزخر بالتحديات وخاصة فى العالم الإسلامى حتى سالت الدماء بجوار مرقد أبيها سيدنا على بن أبى طالب - كرم الله وجهه -.

أيها السادة، وحين تعاودنا ذكرى السيدة زينب - رضى الله عنها وأرضاها - ونعيد قراءة بعض من دروس حياتها، وسيرة جدها - عليه الصلاة والسلام - وحياة أبيها رضي الله عنه؛ فلسوف نزداد يقينا أن مُثل الحق والإيمان، ومبادئ العدل والمساواة والإحسان، وقيم الخير والسماحة وحقوق الإنسان كما قررتها شريعة الإسلام، هى الباقية أبدا مهما جابهتها قوى البغى والعدوان.

ولقد نذكر ميلاد جدها - عليه الصلاة والسلام - فى عام الفيل، ذلك العام الذى جرد فيه أبرهة الحبشى جيشا كبيرا يتقدمه فيل ليهدم الكعبة المشرفة، بيت الله الحرام، أول بيت وضع للناس لعبادة الله وتوحيده، ولم يكن أبرهة يريد مجرد هدم الكعبة فحسب، وإنما قصد إلى هدم المكان والمكانة، والسؤدد والسيادة، وتعجب من طلب عبدالمطلب سيد العرب إعادة الإبل التى استولى عليها جيش أبرهة، بينما لم يحدثه عن البيت، الذى يعظمونه، والذى جاء بالفيل لهدمه، وعندئذ قال عبدالمطلب أمير مكة وسيد البطحاء قولته المشهورة: «**أما الإبل فهى لى، وأما البيت فله رب يحميه**»، ولقد حمى الله بيته الحرام، وأرسل على أبرهة وأصحاب الفيل ﴿**طيرا أبابيل* ترميهم بحجارة من سجيل* فجعلهم كعصف مأكول**﴾، وبقى البيت شاهدا على علو الحق وشموخ الإيمان.

ولم تزل أرض العروبة والإسلام - منذ ذلك الزمان - تبتلى بأبرهة بعد أبرهة، حتى صرنا إلى زمان تدور فيه المعارك ويسقط القتلى بجوار مرقد والد سيدتنا الطاهرة، أمير المؤمنين على بن أبى طالب، أشجع الرجال، وأنبل الفرسان، الذى طالما فتح الله عليه، وارتعدت فرائص الأشداء بين يديه، وما تجرأ على حياته بعد خيانة قاتله ابن ملجم، إلا أمثاله بعد وفاته، فأصابوا الصحن الحيدرى، وتهددوا ضريحه الشريف دون مراعاة لحرمة الموتى وكرامة المكان وقدسيته.

تلك بعض الدروس والعِبر نستلهمها فى مناسبة الذكرى العطرة، ورضى الله عن السيدة زينب، جوهرة بيت النبوة الكريم، وفرع دوحتها وارفة الظلال، أم هاشم سخية العطاء، الصابرة المجاهدة أم العزائم صاحبة الشورى، المثال لأزكى الفضائل كرامة وعلما وعطاء، شجاعة وتضحية وبلاء.

أيها السادة، اسمحوا لى مرة أخرى، أن أرحب بكم فى هذه الرحاب الطاهرة بمناسبة افتتاح المولد الزينبى المبارك، وأشكر حضوركم، وأشكر باسمكم جميع الذين شرفونا فى هذه الليلة.

شكرا لكم وكل عام وأنتم بخير

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أ.د/ أحمد فتحى سرور

دراسات فى السنة المطهرة

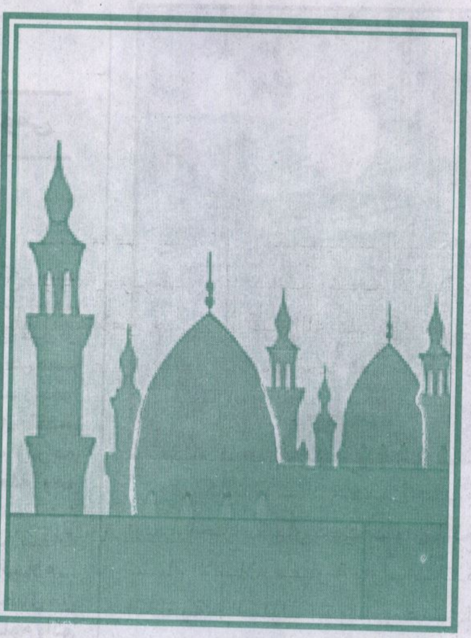

- جولة نقدية لكتاب: محمد المثل الكامل
- تصحيح نسبة كتاب: سيرة الحضرة النبوية
- تحويل القبلة مغزاه ومعناه

جولة نقدية لكتاب

محمد المثل الكامل

د. محمد رجب البيومى

محمد المثل الكامل اسم لكتاب جيد وضعه المغفور له الأستاذ محمد أحمد جاد المولى عن رسول الله ﷺ قبل أن يبدأ قادة الفكر الأدبى فى مصر كتابتهم عن نبى الإسلام، وقد رجعوا إليه فيما رجعوا من مصادرهم المختلفة، كما طبع الكتاب عدة طبعات، وترجم إلى الفارسية وغيرها فيما نعلم، وهو بذلك ذو أثر واضح فى الكشف عن النواحى الخلقية الممتازة من صفات رسول الله - عليه الصلاة والسلام -.

ومؤلف الكتاب عالم مفضال من علماء الأخلاق، درس فى دار العلوم وأتم دراسته فى أوروبا، ورجع إلى مصر ليشغل عدة وظائف علمية وتعليمية بارزة، وكانت حياته العملية مثالا يحتذى لزملائه، إذ نفعته دراسته المثمرة فى علم الأخلاق، فاكتسب هدوء النفس، وسكينة الروح، ومال إلى السلام الهادئ مع رؤسائه ومرءوسيه، والمودة الطيبة مع أصدقائه وعارفيه، فإذا كنا نجد انفصاما شاسعا لدى بعض أساتذة الأخلاق بين ما يقولون وما يعملون، فإن مؤلف «المثل الكامل» لم يكن من هؤلاء، إذ حاول أن يأخذ نفسه بما يأمر به الناس من شمائل الإنسانية المهذبة، وهو مسلك صعب المرتقى لا يتسنم ذروته غير من يتمسك بالعزم والحزم حتى يتغلب على الضعف النفسى الذى لا يكاد ينجو منه أحد.

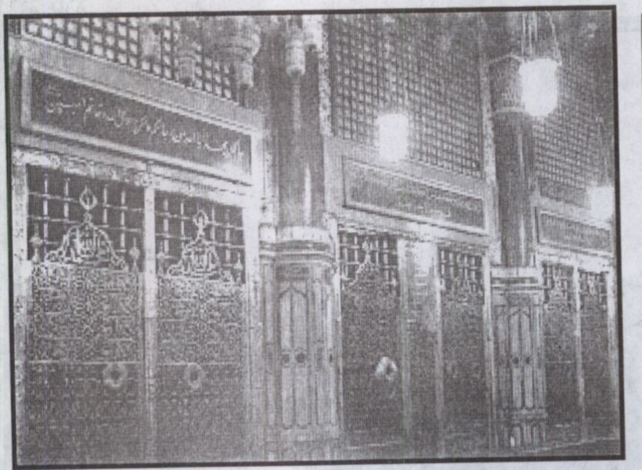

وقد كتب الأستاذ محمد أحمد جاد المولى مؤلفا ضخما فى أربعة أجزاء كبار تحت عنوان **(الخلق الكامل)** شرح فيه آراء علماء الإسلام مقارنة بآراء أساتذة الغرب فى مسائل التربية الخلقية، والسلوك القويم، واعتبر القرآن الكريم ميزانا دقيقا للحكم على الأخلاق عالية وهابطة، واستضاء بأحاديث الرسول وسير القادة من الصحابة والتابعين، وتحدث عن العواطف والغرائز والانفعالات حديث الدارس المستوعب لثقافة عصره، المطلع على ما كتبه أعلام ملته فى مطويات مؤلفاتهم التى لم يقدر لها ما تستحق من الذيوع، ولكى لا نحسب مبالغين فى الحديث عن كتاب «الخلق الكامل»، فإننا ننقل ما قاله عنه باحث منصف محايد هو الأستاذ الكبير محمد كردعلى بمجلة الرسالة العدد ١١٠(١) «يتألف من كل باب من الأبواب التى عالجها (الخلق الكامل) رسالة جديرة بأن تقرأ ويستفاد منها، وقد قال أن فلاسفة العرب وإن كان يرجع إليهم فضل السبق فى بحث أمهات الفضائل، فهم لم يبينوا مناطها، ولم يضعوا لها حدا فاصلا بين ما يحقق الفضيلة ومالا يحققها، فإنهم لم يذكروا متعلق العفة ولا أى شىء تكون، ولا مقدارها الذى إذا تجاوزه

المرء وقع فى الفجور، وكذلك الحلم لم يذكروا مواقعه ومقداره، وأين يحسن وأين يقبح وكذلك الشجاعة فأفاض (المؤلف) فى الفلسفة الخلقية، وينابيعها والعواطف والانفعالات والعادات والبيئة ووسائل تقويم الخلق، ووجوه الخير، ومظاهر التربية فى الأمم الغربية والشرقية، ومظاهر الأخلاق الإسلامية، ومظاهر الأخلاق الفردية، ومظاهر الخلال الاجتماعية، إلى غير ذلك من الأبحاث التى خاض عبابها، وجزأها أجزاء، ومزج فيها الكلام فى القديم والحديث على النحو الذى تقبله النفوس، ولا يكون مثالا غير حىّ لا ينتفع به قارئه لبعده عن مستوى عقله وخلقه وعادته وحاجته».

هذا العالم الأخلاقى الكبير أراد أن يقدم للناس صورة مثالية لإنسان كامل، تكون موضع القدوة بأخلاقها العالية فتصبح تطبيقا عمليا لما دعا إليه فى بحوثه العلمية، وواقعا ملموسا بأحداثها الحقيقية يشير إلى نهج أمثل يجب احتذاؤه، فكان محمد ﷺ هو المثل الكامل حقا! ولقد عاش الكاتب بروحه وعقله مع الرسول الكريم فتتبع حياته حلقة حلقة تتبع الراصد اللامح، وإذا كان الله عز وجل قد قال فى نبيه الكريم: **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾**، وإذا كان الرسول قد قال عن نفسه: **«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»**، فإن إيمان المؤلف بقول الله وكلام الرسول لم يحل دون أن ينقب عن البراهين الدالة على تحقيق النص القرآنى، والحديث النبوى، مستضيئا بدراسته الواسعة فى علمى النفس والاجتماع ليستكشف عناصر الأسوة الحسنة فى أكمل سيرة عرفت فى التاريخ، حتى إذا وجد الذخيرة الكافية من وقائع السيرة النبوية بدأ يخط كتابه على نهج خلقى يجعل من التاريخ الصادق دليله القوى وبرهانه الوطيد، وقد كشف المؤلف عن هدفه التأليفى حين قال فى مقدمة الطبعة الأولى من كتابه:

القدوة النموذجية للإنسانية

فقد طالعت ما أدى إليه البحث من المثل الكاملة التى صورتها العقول البشرية جيلا بعد جيل فألفيتها مظهرا لبيئة الحكماء الذين تمثلوها، وأمزجتهم وعقائدهم وطرق تفكيرهم، وأنها على الدوام فى تدرج وتحول وفقا لمقتضيات الزمان والمكان، وتحقيقا للأمانى التى تجول فى صدور بنى الإنسان، وأن أحدا منها لا يصلح لذلك أن يكون هداية عامة لبنى الإنسان جميعهم على اختلاف زمانهم ومكانهم، ولما كانت سيرة محمد ﷺ من مولده إلى مماته ثابتة ثبوتا لا مرية فيه، فجميع أعماله مدونة، وأحاديثه مسطرة شاملة لما يحتاج إليه بنو البشر فى معاشهم ومعادهم، وحياته ملأى بالمثل الصالحة الكفيلة بإنهاض بنى الإنسان من تثقيف عقولهم وتقويم أخلاقهم وإصلاح شئونهم كان هوالمثل الكامل(٢).

لقد حدد المؤلف هدفه فى أول صفحة من كتابه! هذا الهدف الذى يوجب رسم صفات مثالية أهلّت صاحبها للقدوة النموذجية للإنسانية، ولابد أن تصور هذه الصفات فى أبواب متصلة، يجمع كل باب وقائع مسلمة معروفة لا يمترى فيها عدو أو صديق تدل على صفة عالية من الصفات! فالكتاب إذن لا يعرض سيرة رسول الله عرضا تاريخيا من المولد إلى الوفاة كما يكتب مؤلفوا السير، ولكنه يعرض أحداثا مرتبة تدل على أكمل الصفات الإنسانية الرائعة فى فصول تتتابع، وهذا ما بينه المؤلف فى مقدمة الطبعة الثالثة حيث قال:

(وليست طريقة هذا الكتاب بسبيل مما جرى عليه من ألفوا فى السيرة على تباين كتبهم الكثيرة، فهم إنما يؤرخون حياته الشريفة بحسب زمانها، وما يتبعها من الوقائع ودورانها، وإنما رأيت أن أعدل عن ذلك إلى طريقة أخرى يصبح النفع بها أتم، والفائدة أيسر، والجدة فيها أظهر).

هذا ما قاله المؤلف، وأمامنا الآن كتابه الهادف نطالعه لنرى إلى أى أمد أصاب حظه من التوفيق؟ لقد بدأ بابه الأول تحت عنوان **(إلى محمد ﷺ ترد الفضائل جميعها)** فوازن موازنة سريعة بينه

ﷺ وبين من ساسوا الشعوب وترأسوا الدول، حين مالوا إلى النفع السياسى وإن جانب الخلق، واعتصم نبى الإسلام بأخلاقه الرفيعة وإن عوقت نصره إلى أمد، وأشار إلى أثر البيئة فى ظهور عظمائها حين نراهم يترجمون عن آمال قومهم فتسهل عليهم قيادتهم، فكل عظيم من هؤلاء روح عصره، ولكن رسول الله ﷺ لم يجئ جاريا على هذه السنة فما كانت بيئته الجاهلية لتسمح بظهور مصلح مثله! لقد جاء والعرب فى جهل مطبق بالعلاقات الاجتماعية والسياسية، فلم يكونوا يعرفون شيئا عن العلاقات الدولية، وكانت كل قبيلة كأنها أمة قائمة بنفسها، تتحفز لشن الغارة على جارتها! فكيف يظهر من بينها من يضع أرقى الأسس لسيادة الناس، ويقيم دينا ويكون دولة ويحيى أمة إلا أن يكون مبعوثا من السماء! وإلا أن يكون ذا مقومات خلقية نادرة تجعله ذا صوت مسموع ورأى مطاع.

هذا إجمال أوجزه مؤلف المثل الكامل، ليرد على نفر من باحثى الغرب أرادوا أن يهونوا من أثر صاحب الدعوة الإسلامية، فزعموا أن العرب لعهده كانوا يتطلعون لمصلح يقودهم إلى ما ينشدون من رفعة إنسانية، إذ أحسوا بهوانهم السياسى وضعفهم الاجتماعى، وسموا بنفوسهم إلى منزلة سياسية ذات مستوى مماثل للفرس والروم، وجاء الرسول ليجد الثمرة دانية القطوف فيسرع إلى اقتطافها فى سهولة ويسر! هذا ما حاول بعض المستشرقين أن يروجه ليجعل الدعوة الإسلامية نتيجة محتومة لتطلعات قوية كانت تتحفز للوثوب! ولو كان الأمر كذلك لما حورب رسول الله ﷺ من أهله وقومه محاربة ألجأته إلى الهجرة من مكة فرارا بدينه! ثم ما استهدف لمؤامرات اليهود والمنافقين فى المدينة! ولكنه قرع الأسماع بما يعدّ غريبا مدهشا على الناس، فسمعوه حائرين مبهورين، ولو كان العرب متوثبين إلى النهوض تلقائيا لتقدمهم الحضارى كما يزعم هؤلاء لما جاهد الرسول ثلاثة وعشرين عاما متصلة دون هدوء حتى بلَّغ رسالة السماء.

يقول الأستاذ محمد فريد وجدى (إذا كان هذا صحيحا فلا تكون الرسالة المحمدية قد أخرجت العرب من الظلمات إلى النور ولا أوجدت فيهم وحدة اجتماعية ما كانوا يعرفونها، ولا ثبت فيهم من الأخلاق والآداب ما كانوا فى أشد الحاجة إليه ولا آتتهم دستورا أفضى بهم السير عليه إلى تبوء خلافة الله فى العالم قرونا كثيرة غيروا فيها وجه الأرض، ونشروا علما وحرية ومدنية قضت على كل ما كان متحجرا غير صالح للحياة فى العالم كله)(٣).

فضائل أخلاقه ﷺ:

وإذا كان الباب الأول خاصا بفضائل الرسول فقد قسمها المؤلف قسمين، **قسم الفضائل الذاتية** وتشمل مولده من أكرم عنصر وحسن صورته وكمال عقله وقوة منطقه ونجدته الشجاعة وزهده واحترامه لنفسه، **وقسم يتحدث عن فضائله الاجتماعية** وتشمل كرمه وحسن معاشرته وعفوه عند المقدرة وحسن سياسته، وثباته على مبدئه، ويخيل أن الحدود غير فاصلة بين القسمين فاحترام الرسول لنفسه لا يظهر أثره إلا فى الاندماج فى جماعة، والثبات على المبدأ قد يكون من الفضائل الذاتية، والأمثلة التى ذكرها المؤلف لتدل على تأصل هذه الصفات معروفة لقراء السيرة النبوية، وجهد المؤلف مقصور على ترتيبها تحت عناوين محددة! وقد رجع إلى الجاحظ فى جل ما قاله عن قوة بيانه وفصاحة منطقه، أما ما ذكره عن نجدته وشجاعته وزهده وكرمه فموضع القدوة حقا، وليس من شأن المؤلف أن يثقل على قارئه بمقدمات علمية تدل على اطلاع وغوص كعادة من يتحدثون عن الصفات المحتذاة، ولو شاء أن يفعل لفعل فمؤلفه (الخلق الكامل) يمده فى هذا المقام بوافر الزاد، ولكنه أحب أن ينتفع كل قارئ من كتابه مهما تواضع مستواه، فلجأ إلى

بساطة السرد، وسهولة التعبير، كأن يقول عن رسول الله ﷺ (لم يكن بالجافى ولا المهين، وسع الناس بسطه وخلقه، فصار لهم أبا، وصاروا عنده فى الحق سواء، يعطى كلا من جلسائه نصيبه، ولا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه، يصبر للغريب على الجفوة فى منطقه ومسألته، ومن جالسه أو فاوضه فى حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف منه، يحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد منهم بشره، يتغافل عما لا يشتهى، ولا يكاد يواجه أحدا بما يكره، أفضل الناس عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم لديه أحسنهم مواساة ومؤازرة، كان إذا رآه الناس لا يقومون له لما يعلمون من كراهيته لذلك، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس)(٤).

ومع أن المؤلف قد سرد معجزات الرسول ﷺ فى باب خاص، فلم يجعلها وحدها دليل نبوته، بل جعل من استقامة سلوكه، وقوة حجته، وصحة ما جاء به من تشريع دليلا واضحا على صدقه، وأوضح الحكمة فى ذلك فقال: (قد تم له النجاح، ولم يكن سبيله الفذ فيه الالتجاء إلى ماهو فوق مقدور الإنسان كما فعل من قبله من الأنبياء، إذا أعوزتهم الحيل جاءتهم المعجزات لإنقاذهم، ولو أنه التجأ إلى المعجزات فى كل أمر حزبه أو كربه، لتعذر على من يجيئون بعده أن يتخذوه مثلا يحتذى لانقطاع صلتهم بالمعجزات، ولكنه قد اتخذ من الوسائل أنبلها، ومن الذرائع أشرفها وأوضحها وبذلك كانت حياته الشريفة درسا بينا، وعظة بالغة لمن يجيئون بعده)(٥).

ثباته على المبدأ وكفاحه عن الحق ﷺ:

هذا إجمال فصله الكاتب بما ضرب من أمثلة واقعية تشهد بثبات محمد ﷺ على المبدأ وكفاحه عن الحق، وقد أطال فيما استشهد به من حوادث التعذيب للمسلمين، والمضايقة للرسول ﷺ ليثبت أن الدنيا تحتاج إلى نضال الأحرار، وثبات الدعاة حتى يقودوا الإنسانية إلى شط النجاة، وليقول أن ما يصيب المجاهدين الآن من الإعنات ضريبة مفروضة وواجب محتوم لأن القيادة الصحيحة عبء ذو إرهاق، وراحة صاحبه فى تحمله، كما يرتاح الضعيف فى تركه والابتعاد عنه، وكلما عظمت المحنة فى الحياة عظم حظ صاحبها من النضال، لأن المحنة تدريب عملى للرجولة على الصبر وتخليص للأخلاق من شوائب الخور والضعف، يقول المؤلف:

(إن الأخلاق إذا تعاورتها الشدائد والأهوال سبكتها، وأخرجت منها خلقا قويما ثابتا، وكان مثلها مثل الذهب المصفى، فالشدائد تظهر ماهو كامن فى الإنسان، فإما أن تجعل منه خلقا عظيما يظل مدى الدهر نبراسا يستضاء به، وإما أن تقضى عليه فتجعله أثرا بعد عين، ومن أجل ذلك وجب على من يطمحون إلى الظفر وبلوغ المقاصد العظيمة أن يعدوا أنفسهم لركوب متن الأهوال، واحتمال الشدائد، ويتخذوا من هذا النبى أسوة فى ثباته وسائر أخلاقه)(٦).

على أن القلم فى يد المؤلف قد يخرج إلى استطراد وعظىّ يستميل أكثر مما يقنع، وقد يلجأ إلى تكرار يعيد شجونا مما تقدم! وتلك سمة لا يكاد ينجو منها كتاب تربية إذ ترى المؤلف داعية أكثر منه عالما، وإذا وجد المربى الموجز المدقق فإنه مع منطقه الدقيق لا يورث قارئه حماسة لما يدعو إليه، ويحتاج إلى شارح يتبنى آراءه لينفخ فيها من روحه! وكتب الأخلاق التى صيغت بمنطق علمى جاف قد انحصرت فى أيدى أفراد قلائل ككتاب «تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق» لابن مسكويه، أما كتب الأخلاق التى توهجت بالعاطفة ككتاب «إحياء علوم الدين» للغزالى فقد امتدت إلى آلاف القراء! ولعل هذا ما عناه الأستاذ محمد أحمد جاد المولى حين آثر أسلوب الداعية فى كثير مما قال.

رسول الإنسانية:

وفى الباب الثانى جاء الحديث تحت عنوان (محمد ﷺ بين الرسل) وقد ابتدئ بمقدمة تفرق

بين صاحب الأقوال وصاحب الأعمال فذكر المؤلف أن رسالة الأنبياء لو اقتصرت على إلقاء المواعظ والنصائح دون أن يكافحوا فى سبيل إنهاض بنى الإنسان وتقويم أخلاقهم ما استطاع أحد أن يفهم الحاجة إلى الرسالة والرسل لأن المواعظ والحكم تجىء على ألسنة العلماء ممن لم يدعوا الرسالة، وفى بعض ما قالوه ما يرتفع إلى ذروة من الحكمة والرقى، ولكن الانتفاع بالأقوال وحدها قليل، أما الأعمال فمحك اختبار النجاح. والقاعدة فى اختيار الهداة هى الأعمال إذ لا دليل على أن الإنسان يستشعر ما يدعو إليه من الفضائل إلا اتصافه التام بما يقول، وقد نجح نبى الإسلام لأنه كان النموذج لما يدعو إليه من الفضائل، وقد بعث كل رسول ممن تقدموا محمدا ﷺ لتهذيب معشره فحسب فكان مثل هؤلاء مثل المصابيح التى يوضع كل منها فى حجرة لا تضىء سواها أما محمد ﷺ فقد جاء لتهذيب الإنسانية وتنمية الفطرة الصحيحة واستخدام ملكاتها فامتلأت حياته الكريمة بالمثل الصالحة لهذا التهذيب العام.

هذه المقابلة بين الرسول ومن سبقه ذات مغزى دقيق، وقد تكررت أمثالها فى كثير من صفحات الكتاب وأبوابه، ففى الباب الثالث مثلا يتحدث المؤلف عن الأسباب الاجتماعية والاقتصادية التى اقتضت بعثة الرسول فيسهب بعض الشىء فى توضيح هذه الأسباب وأكثرها معلوم مشتهر فإذا أوفى على الغاية مما يريد تعرض للموازنة بين الرسول وسابقيه من الأنبياء فذكر أن عصور السابقين لم تبلغ من الظلام ما بلغه العصر الجاهلى فى شتى بقاع العالم حين البعثة النبوية، فموسى عليه السلام مثلا قد أرسل لتحرير بنى إسرائيل، وجلى أن المصريين فى عهده كانوا ذوى ثقافة وحضارة وفن، وحين ظهر المسيح كانت الدولة الرومانية على جانب عظيم من التقدم فى الطب ولها حضارتها المزدهرة، أما القرن السادس - قرن الرسالة المحمدية - فكان منقطع النظير فى تدهوره، وكان يخيل للناظر أن الفساد المنتشر فى كل مكان يتطلب عدة رسل لا رسولا واحدا، إذ عدمت الشرائع الإلهية فى شتى بقاع الأرض، وجاءت النصرانية لهدم الوثنية فلم تلبث أن أصبحت فريسة لها! لذلك كان ظهور محمد ﷺ نبيا إلى العالم كافة أمرا فريدا فى بابه! هذا إلماع موجز لما جاء بالباب الثالث من موازنة بين الرسول وزملائه السابقين، فإذا انتقلنا إلى الباب الخامس وجدنا تنظيرا بين الرسول وسابقيه بصدد المعجزات، ونصل إلى الباب السادس فنجد مقابلة موجزة بين دين الإسلام وما سبقه من الأديان فى طريقة الاستدلال العقلى والحجاج الفكرى فإذا طالعنا الباب الثامن وجدنا بسطا يسيرا لما أوجز فى الباب السادس حيث يذهب المؤلف إلى أن رسل الله قبل محمد ﷺ قد اقتصروا على النصح السديد والموعظة الحسنة. أما محمد ﷺ فقد فصّل ما استكن فى العقل الإنسانى صغيره وكبيره، ووضع للغرائز الحيوانية نظاما يكفل الهيمنة عليها وتوجيهها لمنفعة الإنسان، وقد انفرد الذكر الحكيم باشتماله على ما استكناه العقل الإنسانى وبيان ملكاته وصفاته فقد خرج الإنسان عند الدعوة الإسلامية من الاكتفاء بالقضايا البراقة التى لا يدعمها دليل ولا برهان!

قول يحتاج إلى تصحيح:

وكنا نؤثر أن يجمع المؤلف هذه الموازنات المتفرقة فى أبواب شتى فى باب واحد، وأن يسلط عليها أضواء التحليل الكاشف لتكوّن بحثا متماسكا يمنع التكرار ويطرد السأم! فالموازنة بين الدعوة الإسلامية وما قبلها من دعوات المرسلين لا تساق هكذا على أبعاد متناثرة يطغى عليها ما حولها من العناصر المختلفة كما تحتاج إلى استقراء مطمئن لما نعرف من أقوال النبيين والمرسلين مقارنة بما جاء به الرسول، وفى القرآن الكريم نماذج لأقوال هؤلاء - صلوات الله عليهم جميعا -! وقول المؤلف إن من سبقوا رسول الله ﷺ

قد اقتصروا على النصح السديد والموعظة الحسنة قد يوحى بأنهم لم ينهجوا المسلك العقلى فيما جاءوا به من الدعوات، بل اكتفوا بالنصح الواعظ، وهو رأى تورط فيه من يزعمون أن الإنسان الأول لم يكن فى زمنه السالف ذا عقل كامل يستضىء بنوره! وقد ارتقى تفكيره بمرور السنين! ولكننا نجد أنبياء الله قد لجأوا إلى المنطق العقلى فى حجاجهم الجدلى، فنوح عليه السلام يقول فيما روى القرآن عنه **﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا* يرسل السماء عليكم مدرارا* ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا* مالكم لا ترجون لله وقارا* وقد خلقكم أطوارا* ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا* وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا* والله أنبتكم من الأرض نباتا* ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا﴾** نوح: الآيات ١٠ ـ ١٨، وإبراهيم عليه السلام يحاجّ قومه بالمنطق الواضح فيدعوهم إلى النظر فى ملكوت السموات والأرض ويجادل والده فيقول: **﴿ياأبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا* ياأبت إنى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا﴾** مريم: الآيتان ٤٢، ٤٣، ويقول لأبيه وقومه: **﴿ما تعبدون* قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين* قال هل يسمعونكم إذ تدعون* أو ينفعونكم أو يضرون* قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون* قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون* أنتم وآباؤكم الأقدمون* فإنهم عدو لى إلا رب العالمين* الذى خلقنى فهو يهدين* والذى هو يطعمنى ويسقين* وإذا مرضت فهو يشفين* والذى يميتنى ثم يحيين* والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين﴾** الشعراء: الآيات ٧٠ ـ ٨٢، ولا نطيل فى ذكر ما جاء على لسان هود وصالح وموسى وشعيب فآيات القرآن ناطقة بما قالوه مجادلين مقنعين، فقول الأستاذ جاد المولى إن السابقين قد اكتفوا بالقضايا البراقة التى لا يدعمها دليل وبرهان مما يحتاج إلى تصحيح!

نعود إلى متابعة الكاتب فى مؤلفه فنذكر أنه تحدث فى الباب الرابع عن مراحل الدعوة واستقرارها فلخص ماهو معروف منذ اعتزال الرسول وبدء الوحى وانقطاعه والبدء بالدعوة سرا والجهر بها بعد ذلك مستشهدا بآيات القرآن فى وضوح خالب لينتقل إلى الباب الخامس فيذكر الأدلة القاطعة على صدق نبوته، وقد قسمها إلى عقلية كاحتمال صنوف الأذى، واشتهاره بمكارم الأخلاق فى نشأته وانتشار الإسلام بسرعة، وحرصه صلى الله عليه وسلم على هداية الخلق وإخباره بالمغيبات، وتجرده من الحظوظ البشرية، وعجز العرب عن معارضة ما جاء به من القرآن. أما الأدلة الحسية فهى المعجزات التى توالت على يديه وأولها القرآن الكريم واستجابة الله لدعوته والإسراء والمعراج وانشقاق القمر وتيسير الماء لقومه على يده وما يجرى هذا المجرى، وقد نرى أنه أوجز فى الأدلة العقلية إيجازا كان يتطلب البسط، ولعل عذره فى ذلك أنه لا يسجل أحداث السيرة النبوية إلا بقدر ما تدعو إلى القدوة والاحتذاء، ولكن القدوة هذه تتجلى أحسن ما تتجلى فيما يذكره عن احتماله صلى الله عليه وسلم الأذى واشتهاره بمكارم الأخلاق وحرصه على هداية الخلق، ولدى المؤلف من مواقف الرسول ما كان يمده بالفيض الزاخر لو أراد، ويمكن أن يقول إن دلائل هذه الصفات الكريمة من حياته تُجمع من فصول الكتاب جمعا يدركه القارئ المتتبع، ولكن الأولى لدينا أن تندرج فى أبواب محددة ليشع نورها بأكثر قدر يستطاع، وحديثه عن ضرورة المعجزة وتعريفها وكيفية وقوعها وأنواعها حديث المؤمن الواثق بربه ونبيه! وقد ختمها بحديث طويل عن الإسراء والمعراج اقتبسه من الأستاذ يوسف الدجوى كما اقتبس مقالا طويلا فى إعجاز القرآن من الدكتور هنرى اسبت، وأنا لا أرى أن يعمد مؤلف ما إلى اقتباس موضوعات بأكملها من سواه يتجاوز الواحد منها عشر صفحات مهما بلغت أهميته، لأن الكاتب الكبير

لايعوزه أن يعالج الموضوع بأسلوبه الخاص فيقرأ ما يستطيع العثور عليه فى نطاقه ثم يصوغ ذلك كله بأسلوبه الخاص فإذا احتاج إلى استشهاد من سواه فليكن فى نطاق صوغه ممهدا له بتقديم، ومقفيا عليه بتعقيب!

وأرى أن تواضع المؤلف النفسى هو الذى دفعه إلى هذا الاستشهاد الطويل، إذ أراد أن يقدم نماذج عقلية أعجبته وانتفع بها دون أن يستطيل بإبداع ينسب إليه، ولكن هذا شىء، ومرمى الناقد الأدبى شىء آخر حين يتطلب فى فصول الكتاب الواحد تجانسا متشابها بحيث لا يختلف لون الماء فى موقع من مواقع الجدول المترقرق الممتد فإذا انتقلنا إلى ما كتبه المؤلف فى الباب السادس تحت عنوان: محمد ﷺ أقوى الناس حجة فإننا لا نستطيع أن نسكت عن ملاحظة مهمة يجب تسجيلها حول ما جاء فى هذا الباب، إذ لو كان عنوان الموضوع (القرآن أقوى الكتب حجة) ما اختلف الحاصل فى شىء عند الكاتب، فقد استعرض نماذجه من آيات الكتاب الكريم فى البعث الأخروى وشرحها شرحا واضحا، ثم آيات ثانية فى خلق الإنسان ذات برهان حاسم خصها بالشرح، وآيات ثالثة تتعلق بخلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار وتصريف الرياح وجريان الأنهار وأوضح مكان الاحتجاج بها فى قوة! وما جاء به المؤلف فى ذلك حق لا شبهة فيه! ولكن الحديث عن قوة الحجة لدى محمد لا عن قوة الحجة فى كتاب الله، فكان على المؤلف أن يستشهد بأحاديثه النبوية الدالة على قوة إقناعه وصحة منطقه، وأن يأتى بشذرات من حواره المحكم بينه وبين معارضيه أو موافقيه ليتضح صحة منطقه وقوة برهانه على نحو خاص به وحده! ونحن نعلم أن القرآن نزل عليه وأنه بلَّغه للناس بما يتضمن من إعجاز عقلى لا يرتاب فيه منصف! ولكن براهين القرآن العقلية وحججه القوية تحسب لمن أنزل القرآن لا لمن أنزل عليه!

وهذا ما يجعلنا نشعر بأن المؤلف قد خرج عن موضوعه حين تحدث فى فصول متسعة عن مقاصد الإسلام فى الباب الثامن فأفاض فى الكلام عن إعداد الفرد فى ذاته وعن إعداده ليكون عضوا نافعا فى المجتمع وعن إنصاف المرأة ورفعة شأنها موازنا بينها وبين الرجل وعن إباحة تعدد الزوجات لدى المسلمين بعامة ولدى رسول الله ﷺ بخاصة وعن الطلاق والحجاب والاسترقاق فى الأمم القديمة والأزمنة الحديثة وعن العمل فى الإسلام وحسن المعاملة وإقامة العدل ومحق الظلم ووحدة الرياسة الإسلامية وطبقات الناس، هذا الباب الحافل الذى امتد من ص٢٢٥ إلى ص٣٧٧ اعتبره خاصا بالإسلام باعتباره دينا نزل القرآن بتفصيله ولا يمكن أن اعتبره مما يجوز أن يندرج تحت عنوان (محمد المثل الكامل) لأنه مفهوم يتحدد بعنوانه، وليس كل حديث عن القرآن أو الإسلام حديثا عن سيرة رسول الله! ويظهر أن المؤلف لم يجعل من همه التقيد بوحدة الموضوع حين شرع فى تخطيط كتابه لأنه قال فى مقدمة الطبعة الثالثة(٧) (وقد جعلت من همى فى هذه الأبواب أن أدير الحديث فى كثير من خصائص الإسلام، وأفصل القول فى سياسة هذه الشريعة الغراء فى إصلاح البشر ولاسيما المسائل التى تثور فيها عجاجة البحث فى هذا الزمن والشبهات التى تتقاذفها أقلام المعاصرين من الكتاب، ومهما قصد المؤلف إلى تمحيص الشبهات حول الإسلام! فليس المجال مجال سيرة خاصة بحياة نبى الإسلام! وكان عليه أن يلتزم بالعنوان!

فضيلة محمد ﷺ

وقد خص الباب التاسع بالحديث عن أفضلية الرسول، وما خصّه الله به من صفات الكمال، وهو فصل جيد على إيجازه، وكان فى مقدرة الكاتب أن يبسطه بسطا، ولكنه دون عناصره فى أرقام متوالية إن جازت فى كتاب إحصائى ففى رأيى

الخاص أنها تجعل السياق جافا مقتضبا فى كتاب تربوى صيغ بأسلوب أدبى مسترسل، وقد أحسن المؤلف غاية الإحسان فيما استشهد به هنا من آيات الكتاب الكريم الدالة على فضل رسول الله إذ حرص على جمعها بتسلسل مرتب ترتيب السورة القرآنية مبتدئا بالبقرة إلى آل عمران وما تلاها، حتى انتهى إلى سورة الكوثر، وهو جهد شاق لا يحسّه إلا من كلّف بهذا الاختيار فعكف على كتاب الله ليختار من آياته ما يفى بموضوعه! وهذه الآيات فى رأيى فى حاجة إلى بحث مستفيض يتفرغ له كاتب مؤمن يعيش فى نطاقها، ويحرص على احتواء معانيها فى ألفاظها المحددة دون أن يتيح لعاطفته أن تضيف شيئا مما يتصور ليكتب بحثا عميقا جدا تحت عنوان (صفات الرسول فى القرآن) وما كان أحرى المؤلف بكتابة هذا البحث الجيد، فهو قادر على استيعابه لو نجا من الاسترسال المنتقل من حياة صاحب الرسالة إلى أصول الرسالة نفسها! وقارئه العام قد كسب كسبا وفيرا بقراءة ما كتب، ولكن قارئه الناقد لا يجد بدًّا من أن يعترض!

وللمؤلف إيمان كبير تترقرق لوامعه فى سطور كتابه بعامة، وفيما كتبه فى الباب العاشر تحت عنوان (محمد ﷺ أجدر الناس بالإيمان به) إذ تحدث فى يسر محبب عن وجوب الإيمان بالرسول وطاعته ومحبته، وأفاض فى الاستشهاد بوفاء صحابته له، وهيامهم به فذكر طرائف محببة عن ثوبان وبلال وزيد بن الدثنة، ولم ينس أن يقوم مقام الإرشاد التوجيهى للقارئ فذكر ما يجب أن يقوم به كل مسلم صادق من نصرة الإسلام بالقول والعمل، والعطف على الأمة الإسلامية فى شتى البقاع، وتعظيم سيرة الرسول ﷺ والاقتداء بها، ومحبة صحابته والإكثار من ذكره، وحب القرآن وإيثاره، فإذا انتقلنا إلى الباب الحادى عشر فإننا نجد موضوعا رائعا حقا! ممتازا حقا هو موضوع (محمد ﷺ أوفى مظهر للقرآن) إذ أصاب الكاتب إصابة رائعة حين استعرض حياة الرسول ليصطفى منها ما يدل على امتثاله التام لما جاء به القرآن، وتخلقه الرفيع بأخلاق الذكر الحكيم، وقد جعل من دأبه أن يستعرض الخلق القرآنى كالصبر والعدالة والأمانة والصدق والوفاء بالعهد والرحمة والإحسان والتعاون لينتقى من أخلاق الرسول العملية وأقواله اللفظية ما يكون تطبيقا راسخا لتعاليم القرآن الكريم، كما استعرض الزواجر الرادعة عن المنكرات فى كتاب الله ليقرنها بما قاله الرسول فى تقبيح هذه الزواجر مثل النهى عن الخيانة والربا والخمر والمقامرة والمماطلة والمنّ وتتبع سوءات الناس والنفاق والظلم والغضب والسرقة واللجاج فى الخصومة والسخرية بالناس والتنابذ! ولا يستكثر القارئ الإفاضة فى هذه الصفات محبوبة ومذمومة، لأن الكتاب فى صميمه دعوة إلى الخلق الأمثل فى سيرة أشرف الناس فمجال القول ذو سعة حقا، والمؤلف عالم أخلاق، وقد رأى بعض الفحص الدائب أن مثله الخلقى الأعلى هو رسول الله، فلا عليه إذا توسع وأفاض، وإخالنى كنت أطالب منه المزيد فى هذا النطاق.

ولم يحرم المؤلف قارئه من خلاصة يسيرة للسيرة النبوية جعلها خاتمة كتابه، لتقدم فكرة عامة لمن لم يلم بحياة نبى الإسلام، وطبيعى أن يقتصر المؤلف على الذائع المشتهر من حياة الرسول دون تحليل، وأكاد أقول إن القارئ كان فى غنية عن هذا الموجز فسيرة الرسول على هذا النحو الموجز من الاشتهار بحيث لا تحتاج إلى هذا الضرب المقتضب من التنويه، وكأنى بالمؤلف وقد توقع أن يقرأ كتابه من غير المسلمين من لم يلم بمجمل السيرة النبوية المطهرة فرأى أن ييسر له ما قد يتعسر عليه إذا طلبه فى المؤلفات المبسوطة، وهى وجهة نظر لها موضوعها من الاعتبار.

هذا لباب ما يقال فى كتاب (محمد المثل الكامل) فهو كتاب قدوة وسلوك، وله عنوانه

المتعدد فى أكثر من تصنيف فهرسىّ للكتب إذ تجده فى كتب السيرة كما تجده فى كتب التربية كما تجده فى كتب الدعوة والدعاة! وقد جاء من بعده من اقتنع بفكرته الصحيحة وتباعد عن جمعه المختلط، فكتب كتابين مختلفين يضمان ما جمعه كتاب محمد المثل الكامل فى نسق أقرب إلى الكمال التأليفى المتخصص، إذ قام المغفور له الأستاذ عبدالرحمن عزام الأمين الأسبق للجامعة العربية بتأليف كتابين أولهما بطل الأبطال(٨) وثانيهما الرسالة الخالدة، وقد قصر الكتاب الأول على بطولة رسول الله ﷺ فى مواقفه الرائعة، وهى بطولة عامة تشمل بطولة الرأى وبطولة القلب وبطولة الجهاد وتضع القدوة المثلى لهذا البطل المعلم، وقد تناول المؤلف الكبير أبرز صفات محمد ﷺ فتكلم عن شجاعته ووفائه وزهده وقناعته وعفوه وحلمه وسياسته بما يجعله النموذج الأعلى لمن اتصف بهذه الروائع المثالية، وقد قال الأستاذ الأكبر محمد مصطفى المراغى فى تقديم الكتاب إن مؤلفه قد أحسن إذ تناول السيرة النبوية من الجانب الخلقى فإن الناس فى حاجة ماسة إلى أن يهتدوا بأخلاق رسول الله ﷺ فى كل عصر، وزاد المؤلف إحسانا فوق إحسان حين استخلص هذه المواقف النبوية من الحادثات الصحيحة والوقائع الثابتة فلم يرسل قوله دون حجة قاطعة أو برهان سديد!

أما الكتاب الثانى فقد قصره الأستاذ عزام على الدعوة الإسلامية ووضعه تحت عنوان: (الرسالة الخالدة)(٩) وبذلك نجا من الخلط المتسرع الذى ارتضاه الأستاذ محمد أحمد جاد المولى فى كتابه حين جعل عناصر الدعوة الإسلامية، وآيات القرآن فى الهداية والتشريع مما يجوز أن تندرج فى كتاب يعنون (بمحمد المثل الكامل) وقد وضع الأستاذ عزام كتاب الرسالة الخالدة أثناء الحرب العالمية الثانية حين رأى حضارة الغرب المادية تنهار فجأة لتحطم أصحابها بقنابلها المبيدة، وقواصفها المهلكة، ورأى أن الإسلام يقدم طوق النجاة لمن غرق فى لجج الحضارة المادية ذات التناحر المبيد، وهو يهيب بأبناء الإسلام أن يكونوا أهلا لحمل أكمل حضارة عرفها الإنسان، ويوضح مذهب الإسلام فى الإصلاح الاجتماعى إذ يقوم على التطهير الخلقى للفرد والتكافل بين الجماعة والبر الذى يطارد الفقر والترف والربا، والعدالة والحرية اللتين تضعان ميزان الاستقرار، ثم أفاض فى تحليل كل عنصر من هذه العناصر بما لا يتطلب المزيد حقا! وأوضح رأى الإسلام فى العلاقات الدولية بما أضاف الجديد إلى مفهومات سابقة يجب أن تكون موضع نظر دقيق، ثم شرع يحلل أسباب الاضطراب العالمى وما قام عليه من تناحر واغتصاب وجشع، وصراع متباغض لا يهدأ، ورأى العلاج الحاسم فى تحقيق رسالة الإسلام الخالدة مناشدا ذوى الغيرة الإنسانية على تلمس أسباب الصلاح والإصلاح.

أأقول إن كتاب محمد المثل الكامل بمحاسنه ومآخذه قد وجد صداه لدى من اقتنع به فعكف على الاستضاءة بهديه راضيا بخطته فى التأليف، ولدى من رآه فى حاجة إلى تعديل منهجى، فكتب كتابين مختلفين يجمعان ما تضمنه الكتاب الواحد لينجو مما توسع فيه دون تحديد!! حسب الأستاذ جاد المولى أن وضع نموذجا عاليا للقدوة الإنسانية بما كتب! وحسبه أن كتابه لايزال فى زحمة المؤلفات اللاحقة يجد مكانه المستريح.

الهوامش:

١ ـ السنة الثالثة سنة ١٣٥٤هـ ـ الموافق ١٩٣٥م.
٢ ـ مقدمة الطبعة الأولى ص (ش).
٣ ـ مجلة الأزهر المجلد السادس ص٦٨٨ سنة ١٣٥٤هـ.
٤ ـ محمد المثل الكامل ص٢٨ ط٣.
٥ ـ محمد المثل الكامل ص٣٩ .
٦ ـ محمد المثل الكامل ص٤٦ .
٧ ـ المقدمة (خ).
٩ ـ طبع سنة ١٩٣٩م للمرة الأولى وتكررت طبعاته.
١٠ ـ طبع سنة ١٩٤٦م للمرة الأولى وتكررت طبعاته.

تصحيح نسبة كتاب: سيرة الحضرة النبوية
المعروف بحدائق الأنوار إلى مؤلفه الأصلى (٢)

د / ضاحى عبدالباقى

الرسول ﷺ نور يستضاء به وسيرته أفضل السير تأخذ بالألباب والعقول إذا ما عرض الإنسان لتحليل بعض جوانب حياته ﷺ.

فى المقال السابق تناول الكتاب دور النثر فى تجلية جوانب من شخصية الرسول ﷺ، وفى هذه المقالة عود على بدء يصور الكاتب من خلال الشعر فضائل شخصية الرسول ﷺ.

بحرق شاعرا:

على ضوء عرض مؤلفات بحرق نجد أنفسنا أمام عالم متنوع الثقافة، ألف فى معظم العلوم الإسلامية والعربية، وهو بالإضافة إلى كتابته النثرية كان شاعرا. وشعره صنفان: شعر تعليمى وآخر فى المناسبات. فمن شعره التعليمى ما نظم به بعض العلوم كالطب، وأوردنا طائفة من هذه الكتب فى مصنفاته. ومثال هذا الشعر قوله:

يا مُتْقنا كلمات النحو أجمعها
هذا ونوعا وأفرادا ومنتظمه
ما أربع كلمات وهى أحرفها
أيضا وقد جمعتها كلها كلمة

وقد وضح ذلك فقال: «هذا فى تمثيل الوقف على هاء السكت أى «قولك لِمَه. فالكاف فى قولك كلمة للتمثيل. واللام للحر، والميم أصلها ما الاستفهامية حذفت ألفها والهاء للسكت»(١).

ومن أمثلة شعره فى المناسبات ما مدح به عامر بن عبدالوهاب سلطان الديار اليمانية(٢) حين شرع فى بناء مدارس زبيد، وهو قوله:

أبى الله إلا تحوز المفاخرا
فسال من بين البرية عامرا
عمرت رسوم الدرس بعد دروسها
وأحييت آثار الإله الدوائرا
فأنت صلاح الدين لاشك هذه
شواهده تبدو عليك ظواهرا(٣)

وفى هذا الكتاب الذى نعرض والخاص بسيرة الرسول ﷺ شعر ذكر أنه من نظمه، وهو قصيدة مُسَمَّطة، منها:

إلا أيها الحادى إذا ما

أتيت قباب طيبة والخياما

فخيم واقر ساكنها السلاما

وقبل من منازله العتابا

هناك فَهَنّ نفسك بالوصول

وقل يانفس مأمولى وسولى

رسول الله يالك من رسول

قفى وردى مناهله العذابا[٤]

مسلكه الصوفى:

سلك بَحْرق سبيل المتصوفين وبدأ ذلك بتلمذته فى عدن على أبى بكر بن عبدالله العيدروس[٥] ثم أخذه عن الحسن بن عبدالرحمن الأهدل فى زبيد[٦] وحكى عنه أنه قال: «دخلت الأربعينية بزبيد فما أتممتها إلا وأنا أسمع أعضائى تذكر الله تعالى كلها[٧]».

وكانت له مواقف مع بعض المشعوذين الهنود جعلت بعضهم يعتنق الإسلام[٨] ويحكى هو عن نفسه فيقول: «قرأت على النبى ﷺ - أى فى المنام - خطبة الحاوى الصغير المشتملة على الاسم الأعظم وقبلت قدمه الشريف وأجازنى[٩]».

صفاته الخُلُقية:

وصف بحرق بصفات حميدة وأخلاق طيبة كريمة، بالإضافة إلى أنه كان غاية فى الكرم محسنا لأهل الخير وخاصة طلبة العلم منصفا لغيره رجاعا إلى الحق مواظبا على أفعال البر، إلا أن فيه حدة أضرت به فى كثير من أموره مما جعله يعزل نفسه عن القضاء[١٠].

وقد يتساءل بعض الناس عن كلمة بحرق التى اشتهر بها المؤلف ودلالتها. وجدنا من الأدباء من يعلل ذلك تعليلا أدبيا فيقول:

لأى المعانى زيدت القاف فى اسمكم

وما غيرت شيئا إذا هى تذكر

لأنك بحر العلم والبحر شأنه

إذا زيد فيه الشىء لا يتغير[١١]

كتاب حدائق الأنوار:

العنوان المسجل على غلاف نسخة الكتاب هو «كتاب حدائق الأنوار ومطالع الأسرار فى سيرة النبى المختار- صلى الله عليه وعلى آله وصحبه المصطفين الأخيار» تأليف الشيخ الإمام جمال الدين بركة الإسلام والمسلمين محمد بن عمر بحرق الحضرمى الشافعى رحمه الله تعالى ورضى عنه ونفع به آمين.

وعنوان الكتاب المطبوع هو نفس العنوان الوارد فى المخطوطة التى عثرت عليها بحذف كلمة «كتاب» الواردة فى أوله، وزيادة «وصحبه»، قبل كلمة «المصطفى».

وصف المخطوطة التى اعتمد عليها المحقق:

ذكر الأنصارى محقق حدائق الأنور النسخة المخطوطة التى اعتمد عليها فى التحقيق بأنها ضمن مجموع تتألف من ١٣٩ ورقة، ويضم الكتب التالية:

أولا - تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث.. وهو من مصنفات ابن الديبع الشيبانى.. ويستغرق كتاب تمييز الطيب الأوراق: ١ - ٤٩.

ثانيا: حدائق الأنوار.

ثالثا: وقع فى الورقة ١٣٦ والأسطر الستة الأولى من لاحقها نقل جاء فيه: ومن لطائف ما نقله القرطبى فى الأعلام أن الأنصار الذين ناصروا النبى ﷺ كانوا من أولاد العلماء الذين كانوا مع «تُبَّع الأكبر» فيما ذكره ابن إسحاق.

رابعا: رسالة «الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف» وهى رسالة صغير من تصنيف الشيخ جلال الدين السيوطى. وتستغرق هذه الرسالة الأوراق ١٣٧ - ١٣٩ وفى ختام هذه الرسالة ينتهى المجموع[١٢].

وهذه النسخة تم نسخها نهار الاثنين فى الثانى والعشرين من محرم الحرام سنة ٩٣٨هـ فى البلد الحرام، وتولى نسخها على بن عبدالناصر المصرى(١٣).

أما اسم الكتاب فى الأصل فهو «بصيرة الحضرة الأحمدية الشاهية بسيرة الحضرة الأحمدية الشاهية النبوية» كما ورد فى الصفحة الرابعة من مقدمة النسخة التى عثرت عليها. وما كتبه أحد القراء بجوار العنوان. وكلمة «بصيرة» معناها علم وخبرة(١٤) و«الحضرة» كلمة مولدة ويعبر بها عن ذى المكانة السامقة(١٥).

ويراد بلفظ «الأحمدية» الأولى حاكم الهند وقتئذ وهو الملك المظفر شاه أحمد بن السلطان محمود شاه كما نص على ذلك بحرق فى مقدمة هذا الكتاب(١٦) وكلمة «الشاهية» نسبة إلى الكلمة التى تعنى الملك أو السلطان أو الحاكم الأعلى فى الفارسية ومنها عبرت إلى غيرها من بعض اللغات. وصفوة القول فإن هذا يعنى أن هذا الكتاب المؤلف عن نبينا العظيم أحمد هو خير ما يقدمه المؤلف إلى الحاكم العظيم أحمد.

ابن الدَّيْبع:

ولا أحب أن أنهى هذا التقديم دون أن أعرف تعريفا موجزا بابن الديبع الذى نسب إليه هذا الكتاب فى النشرة التى صدرت فى قطر والتى قام بتحقيقها عبدالله إبراهيم الأنصارى، وسأعتمد على ما كتبه محقق هذه الطبعة:

ابن الديبع هو عبدالرحمن بن على بن محمد ابن عمر بن على بن يوسف الشيبانى العبدرى الزَّبِيدى. والديبع لقب جده على بن يوسف.

ولد بزبيد فى يوم الخميس الرابع من المحرم سنة ٨٦٦هـ ونشأ وتربى عند جده لأمه، حيث تركه أبوه طفلا وهاجر إلى الهند وبها توفى سنة ٨٧٦هـ. وقد تعلم شأن أترابه فحفظ القرآن الكريم ودرس العلوم الشرعية والعربية حتى أضحى من أعلام اليمن فى علوم عصره. وتوفى يوم الجمعة السادس أو السابع والعشرين من شهر رجب سنة ٩٤٤هـ. ومن أهم مصنفاته:

١ - تيسير الوصول إلى جامع الأصول.

٢ - تمييز الطيب من الخبيث مما يدور على ألسنة الناس من الحديث.

٣ - بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيد.

والمتتبع لسيرة الرجلين: بَحْرق مؤلف السيرة وابن الدَّيْبَع الذى نشر الكتاب باسمه، يلاحظ أن بينهما أمورا متشابهة أو بمعنى أدق متقاربة، فهما يمنيان حضرميان متعاصران، مات أولهما قبل الآخر بأربعة عشر عاما. وثقافتهما هى العلوم الشرعية.

الهوامش:

١ - النور السافر/ ٨٨.

٢ - السنا الباهر/ ٢٧٥.

٣ - الضوء اللامع ٢٥٤/٨.

٤ - حدائق الأنوار ٧٦/١ (نشر عبدالله الأنصارى المنسوب لابن الديبع سهوا).

٥ - السنا الباهر / ٢٧٣.

٦ - السنا الباهر / ٢٧٣.

٧ - النور السافر / ١٨٧. والسنا الباهر / ٢٧٧، وشذرات الذهب ١٧٦/٨.

٨ - انظر: السنا الباهر / ٢٧٧، ٢٧٨.

٩ - السنا الباهر / ٢٧٦.

١٠ - السنا الباهر / ٢٧٦. ٢٧٧ نقلا عن عبدالله بن عمر بامخرمة فى ذيل طبقات الإسنوى.

١١ - شذرات الذهب ١٧٧/٨.

١٢ - حدائق الأنور (م ٦٣ تحقيق الأنصارى. وهذا الوصف لهذه المجموعة يعنى أن كتاب حدائق الأنوار يضم من هذه المجموعة الصفحات من ٥٠ إلى ١٣٥ أى ٨٦ ورقة.

١٣ - المرجع السابق م٦٤.

١٤ - المصباح المنير (بصر).

١٥ - الوسيط (حضر).

١٦ - ص ٤ من المخطوطة.

تحويل القبلة.. مغزاه ومعناه

شاءت إرادة الله تعالى أن يتوسط شهر شعبان بين شهرين لهما فضلهما فى الإسلام. أحدهما: شهر رجب وهو من الأشهر الحرم التى تحدث القرآن الكريم عنها وعن مكانتها وكذلك السنة النبوية - وثانيهما: شهر رمضان المعظم الذى شرفه الله تعالى بأعظم نعمة فى هذا الكون. وهى بدء نزول القرآن الكريم على سيدنا رسول الله ﷺ.. سمى شعبان بهذا الاسم لأنه يتشعب منه خير كثير - ومن نفحات هذا الشهر أنه يقوى من إيمان المؤمن حتى يكون أهلا لاستقبال شهر رمضان وهو قوى العقيدة ثابت الإرادة.

الشيخ/ فكرى حسن إسماعيل

ولقد ورد الكثير من الأحاديث الصحيحة التى وضحت فضل شهر شعبان كله. لا فرق بين ليلة وليلة.. وأكدت الأحاديث على فضل كثرة الصيام فيه.. وكان من هدى رسول الله ﷺ كثرة الصيام فيه تطوعا أكثر من غيره.. وحين سئل أى الصيام أفضل بعد رمضان؟ قال - عليه الصلاة والسلام - **«شعبان لتعظيم رمضان»** وتعظيم شهر رمضان لن يكون بالكلام أو الزينات والاهتمام بكثرة ادخار الطعام، وإنما يكون بحسن استقباله، وعدم التبرم من صيامه وتهيئة النفس لهذا الصيام المفروض.. كما أكدت الأحاديث على أن رفع أعمال العباد إلى الله تعالى كل عام يكون فى شهر شعبان.

روى النسائى فى سننه أن أسامة بن زيد - رضى الله عنهما - قال: قلت يارسول الله لم أرك تصوم فى شهر من الشهور كما تصوم فى شعبان؟ قال - عليه الصلاة والسلام - ذاك شهر يغفل الناس عنه يقع بين رجب ورمضان فيه ترفع الأعمال إلى الله وأحب أن يرفع عملى إلى الله تعالى وأنا صائم.. ولقد وضحت السنة الصحيحة أن رسول الله ﷺ لم يستكمل صيام شهر إلا رمضان ولم يكثر الصيام فى شهر إلا فى شعبان. ولم يصم الأشهر الثلاثة سردا كما يفعل بعض الناس فى صيامهم لشهر رجب وشعبان ورمضان.. ولم يرد أى حديث يدعو إلى صيام هذه الأشهر.

أحداث وذكريات

ومن أهم ذكريات شهر شعبان تحويل القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام.. ذكر علماء الحديث والسيرة أن تحويل القبلة كان فى شعبان وجزم بها الإمام النووى فى شرحه لصحيح الإمام مسلم حيث أكد أن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام كان فى شهر شعبان من السنة الثانية من الهجرة وفى اليوم الخامس عشر من شعبان وذلك بعد أن صلى رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس والمسلمون معه ستة عشر شهرا. تم هذا التحويل تحقيقا لرغبة رسول الله ﷺ التى تحدث عنها القرآن الكريم قال تعالى: **﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾** البقرة: آية ١٤٤.

ومن زاوية أخرى كان هذا التحويل اختبارا لأصحاب رسول الله ﷺ ومعرفة لمدى استجابتهم لأوامر رسول الله ﷺ تصديقا لقول الله تعالى **﴿وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله﴾** البقرة: آية ١٤٣.

فالمؤمنون الصادقون فى إيمانهم لا يشكون فى أى شىء يأمر به رسول الله ﷺ فهم على يقين جازم بأن كل ما جاء به رسول الله حق لا مرية فيه لأنه نبى مرسل قال الله تعالى فى حقه: **﴿وما ينطق عن الهوى* إن هو إلا وحى يوحى* علمه شديد القوى﴾** النجم: الآيات ٣ - ٥.

ولقد قرر القرآن الكريم هذا بالنسبة لأصحاب رسول الله ﷺ قال الله تعالى: **﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون* وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾** التوبة: الآيتان ١٢٤، ١٢٥، هذا الثناء من الله على أصحاب رسول الله ﷺ من أهل الإيمان والتقوى والورع ماهو إلا وسام شرف على صدورهم إلى يوم القيامة.

والمشهور أن أول صلاة صلاها رسول الله ﷺ شطر الكعبة هى: صلاة العصر. ولهذا تأخر الخبر عن أهل مسجد قباء إلى صلاة الفجر.

عن عمارة بن أوس قال: بينما نحن فى الصلاة نحو بيت المقدس ونحن ركوع إذ نادى مناد بالباب: إن القبلة حُوِّلتْ إلى الكعبة. قال: فأشهد على إمامنا أنه انحرف فتحول هو والرجال والصبيان وهم ركوع نحو الكعبة» رواه ابن مردويه.

وعن نويلة بنت مسلم قالت: صلينا الظهر أو العصر فى مسجد بنى حارثة فاستقبلنا مسجد إيلياء فصلينا ركعتين ثم جاء من يحدثنا أن رسول الله ﷺ قد استقبل البيت الحرام فتحول النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء فصلينا السجدتين الباقيتين ونحن مستقبلون البيت الحرام فحدثنى رجل من بنى حارثة أن النبى ﷺ قال: **«أولئك رجال يؤمنون بالغيب»** ومجمل القول أن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام بمكة قد كشف عن ضغائن اليهود وعنادهم على إنكار ما يعرفونه عن رسول الله ﷺ من خلال ما جاء فى توراة موسى عليه السلام التى لم تبدل ولم تغير قال الله تعالى: **﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما**

بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين﴾ البقرة: آية ١٤٥.

لقد شاءت إرادة الله تعالى أن يكون شهر شعبان ظرفا لحدث تاريخى عظيم كان له أبعد الأثر فى تاريخ المجد الإسلامى وحياة المسلمين هذا الحدث التاريخى هو تحويل القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام.. ولعل من أهم أسرار ذلك والربط بين القبلتين، وتوثيق الصلة بينهما، كما أنه كان تعريبا لبيت المقدس وما حوله، وتأكيدا للقيم الروحية الأصيلة والرسالات السماوية التى انبثقت قديما فى رحابه وحوله بالإضافة إلى ما هو معروف من استمالة أهل الكتاب وإشعارهم بوحدة الرسالات السماوية السابقة واحترام الإسلام لسائر رسالات السماء وصدق الله تعالى حيث يقول: **﴿شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾** الشورى: آية ١٣، والربط بين هاتين القبلتين إنما هو فى الحقيقة ربط بين أرض مقدسة وأخرى مقدسة كذلك كل منهما متمم للآخر من حيث الأهداف والغايات والمثل العليا للحياة. ولقد جاء فى القرآن الكريم ما يشير إلى هذا الارتباط الوثيق بين هاتين القبلتين قال تعالى فى أول سورة التين: **﴿والتين والزيتون* وطور سينين* وهذا البلد الأمين* لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم﴾** التين: الآيات ١ ـ ٤، فالتين والزيتون إشارة إلى أرض القبلة الأولى التى تنبتهما وهى: فلسطين، والبلد الأمين هى أرض القبلة الثانية التى نشأ فيها الإسلام، وهبط فيها الوحى على خاتم الأنبياء والمرسلين. وفى اتجاه المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها إلى قبلة واحدة ما يشير إلى أن الأمة الإسلامية أمة واحدة، وأن من أهم أهدافها جمع الكلمة ووحدة الصف والدفاع عن القيم والفضائل. ونشر السلام والأمن فى ربوع العالم كله..

وإذا كنا نذكر لشهر شعبان تحويل القبلة فإن هناك من الأحداث والذكريات الكثير الذى يؤكد على مكانة هذا الشهر.. ففى الرابع من شهر شعبان سنة خمسمائة وثلاث وثمانين من الهجرة أقيمت أول صلاة للجمعة بالقدس الشريف بعد أن استردها صلاح الدين الأيوبى من الصليبيين الذين حجبوا معالمها الدينية والروحية عن المسلمين أكثر من تسعين عاما..

وفى هذا اليوم التاريخى ازدحم المسجد الأقصى بالمصلين وصعد القاضى محيى الدين المنبر فاستفتح خطبته التاريخية بقوله تعالى: **﴿فقطع دابر الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين﴾**.. ونأمل نحن المسلمين الآن ونتمنى وندعو الله أن يفك أسر المسجد الأقصى من الغاصبين فى أسرع وقت وأن يبدأ خطيب المسجد الأقصى بعد تحريره خطبته بهذه الآية الكريمة: «وفى أول شعبان سنة خمسمائة وخمس وثمانين أتم البطل صلاح الدين الأيوبى تحطيم حصار عكا الذى أراده الصليبيون سلاحا لإجبار أهل عكا على الخضوع والاستسلام.. لقد حطم صلاح الدين هذا الحصار وأذل أعداء الإسلام، وفى الثالث من شعبان سنة ستمائة وثلاث استسلمت انطاكية المدينة الرومانية الساحلية التى تماثل مدينة القسطنطينية فى أهميتها للقوات الإسلامية المظفرة بقيادة السلطان غياث الدين التركى على الرغم من مناصرة الصليبيين القبارصة لأهل أنطاكية ـ هذا قليل من كثير من أهم الأحداث التاريخية التى وقعت فى شعبان. وعلى المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها أن ينتبهوا إلى هذه الأمجاد وأن يتحدوا فيما بينهم وأن يعقدوا العزم على تحرير المسجد الأقصى ـ ولنوضح للعالم كله مدى احترام الإسلام وأتباعه لأهل الرسالات الأخرى، فالمسلمون على مدى تاريخهم التليد لم يهدموا كنيسة ولم يروعوا مخالفا وإنما كانوا دائما رسل سلام وحب ووئام لأن دينهم يدعو إلى السلام وتحيتهم السلام.

أشهر الدعاة فى العصر الحديث

السيد محمد بن على السنوسى وخلفاؤه والدعوة السنوسية

أ. د. محمد إبراهيم الجيوشى

السيد محمد بن على السنوسى مؤسس الدعوة السنوسية، ولد فى قرية واسطة بالقرب من مستغانم بالجزائر عام ١٢٠٢هـ - ١٨٠٠م فى بيت عريق فى المجد الإسلامى يتصل نسبه بالحسن بن على - رضى الله عنهما - ويعرف رحمه الله بالسنوسى الكبير. عرف منذ صغره بحبه للعلم، وأخذ نفسه بطريق الأتقياء الصالحين فى سلوكه وأخلاقه وتعامله مع الآخرين.

وفى أيامه الأولى تتلمذ على عدد من شيوخ بلدته، ثم تطلعت نفسه إلى اكتساب المزيد من العلم فرحل إلى فاس بالمغرب حيث تلقى العلم على شيوخ القرويين لمدة سبع سنوات اتجه فيها إلى التصوف ودراسة قيمه، ومناهج شيوخه ورجاله وفى خلال إقامة الشيخ فى فاس اكتسب شهرة واسعة، ونال ثقة طلابه بما رأوه من غزارة علمه واخلاصه وتقواه.

وبعد أن تم له ما أراد فى القرويين اتجه إلى جنوب الجزائر مدرسا وداعيا وناشرا للعلم ضاربا المثل بالاستقامة والقدوة والصلاح والتفانى فى إصلاح الناس. ولم يطب له المقام بالجزائر، ووجد أنه لن يستطيع تحقيق ما بدأ يعتمل فى نفسه من إيقاظ المسلمين، ودعوة العالم الإسلامى إلى الوحدة، والوقوف صفا واحدا، أمام الزحف الاستعمارى والأطماع الغربية فى بلاد المسلمين، فاتجه إلى طرابلس داعيا ومدرسا وموقظا للمسلمين، ثم بدا له أن يزداد معرفة بالعالم الإسلامى، فرحل إلى مصر، واتجه إلى الأزهر معلما ومتعلما، ثم شد الرحال إلى بيت الله الحرام حاجا، واستقر بمكة مدة من الزمن، واختلط بعلماء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتلقى عنهم، فازداد علما، ووقف على قضايا العالم الإسلامى بصورة أوضح من خلال لقائه بوفود الحجيج فى مواسم الحج وحدث أن نشب خلاف بين الشيخ أحمد بن إدريس أحد أساتذة الشيخ السنوسى بمكة وبعض علماء المالكية رحل الشيخ ابن إدريس على أثر هذا الخلاف إلى اليمن فصحبه الشيخ السنوسى، وظل باليمن حتى توفى الشيخ أحمد بن إدريس فعاد السنوسى إلى الحجاز وكان قد استقر فى ذهنه الخطة التى سيعمل من خلالها لتنفيذ منهجه الدعوى، والعمل على إيقاظ العالم الإسلامى، من خلال الزوايا التى أخذ فى إنشائها، وعمل على أن تكون مراكز علم وعمل وإعداد للأجيال وتربية لشباب المسلمين على الجهاد إلى جانب اكتساب السلوك الإسلامى الصحيح والأخذ بأخلاق الإسلام فى كل مناهج الحياة، وتدريب المنضمين إلى هذه الزوايا على العمل فى الزراعة والصناعة وإصلاح الأرض وتحويل الصحارى إلى مزارع وواحات وكان ذلك فى عام ١٢٥٢هـ، ويمكن اعتبار هذا التاريخ البداية العملية لنشأة الدعوة السنوسية، وظل بالحجاز بعد ذلك ثلاث سنوات أنشأ فيها عددا آخر من الزوايا ويلاحظ هنا أن الشيخ السنوسى طور فكرة الزوايا التى كان يتخذ منها الصوفية أماكن للإقامة والطعام والشراب والانقطاع عن النشاط الإنسانى العام ما عدا التفرغ للعبادة فقد طورها وجعلها مراكز

للإعداد والتوجيه والتربية والتعليم والتدريب على الجهاد واستفادة الخبرات الصناعية والزراعية.

ثم غادر الحجاز، ولكنه لم يتمكن من الذهاب إلى الجزائر لاحتلال الفرنسيين لها قبل هذا التاريخ بوقت قصير، فولى وجهه شطر فاس، وأخذ يمارس الدعوة إلى منهجه الجديد، ولكن الحكومة هناك آنذاك نظرت إلى نشاطه بقلق فضيقت عليه الخناق، فتوجه إلى طرابلس الغرب، وهناك أخذ فى تنفيذ خطته فأنشأ الزاوية البيضاء فى الجبل الأخضر عام ١٢٥٩هـ وكانت تسمى أم الزوايا، ومن خلال إقامته فى طرابلس أخذ فى الإسهام فى ثورات الجزائر ضد الفرنسيين، وتابع السيد السنوسى نشاطه فى أنحاء البلاد الليبية برقة وطرابلس، وأنشأ عددا من الزوايا واتسعت الدعوة وصار لها أتباع فى كل قرية وقبيلة وانتقل الشيخ السنوسى إلى واحة جغبوب، ويعلل الأمير شكيب أرسلان سبب انتقاله إلى جغبوب، فيقول كان السيد محمد رجلا شديد الهيبة، بعيد الهمة، عظيم الاقتدار على التنظيم والإصلاح، فقصده الناس أفواجا من كل صقع من الأصقاع الأفريقية الشمالية، بيد أنه لم يمض غير اليسير من الزمن، حتى باتت الحكومة التركية فى طرابلس تخشى أمره، وتقوم وتقعد لشأنه، فساءت العلاقات والشئون بينه وبينها، فنقل مقامه إلى واحة «جغبوب» الواقعة للجنوب من صحراء ليبية، وجعل مقره هناك، ولما توفى سنة ١٨٥٩م كانت الطريقة التى أنشأها قد انتشرت انتشارا عاما فى معظم الرقعة الأفريقية الشمالية وتاريخ وفاة الشيخ بالهجرى ١٢٧٦هـ.

السيد المهدى الخليفة الأول: لما توفى السيد محمد السنوسى كان ابنه لايزال صغيرا، فأقيم مجلس وصاية من عشرة شيوخ للعناية بأمر الدعوة حتى يبلغ السنوسى المهدى، ويروى الأمر شكيب أرسلان قصة ذات مغزى عن سبب تولى السيد المهدى قيادة الدعوة بعد أبيه على الرغم من أنه لم يكن أكبر أبنائه وخلاصة هذه القصة أن السنوسى الكبير كان له ولدان هما الشريف والمهدى أصغرهما، وأراد أبوهما أن يختبرهما ويتعرف مدى استعداد كل منهما وكانا لايزالان صغيرين فدعاهما أمام جمع من أهل الزاوية وأمرهما بأن يتسلقا نخلة باسقة فلما بلغا قمتها استحلفهما بالله ورسوله الكريم أن يهويا فى الحال بنفسيهما إلى الأرض، فهوى المهدى بنفسه وأدرك الأرض سالما ولبث الآخر فى قمة النخلة، فقال السيد لمن حوله «الخلافة من بعدى إنما هى لولدى هذا المهدى الذى لم يتردد فى تسليم نفسه لمشيئة الله عز وجل».

والسيد المهدى ولد فى الزاوية البيضاء، ولما تسلم قيادة الدعوة قام بها على خير وجه وسار على طريقة أبيه وبلغت الدعوة فى عهده أقصى ازدهارها، وقد رأى السيد المهدى أن ينقل مركز الدعوة إلى واحة الكفرة جنوب الجغبوب لأنها كانت ملتقى القوافل من جميع أنحاء أفريقيا الوسطى والشمالية(١).

وكانت القوافل والتجار الذين يلتقون بواحة الكفرة سببا فى نشر الإسلام فى جهات أفريقيا النائية، وأرسل السيد المهدى دعاته إلى أنحاء أفريقيا، حتى استشعر الأوروبيون مدى خطر الدعوة السنوسية أيام السيد المهدى على نفوذهم فى أفريقيا، فشكوا إلى السلطان عبدالحميد، وأخذ الأوروبيون يضغطون على السلطان ليستدعى المهدى إلى الأستانة، ويأمره بالإقامة فيها، ولا يسمح له بالعودة إلى وطنه، وكان السلطان يماطلهم، وينتحل المعاذير، واهتم السيد المهدى بعمران الكفرة حتى صارت جنة وارفة الظلال فى أعماق الصحراء، وكان من أسباب انتقاله إلى الكفرة إلى جانب ما سبق أن سقناه أنه أراد أن يوغل فى الصحراء ويكون بعيدا عن نفوذ الدول الاستعمارية، وكان بجهوده ودعاته المزاحم الأكبر لجمعيات المبشرين الأوروبيين المنتشرين فى أفريقيا، وعلى يدى السيد المهدى وبسبب دعايته النشطة ودعاته الذين أرسلهم إلى أعماق القارة الأفريقية اعتنق الإسلام الملايين من الزنوج من سكان بلاد النيجر والكونغو والكاميرون وديار

بحيرة تشاد، ولهذا ضجت جمعيات المبشرين وأخذت تشكو حزنها وتبث أساها من نجاح الإسلام فى أواسط أفريقيا وعن مسلك السيد المهدى يقول الأمير شكيب أرسلان: «فقد كان السيد المهدى يهدى هدى الصحابة والتابعين»، لا يقتنع بالعبادة دون العمل، ويعلم أن أحكام القرآن محتاجة إلى السلطان، فكان يحث إخوانه ومريديه دائما على الفروسية والرماية، ويبث فيهم روح الأنفة والنشاط، ويحملهم على الطراد والجلاد ويعظم فى أعينهم فضيلة الجهاد، وقد أثمر غراس وعظه فى مواقع كثيرة لاسيما فى الحرب الطرابلسية التى أثبت بها السنوسية أنهم قوة مادية تضارع قوة الدول الكبرى وتصارع أعظمها جبروتا وكبرا، وليست الحرب الطرابلسية وحدها هى التى كانت مظهر بطش السنوسيين، بل سبقت لهم حروب مع الفرنسيين فى مملكة كام ومملكة واداى من السودان استمرت من سنة ١٣١٩ إلى ١٣٣٢هـ(٢) يعنى أربعة عشر عاما.

وكان السيد المهدى عنده خمسون بندقية خاصة به، كان يتعهدها بالمسح والتنظيف بيده، يفعل ذلك متعمدا ليقتدى به أتباعه ويهتموا بأمر الجهاد.

وكان يخصص يوم الخميس من كل أسبوع للأعمال اليدوية فيترك الطلاب الدراسة، ويشتغلون بأنواع المهن من بناء ونجارة وحدادة ونساجة وصحافة، وكان السيد المهدى يشاركهم ليبعث فيهم النشاط والمنافسة.

وكان يوم الجمعة مخصصا للتمرينات الحربية، من طراد ورماية، وكان طلبة العلم نتيجة لذلك فرسانا ورماة لكثرة ما يأخذهم به من المران.

ولم يكن أمر الزراعة بأقل شأنا مما سبق، فكان السيد المهدى وأبوه من قبله يعملان على تحويل الصحراء إلى جنات، فكانت الزوايا تحيط بها البساتين وتزرع فيها أصناف الأشجار المستقدمة من أقصى البلاد، إلى جانب الاهتمام بتأمين المياه للشرب والزراعة فكانوا يحفرون الآبار ويتعارفون على أماكن العيون فى جوف الصحراء يقيمون من حولها زواياهم حتى إن الأمير شكيب أرسلان قال إنه قام مع غيره برحلة من الإسكندرية إلى بنى غازى فى الصحراء فى طريق يعرف بالطريق السلطانى، فكانوا يجدون زاوية من حولها البساتين والآبار كل ثلاث ساعات أو أقل عدا الزوايا المنبثة فى أماكن أخرى بعيدا عن الطريق.

وقد بلغ عدد الزوايا فى أيام السيد المهدى ١٤٦ زاوية وكان السيد المهدى يشجع الشباب على الجد والعمل فكانوا يسألونه أن يعلمهم الكيمياء، فيقول لهم، الكيمياء تحت سكة المحراث، وأحيانا يقول، الكيمياء هى كد اليمين وعرق الجبين، وكان يدعو إلى الحياة العملية، ويقول «يكفيكم من الدين حسن النية والقيام بالفرائض الشرعية، وليس غيركم بأفضل منكم، وظل هكذا داعيا عاملا موجها قدوة فى العلم والعمل والسلوك الأخلاقى حتى لقى ربه راضيا مرضيا عام ١٩٠٢م(٣).

الدوافع التى دعت السنوسى الكبير إلى القيام بدعوته

أثر عن السنوسى الكبير - رحمه الله - كلام سجل فيه الأسباب التى دفعته إلى القيام بدعوته والعمل على نشرها فقال:

أفكر فى العالم الإسلامى، فعلى الرغم من سلاطينه وأمرائه ورؤسائه وعلمائه، فهم لا يزيدون عن أن يكونوا كقطيع من الغنم لا راعى له، فى كل محال من محلات الإسلام تجد المسلمين وعلماء الدين، ولكنك لا تجد فى العالم الإسلامى مرشدا حقيقيا تكون غايته سوق الجميع إلى هدف واحد، ولكن الخلاف والتفرق قد سادا جميع النواحى، لأن العلماء والمشايخ ليست لهم غيرة دينية حتى ينشروا العلوم والمعارف، انظروا أحوال أهل السودان والصحراء تجدوا أمواجا من الشعوب يعبدون الأوثان، ويوجد فى كل مسجد من مساجد المعمورة جماعة من العلماء غير العاملين، ولا هم لهم غير راحة أجسادهم، حريصين على لذاتهم، غير قائمين بواجباتهم، لا ضمائرهم تؤنبهم على إهمالهم إرشاد هؤلاء المساكين، وقد اتصل بنا خبر أحوال العالم الإسلامى من القوافل التى ترد إلى

بلادنا، وأننا مغلوبون فى كل محل وأن المقاطعات والخطط المعمورة تذهب من أيدى المسلمين فى كل وقت وبسرعة البرق، فالإسلام فى حالة من التدهور المخيف وقد فكرت فيه.

من هذا النص نتعرف أن الدوافع إلى السنوسى ليقوم بدعوته هى:

١ - الفرقة وعدم الاتحاد بين قادة المسلمين وعلمائهم.

٢ - عدم وجود دعاة حريصين على تبصير الناس بدينهم.

٣ - انعدام الغيرة الدينية عند العلماء والشيوخ.

٤ - الانصراف إلى خدمة الذات وعدم الاهتمام بالمسلمين.

٥ - تغلب أعداء المسلمين على بلادهم وانتزاعها منهم.

انطلاقا من الإحساس بواقع المسلمين السيئ الذى شخصه السنوسى فى كلماته السابقة فإنه أخذ يضع الأسس لدعوته التى يحاول أن يجمع الناس من حولها ليسترد المسلمون حقوقهم، وتعود إليهم مكانتهم، وقد وضع أسسا أربعة لدعوته.

١ - العودة بالإسلام إلى منابعه الأولى.

٢ - فتح باب الاجتهاد.

٣ - نشر الإسلام فى البلاد التى لم ينتشر بها.

٤ - مقاومة النفوذ الأجنبى والتصدى له حتى لا تقع بلاد المسلمين ومقدراتهم لقمة سائغة فى أيديهم.

السيد أحمد الشريف السنوسى

هو خاتم المجاهدين من هذه الدوحة المباركة دوحة السنوسية الذين قاموا على خدمة الإسلام والمسلمين وقد آلت إليه قيادة الحركة السنوسية بعد وفاة عمه المهدى عام ١٩٠٢م، فنهض الرجل بعبء الدعوة وإعداد الرجال على خير وجه، وكافح القوى الاستعمارية من فرنسيين وإيطاليين وانجليز وكانت له مواقف مشهودة تحتاج إلى مجلد ضخم لتسجل مواقف ذلك الرجل العظيم وجهاده، وقد كتب عنه الأمير شكيب أرسلان فقال: هو خاتمة مجاهدى الإسلام إلى هذا الوقت.. ولولا السيد أحمد الشريف - رحمه الله - لكانت إيطاليا استصفت قطر طرابلس وبرقة من الشهر الأول من غارتها الغادرة عليهما، وإننا لانزال نتذكر كلام القواد ورجال السياسة الأوروبية عن الحملة الإيطالية يوم جردتها على ذينك القطرين إذ قال بعضهم إن إيطاليا ستقبض على ناصية الأمر وتستكمل هذا الفتح، فى مدة خمسة عشر يوما، وقال أشدهم تشاؤما وأقلهم تخيلا وأبصرهم بأمور الشرق، وهو اللورد كتشنر المشهور إن هذا الفتح الذى يستسهله الناس على إيطاليا أمامه من الصعوبات أكثر مما يظنون وقد يستغرق ثلاثة أشهر بالأقل فليتأمل أولوا الألباب كيف أن هذه الأشهر الثلاثة امتدت عشرين عاما ورزأت الدولة الإيطالية بمائة وخمسين ألف عسكرى قتلى عدا الجرحى، وبثلاثمائة مليون جنيه من الذهب الوضاح.

وقد واجه السيد أحمد الشريف السنوسى هذه القوة الغادرة وحاول الاستعماريون استمالته وخطب وده ولكنه اعتصم بإسلامه ودينه الذى نذر حياته من أجله، وظل يحارب حتى كاد يقع فى الأسر، وبعدها ذهب إلى تركيا فى غواصة ركبها من شواطئ البحر الأبيض وظل فى تركيا، وعرضت عليه الخلافة فأبى ولما تحولت تركيا إلى العلمانية كادوا له وطلبوا خروجه منها فاتجه إلى سوريا ثم إلى الحجاز وظل هناك حتى لقى ربه عام ١٩٣٣م فرحمه الله وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيرا بما قدم من قدوة حسنة ومثال فذ لشباب المسلمين كى يحذوا حذوه ويعيدوا لأمتهم مجدها.

الهوامش:

١ - (راجع حاضر العالم الإسلامى جـ١ ص٢٩٥، ٢٩٦، الطبعة الثانية).

٢ - (راجع حاضر العالم الإسلامى جـ١ ص١٦٢).

٣ - (راجع حاضر العالم الإسلامى جـ٦ ص١٤٦).

الأسرة فى التشريع الإسلامى

- الإسلام والشباب: مرحلة الشباب من أهم مراحل العمر
- محاسن الإسلام ومزاياه فى تشريعات المرأة (٥)
- الإسـلام وتنظيم الأسـرة

الإسلام والشباب
مرحلة الشباب من أهم مراحل العمر

أ. د. أحمد عمر هاشم

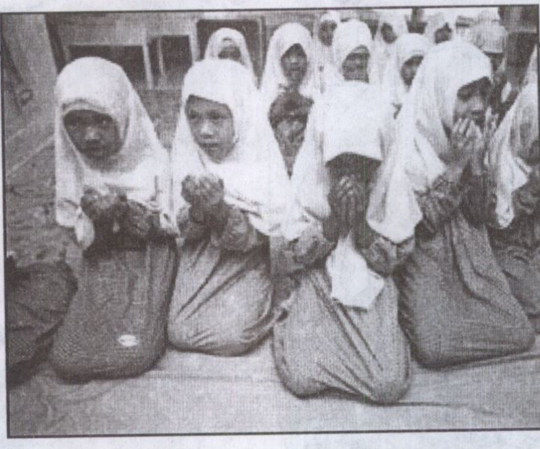

الشباب مرحلة من مراحل العمر، تتمثل فيها القوة والحيوية، والحركة والنشاط، ومرحلة الشباب هذه جعلها الله سبحانه وتعالى وسطا بين مرحلتين، كلتاهما تتسم بالضعف:

● المرحلة الأولى: هى مرحلة الطفولة من حين يولد الطفل ضعيفا لا يقدر على الحركة، ولا يستطيع التعبير، ولا يعى من الأمر شيئا كما قال الله تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ النحل: آية ٧٨.

● **والمرحلة الأخرى:** هى مرحلة الشيخوخة والكبر وفى هذه المرحلة تنقلب حال الإنسان من القوة إلى الضعف، فتنتقص معلوماته وتضعف بنيته وقواه، كما قال تعالى: **﴿ومن نعمره ننكسه فى الخلق أفلا يعقلون﴾** يس: آية ٦٨، فمن وصل إلى هذه المرحلة يكون قد تقلب فى المراحل الثلاث، وانتهى حاله إلى الضعف والنقص والنسيان فلا يعلم - بعد علم - شيئا، كما قال تعالى مستدلا بتلك المراحل والأطوار على البعث، قال تعالى: **﴿ياأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾** الحج: آية ٥.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المراحل فى قول الله تعالى: **﴿الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم**

جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾ الروم: آية ٥٤.

ومرحلة الشباب إنما تعتبر من أدق المراحل فى حياة الإنسان، لأن الشباب يحملون نفوسا خصبة صالحة للخير والإصلاح، وقلوبا صافية لم تقتحمها - بعد - عادات سيئة، ولا تقاليد ضارة ولا ضروبا من الأخلاق التى تتراكم فى العادة لدى الكبار، ومن أجل هذا كانوا أسرع فئات المجتمع إلى قبول النصيحة، واستجابة الدعوة، وكان لتوجيههم وإرشادهم أكبر الأثر فى مستقبل حياتهم، خاصة منذ الصغر، قبل أن يشبوا ويكبروا على بعض العادات أو الرذائل التى قد تغشاهم فترة ما من الزمن. أو تهب عليهم عواصف الشك والقلق، فيصبح علاجهم حينئذ صعبا، لأن من شب على شىء شاب عليه.

وفى هذه المرحلة أيضا، كثيرا ما تتحرك المعواطف، وتهب من ركودها فى نشاط وحيوية، تتسم بحسن الخلق، والإعجاب بمظاهر البطولة فى سبيل الدين والوطن، كما تتسم بحدة العقل.

ومن نصائح السلف قول ابن شهاب الزهرى: «لا تحقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم، فإن عمر بن الخطاب كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الفتيان، واستشارهم يبتغى حدة عقولهم».

وكان الرسول ﷺ يعنى بتشجيع الشباب، ويكشف عن أهمية دورهم فى الحياة، فيمنحهم الثقة بأنفسهم، إذ يثق بهم فى معضلات الأمور، وأصعب المهام وأخطرها، فيسند إليهم أعمالا عظيمة، ويوليهم القيادة، فقد أعطى الرسول ﷺ عليا الراية يوم بدر وسنه يومها نحو عشرين سنة، وأعطى زيد بن ثابت راية بنى النجار يوم تبوك، وسنه نحو عشرين سنة، وأعطى زيد بن ثابت لواء السرية التى جهزها، وسنه نحو عشرين سنة وقيل تسعة عشر سنة.

عنى الرسول ﷺ بتشجيع الشباب والثقة بهم فى معضلات الأمور فأسند إليهم الأعمال العظيمة وولاهم أمور القيادة

رعاية الشباب فى ضوء القرآن الكريم

إذا نظرنا إلى رعاية الشباب فى ضوء القرآن الكريم، فإننا سنقف أمام عطاء غامر، ودروس باهرة تتضافر فى إبراز ما للشباب من أهمية، وتلقى الضوء على كيفية المحافظة عليهم، وتوجيههم وتربيتهم وتعليمهم.

وسنحدد الحديث هنا عن رعاية الأبناء فى أربعة عناصر:

أولا: إنهم نعمة من الله سبحانه وتعالى، يتمناها الناس، كما تمناها الأنبياء، فلذا يدعون ربهم أن يهبهم ذرية طيبة.

ثانيا: رعاية الله تعالى لهم منذ الإقرار فى الرحم، إلى أن يخرجوا إلى الوجود.

ثالثا: المحافظة على حياة الأبناء، ورعاية طفولتهم، والدفاع عنهم، وتوفير السعادة لهم.

رابعا: تربيتهم وتعليمهم.

أما بالنسبة للأمر الأول، وهو أنهم يمثلون نعمة من أكبر النعم التى يتمناها الناس، كما تمناها الأنبياء، ويدعون ربهم بها فترى قول الله تعالى فى

وصف عباده الذين شرفهم بالإضافة إليه، وسماهم عباد الرحمن قال: **﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما﴾** الفرقان: آية ٧٤.

وقال سبحانه فى شأن زكريا عليه السلام: **﴿هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء﴾** آل عمران: آية ٣٨.

وأنهم أيضا زينة الحياة الدنيا، وقد أشار القرآن الكريم إلى أن هذه النعمة قد ينالها البعض ولا ينالها آخرون، وما يمنح الله لعباده منها قد يكون ذكرا وقد يكون أنثى، وقد يكون الأبناء من الذكور والإناث، وقد لا ينجب الرجل مطلقا بأن يكون عقيما، وذلك كله إن دل على شىء فإنما يدل على سعة علمه تعالى وحكمته، وقدرته وإرادته.

الإسلام أمر الأوصياء أن يخشوا ربهم ويتقوه فى أمر اليتامى وأن يتصرفوا معهم بما يحبون أن يفعل بذريتهم الضعفاء بعد موتهم

قال سبحانه: **﴿لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور* أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير﴾** الشورى: الآيتان ٤٩، ٥٠.

ومن أجل هذا: فإن القرآن الكريم حين يشير إلى الأبناء باعتبارهم زينة يتزين وينعم بها الإنسان، كما يتزين وينعم بالمال، فإنه يردف الحديث بأن الأبقى له ثوابا ونفعا، وأن خير ما يتحقق للإنسان من أمل فى الآخرة، مما كان يتمناه ويؤمله فى الدنيا، إنما يكون فى الباقيات الصالحات من أعمال الخير، التى تبقى ثمرتها، فقال سبحانه: **﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا﴾** الكهف: آية ٤٦.

وهداية الأبناء أمنية الآباء التى يدعون بها لهم ولأنفسهم.

قال تعالى فى شأن إبراهيم عليه السلام، وحرصه على هداية بنيه: **﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام﴾** إبراهيم: آية ٣٥.

ويصور القرآن الكريم أثر الآباء فى الأبناء، حين تصح عقيدتهم ويسلكون الصراط المستقيم ويتبعون هدى الله فتتبعهم ذريتهم على طريق الإيمان، قال سبحانه: **﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء كل امرئ بما كسب رهين﴾** الطور: آية ٢١.

وأما بالنسبة للأمر الثانى، وهو رعاية الله للأبناء بعد الإقرار فى الرحم فقد وضح القرآن الكريم أطوار الخلق، مبينا كيف كانت رعاية الله للإنسان، منذ اللحظة الأولى التى كان فيها نطفة، ثم تدرج إلى علقة، ثم إلى مضغة.. إلى أن يخرج طفلا ثم إلى أن يكبر، واستدل بهذه الأطوار على كمال قدرته تعالى على البعث.

قال سبحانه: **﴿ياأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم**

نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم..﴾ الحج: آية ٥.

كما أعطى الإسلام للأبناء حق الرضاع حتى يضمن للطفل من اللحظات الأولى ما تنهض به حياته، وتقوم عليه، فقال سبحانه: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده..﴾ البقرة: آية ٢٣٣.

وأما عن الأمر الثالث، وهو المحافظة على حياة الأبناء، والدفاع عنهم، وتوفير السعادة لهم: فقال الله تعالى: ﴿ولاتقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم﴾ الأنعام: آية ١٥١.

فقد نهى الله عن قتلهم من أجل فقر موجود، واقع حال. وفى موطن آخر. قال تعالى: ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق..﴾ الإسراء: آية ٣١، أى مخافة وقوع فقر.

كما راعى الإسلام - فى سبيل المحافظة على حياة الأبناء حمايتهم وصيانتهم من التعرض لهزات الزمن، وتقلب الحياة فأمر الأوصياء أن يخشوا ربهم ويتقوه فى أمر اليتامى، وأن يتصرفوا معهم بما يحبون أن يفعل بذريتهم الضعفاء بعد موتهم، قال الله تعالى: ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا﴾ النساء: آية ٩.

وأما بالنسبة للأمر الرابع، وهو تربية الأبناء وتعليمهم: فقد قدم لنا القرآن الكريم صورة من الوصايا فى إطار متكامل، ترسم للشباب معالم الطريق، وملامح الحياة المستنيرة المستقيمة التى تظل موصولة بالله وبالمجتمع الذى يعيشون فيه، وهذه الوصايا يقدمها القرآن على لسان لقمان يقول سبحانه: ﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم* ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير* وإن جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون* يابنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير* يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور* ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور* واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ لقمان: الآيات ١٣ - ١٩.

عطاء القرآن للشباب عطاء غامر ودروس باهرة تتضافر فى إبراز ما للشباب من أهمية وتلقى الضوء على كيفية المحافظة عليهم

إن أولى الوصايا وأول أساس من أسس التربية والتوجيه «العقيدة» التى تتمثل فى توحيد الله تعالى. ثم جاء بالوصية بالوالدين، وهى وإن لم ترد على لسان لقمان، إلا أنه أوردها هنا تأكيدا لتصحيح مسار العقيدة والمبالغة فى عدم التهاون بها، حتى وإن كان ذلك ممن وصى الله بهما بعده

مباشرة وهما الوالدان ثم كان التوجيه إلى علم الله الذى أحاط بكل شىء، ولطفه الذى يدرك كل دقيق من الأمور وكل خفى عن الناس. ثم الوصية بالصلاة التى تعنى الصلة بالله تعالى، والتى من ثمراتها تهذيب النفس، والانتهاء عن الفحشاء والمنكر **﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾**.

ثم تنتقل الوصايا من الصلاة التى بها تتهذب النفوس، وذلك بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. وكل ذلك فى حاجة إلى الصبر والاحتمال واستمرار مواصلة السير ولا يكفى لتهذيب الغير وإرشاده والتقويم من إعوجاجه مجرد النصيحة، أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر، بل لابد من المعاملة الحسنة مع الغير، وممارسة القدوة، والتطبيق العملى معه كما لابد أيضا من التواضع والتآلف هكذا سارت بنا هذه الوصايا الحكيمة، ترسل عطاءها وهداها، رعاية للشباب، فى جميع الجوانب، سواء ما يتصل منها بعقيدته وصلته بالله، وما يتصل منها بسلوكه وتهذيبه وتنشئته تنشئة صالحة، وما يتصل منها بعلاقاته الانسانية فى أسمى صورها العديدة والرشيدة.

***

ويرسى القرآن الكريم أصولا فى الآداب العالية، ومن بينها أدب الاستئذان فيما يتصل بالأسرة والأطفال الذين لم يبلغوا الحلم، والشباب الذين بلغوا الحلم، وذلك عند دخولهم على الكبار، فى وقت الراحة والخلوة قال الله تعالى: **﴿ياأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم* وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم﴾** النور: الآيتان ٥٨، ٥٩.

وقد روى فى سبب نزول الآية السابقة: أن غلام أسماء بنت أبى مرثد دخل عليها فى وقت كرهته فنزلت الآية، وقيل أرسل رسول الله ﷺ مدلج بن عمرو الأنصارى - وكان غلاما - وقت الظهيرة ليدعو عمر، فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه، فقال عمر رضي الله عنه لوددت أن الله عز وجل نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا ألا يدخلوا هذه الساعات علينا إلا بإذن، ثم انطلق معه إلى النبى ﷺ فوجده وقد أنزلت تلك الآية السابقة.

ولقد ضرب لنا القرآن الكريم أروع الأمثلة فى أنبل نموذج للعفة مع نبى الله يوسف وهو شاب فلقد تعرض لفتنة الجمال مع امرأة العزيز قال تعالى: **﴿وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى إنه لا يفلح الظالمون﴾** يوسف: آية ٢٣.

كما ضرب المثل الرفيع بنبى الله موسى عليه السلام فى مروءته مع بنات شعيب، ويشيد القرآن بقوته وأمانته إذ يقول:

﴿ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير* فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير* فجاءته إحداهما تمشى على استحياء قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين* قالت إحداهما ياأبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين﴾ القصص: الآيات ٢٣ - ٢٦.

محاسن الإسلام ومزاياه فى تشريعات المرأة (٥)

د. عبد العظيم المطعنى

قال تعالى: ﴿فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون﴾ البقرة: آية ٢٣٠.

هذه الآية تفريع على الآية التى سبقتها، التى بين الله فيها أن الطلاق الشرعى مرتان يعنى: طلقة واحدة لا يجمع الزوج معها ثانية ثم إذا راجعها وحدث خلاف بعد المراجعة فله أن يوقع عليها الطلقة الثانية.

وفى هذه الحالة تبقى له طلقة واحدة، وقد بينت الآية السابقة على آيتنا هذه أن المطلقين لا يأخذون من المطلقات شيئا إلا فى حالة واحدة، هى رغبة الزوجة فى عدم المعيشة معه وهو قائم بواجباته نحوها، فلهما حينئذ أن يتراضيا بينهما بما ليس فيه ضرر ولا ضرار وقد جاءت آيتنا هذه تفريعا على ما تقدم وهو بت الطلاق بين الزوجين فجاءت «الفاء» فى قوله: ﴿فإن طلقها﴾ للتفريع ولذكر أحكام جديدة.

وفاعل «طلقها» هنا هو الزوج الأول، الذى أوقع الطلقات الثلاث. وصارت المرأة محرمة عليه بعد المرة الثالثة.

أما فاعل «طلقها» الثانية فهو الزوج الثانى للتى طلقت طلاقا باتا، وبانت من زوجها الأول بينونة كبرى.

والحكمة من هذا التشريع حَمْلُ الأزواج على التريث فى اتخاذ قرارات هوجاء غير مدروسة لإنهاء الحياة الزوجية.

زواج المحلل بالمفهوم الشائع عند العامة من الحيل الباطلة وعودة المرأة لزوجها الأول يدخل فى عداد الزنا

***

ويتعلق بهذه القضية: قضية نكاح زوج للمرأة المطلقة ثلاثا كشرط لتحليلها للأول إذا طلقها الثانى، أو مات عنها، يتعلق بها الآن خلط شديد عند الناس، وهو ما يعرف بـ«المحلل» حيث يتم الاتفاق بين الزوج المطلق وبين رجل آخر أن يعقد على الزوجة المطلقة ويدخل بها، ثم يطلقها ثلاثا دون أن يمسها، ثم يعقد عليها الزوج «المطلق» وتعود الحياة الزوجية بينهما.

هذا خطأ كبير يقع فيه الناس الآن، وهذا العقد المتفق عليه لا يحلل المطلقة لزوجها الأول، فإذا عُمل به كان العقد عليها بعد ذلك من الزوج المطلق باطلا جملة وتفصيلا، وهو لا يحلل حراما ولا يحرم حلالا. وتكون العلاقة بينهما ليست شرعية. بل هى علاقة آثمة (زنا).

لأن المراد من نكاح الزوج الثانى، هو أن يتقدم الزوج الثانى للتزوج منها من تلقاء نفسه، كما هو الشأن فى الزواج عموما وأن يعاشر زوجته معاشرة زوجية تامة يترتب عليها الإنجاب، ولا يكفى مجرد الدخول ثم إذا مات عنها هذا الزوج، أو طلقها تلقائيا حلت المرأة لزوجها الأول بإجراءات زواج شرعى طبيعى صحيح.

والمراد من «النكاح» فى قوله تعالى: **﴿حتى تنكح زوجا غيره﴾** هو الوطء فعلا لا مجرد العقد عليها، وكل ما ورد فى القرآن من لفظ «النكاح» وما اشتق منه، فالمراد به «الوطء» وليس «العقد» إلا موضعا واحدا فقد أجمع المفسرون والفقهاء على أن المراد منه «العقد» وحده لا «الوطء» وهو قوله عز وجل: **﴿يأيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا﴾** الأحزاب: آية ٤٩.

فالمراد من النكاح فيها هو «العقد» وحده بدليل قوله تعالى: **﴿من قبل أن تمسوهن﴾**، والمس هو كناية من كنايات النكاح.

فاشتراط المعاشرة الزوجية شرط فى تحليل الزواج الثانى إذا تم الطلاق لجواز زواجها من الزوج الأول.

وفى هذا قال ﷺ لمن جاءت تسأله هل يبيح زواجها الثانى بعد الطلاق أو الموت زواجها من الزوج الأول؟ فقال ﷺ: **«لا، حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك»**.

أما المحلل بالمفهوم الشائع عند العامة فهو من الحيل الباطلة، وفيه يقول ﷺ: **«ألا أخبركم عن التيس المستعار؟ المحلل لعن الله المحلل والمحلل له»**.

وهذا يشمل الزوجة التى توافق على تحليلها لزوجها الأول، ويشمل الزوج نفسه الذى يريد أن تحل له مطلقته.

ويشمل الشخص الذى يقبل أن يقوم بدور المحلل. فكلهم ملعونون من الله ورسوله، وكفى بذلك طردا من رحمة الله.

***

وليس الزواج الثانى ثم التطليق منه وحدهما كافيين لعودة الحياة الزوجية، بل إن الله اشترط لهذا شرطا صريحا فوق النكاح والتطليق، وهو أن يغلب على ظن المطلق والمطلقة أنهما لن يعودا إلى مثل ما كان بينهما من شقاق أدى إلى الطلاق فى الزواج الأول. فإن لم يغلب ظنهما على ذلك فلا تحل له ولا يحل لها.

وهذا هو المراد من قوله تعالى: **﴿فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله﴾**.

وهذا تشريع أخلاقى، المرجع فيه هو مشاعر الرجل والمرأة، وهما المسئولان عنه أمام الله، أما التشريع الأول، وهو عدم حلية الزوجة لزوجها المطلق قبل نكاح زوج آخر، فهو مسئولية جماعة المسلمين فقها وقضاء وديانة، وفى جملته الفاصلة **﴿وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون﴾**. تهييج وإلهاب وحث على تعظيم شرع الله فى أمره ونهيه والحدود هى أحكام الله التى شرعها لعباده لتحقيق السعادة للناس فى الدنيا والآخرة.

وفى هذا التشريع تكريم للمرأة، وحفظ لكرامتها، وصون لها عن الامتهان، لو ترك الحبل على غارب الأزواج يطلقون كيف ومتى شاءوا، ويعودون لزوجاتهم كيف ومتى شاءوا، كان سلعة تباع وتشترى فى أسواق العرض والطلب.

***

﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به

واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شىء عليم﴾ البقرة: آية ٢٣١.

هذه الآية إذا نظرت فيها بوعى وجدتها كلها دفاعا عن الزوجات، وحماية لهن من ظلم الأزواج فى حالات الشقاق.

ففى صدر الآية أمران من الله للرجال برعاية حقوق الزوجات إذا نشب بين الزوجين خلاف فأدى إلى الطلاق للمرة الأولى، أو للمرة الثانية والطلاقان الأول والثانى رجعيان، يجوز للزوج عقب كل مرة منهما أن يراجع زوجته مادامت فى عصمته ويجوز له فراقها. فهما أمران محتملان وفى كل منهما للإسلام توجيه.

إمساك المرأة بقصد الإضرار بها ظلم عظيم... ولها حق اللجوء إلى القضاء لينظر فى أمرها

فإذا طلقها للمرة الأولى أو الثانية وأراد مراجعتها وهى فى العدة فالإسلام يأمره أن يراجعها ويعاشرها بمعروف. أى بمعاملة حسنة يرتضيها الله ورسوله.

وعبَّر القرآن عن هذه المراجعة بالإمساك، لما فى الإمساك من شدة الرغبة من الممسك، وهو الزوج، بالممسك (اسم المفعول) وهو الزوجة ووصف هذا الإمساك بـ«المعروف» لأن الإنسان قد يمسك بآخر ليؤذيه، فجاء الوصف بـ«المعروف» بيانا لنوع الإمساك الطيب.

وقدم القرآن أمر المراجعة المعبر عنها بـ«**فأمسكوهن**» على أمر المفارقة المعبر عنها بـ«سرحوهن» لأن فى المراجعة استمرارا للحياة الزوجية، وما يشيع فيها بين الزوجين من المودة والرحمة، وجاذبية كل منهما للآخر.

ثم أخر أمر المفارقة لما فيها من هدم لبناء الحياة الزوجية، ووقوع أبغض الحلال إلى الله، وعبَّر عن المفارقة بـ«سرحوهن» لما فى التسريح من المعانى المحبوبة، لأن الأصل فى مادة «سرَّح» هو فك القيد والعقال أو الأغلال.

ومراد القرآن من التعبير عن الفراق أو الطلاق بـ«التسريح» نفى الضرر والأذى أى: طلاقا لا أذى فيه ولاعنت ولا ضرر من أى نوع كان.

ولما كان الإنسان قد يُسرِّح ويطلق من يده شيئا ما للزهد فيه، وتعريضه للهلاك، فنفى القرآن هذا حيث وصف التسريح بـ«المعروف». كل ذلك من أجل حماية المرأة حتى فى حالة الفراق من إلحاق أى ضرر بها.

ثم تعال وانظر فى قوله تعالى: **﴿ولاتمسكوهن ضرارا لتعتدوا﴾** بعد قوله تعالى: **﴿فأمسكوهن بمعروف﴾**، تجد القرآن أمر بالإحسان إلى الزوجات عن طريقين هما: الإثبات، والنهى. وهذان الطريقان يستخدمهما القرآن فى تأكيد المطلوب العظيم البالغ الأهمية، الذى يؤمر بإيجاده وإعدام ضده، كما فى قوله تعالى: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا﴾**، فقد أمر بالاعتصام، ونهى عن التفرق وتأكد المطلوب بأوثق أساليب البيان.

***

وإمساك المرأة بقصد الإضرار بها ظلم عظيم، ولها حق اللجوء إلى القضاء لكى يحكم لها

بالتطليق مع إجبار الزوج على إعطائها حقوقها من المتعة التى شرعها الله للمطلقات فى أكثر من موضع فى كتابه العزيز.

ثم جاء فى الآية بعد هذا بالجزاء الذى أوعد الله به من يخالفون أمره ونهيه فى فك النزاعات الزوجية التى يتعسف فيها الأزواج بزوجاتهم، وتلك القائمة هى:

● **﴿ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه﴾**، وهذا وعيد شديد من الله للأزواج الذين لم يذعنوا لشرع الله فى إنهاء العلاقات الزوجية، وأقبح الظلم ظلم الإنسان نفسه.

● وصف هؤلاء الأزواج بأنهم يتخذون آيات الله وأحكامه هزوا، والاستهزاء بآياته أقبح من الكفر نفسه.

سلك القرآن فى هذا الجانب مسلك التخويف من سوء المصير، لأن التخويف والانذار من مناهج التربية والتوجيه والتقويم فى الإسلام بوجه عام، وفى القرآن بوجه خاص.

وبعد هذا الجانب التخويفى الإنذارى أخذ القرآن يستثمر معهم الجانب الترغيبى لحث المخاطبين على الإلتزام والاستقامة، فقال عز وجل: **﴿واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به﴾**. فى هذا التركيز استجابة لعواطف النبل والخير فى النفوس ليستكمل لها طريقا الهدى وهما:

١ - الفرار من سوء المصير بالتخويف منه.

٢ - الإقبال على الاستقامة بتذكيرهم بنعم الله عليهم.

ومن هذه النعم «إنزال القرآن على الأمة لتزكيتها بهدى الله عز وجل، وهو أجل نعمة أسداها الله إلى الناس ثم ختم هذا التوجيه بجماع الخير فى الدنيا وفى الآخرة وهو تقوى الله عز وجل فقال: **﴿واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شىء عليم﴾**.

هذا مجمل ما حمى به القرآن الزوجات من الظلم. والآية كلها كما تقدم وصايا باحترام المرأة وحماية حقوقها.

لم نر القرآن حتى الآن يدافع عن الرجال ولكن دفاعه كله خصه بالنساء. فهل يقال مع هذا إن الإسلام ظلم المرأة وحابى الرجال عليها؟

***

﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ البقرة: آية ٢٣٢.

بعد التشريعات التى تضمنتها الآية السابقة بحماية حقوق الزوجات فى حالة قيام الحياة الزوجية، وفى حالة إنهائها، جاءت هذه الآية لتبدأ مرحلة جديدة تتعلق بشئون المطلقات بعد أن وقع الطلاق، وبان بينونة صغرى وهى تكون فى شأنين:

الأول: زوج طلق زوجته للمرة الأولى، ولم يراجعها حتى انقضت عدتها، وانقطعت العلاقة الزوجية بينهما.

الثانى: إذا طلق الزوج زوجته للمرة الثانية ولم يراجعها حتى خرجت من عدتها. وبانت منه بينونة صغرى.

فى هاتين الحالتين يجوز للرجل أن يعود فيتزوج من زوجته مرة أخرى بعقد ومهر جديدين مع حضور الشهود وولى الأمر.

"لأن الطلقة الأولى والثانية رجعيتان لا يحرم بعدهما العودة إلى الزواج، ولا يشترط فيه أن تنكح زوجته بعد طلاقها منه زوجا غيره.

هذه المرحلة هى التى تتحدث عنها هذه الآية وتضع لها أحكاما شرعية واجبة الرعاية، وقوله تعالى: **﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن﴾** خطاب للأزواج المطلقين.

أما قوله: **﴿فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن﴾** فهو خطاب لأولياء أمور النساء من الآباء والأخوة وغيرهم.

ومحال أن يكون هذا الخطاب الإلهى التشريعى بشقيه خطابا للأزواج، أو خطابا لأولياء أمور المطلقات. وإن تبادر إلى الذهن أن الخطابين مرجعهما واحد.

وذلك لأن الذى يوقع الطلاق على المرأة هو الزوج، وليس ولى أمرها.

ولأن الذى يعارض فى عودة الزوجة إلى زوجها الذى كان قد طلقها هو ولى الأمر وليس الزوج المطلق.

فالعقل بمعونة الشرع يحدد بكل دقة ووضوح من هو المخاطب هنا، لقوة القرينة الشرعية والعقلية الدالة على هذا المعنى.

ولهذا نظائر كثيرة فى القرآن، منها قوله تعالى: **﴿لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا﴾** الفتح: آية ٩، فقد تقدم فى الآية ذكر اسم الله، وذكر اسم رسوله: ثم ذكر بعدهما ثلاثة أفعال أمر هى: **«تعزروه»** يعنى تنصروه. **«وتوقروه»** يعنى تجلوه وتعظموه، و**«تسبحوه»** يعنى تقدسوه وتصفوه بكل كمال، وتنفوا عنه كل نقص.

فالفعلان الأولان، ومصدرهما: التعزير والتوقير، يصح مرجعهما للرسول بعد الله - عز وجل - ولا يمنع من ذلك مانع شرعا ولا عقلا.

أما **«تسبحوه»** ومصدره: التسبيح، فلا يصح إجراؤه إلا على الله - عز وجل - والقرينة الدالة على هذا هى الشرع والعقل.

إذن فالخطاب فى **«فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن»** تكليف من الله لأولياء أمور المطلقات بأن يعضلوهن إذا أردن وأراد أزواجهن العقد عليهن مرة أخرى بعد الانفصال الذى تم بين الطرفين، والمراد بالعضل - هنا - منع الأولياء من عودة المطلقات إلى أزواجهن الذين كانوا قد طلقوهن طلاقا رجعيا. ثم لم يراجعونهن حتى خرجن من العدة.

إن انفصال الزوجين عن طريق الطلاق فيه حرمان وشقاء، قد يعقبه حنين من كل منهما إلى الآخر، فلا يجوز لأولياء أمور أن يقفوا حجر عثرة فى طريق عودة الحياة الزوجية.

هذا حق للمرأة المطلقة نهى الله ولى أمرها عن حرمانها من هذا الحق. وفى ذلك إنصاف لها من الله عز وجل، الذى تولى تشريعات النساء بنفسه فى كتابه العزيز ولم يترك من أصولها شيئا لاجتهاد من الناس.

وهذه حقيقة نوهنا عنها من قبل، وينبغى أن نكون على ذكر منها، فى مواجهات افتراءات خصوم الإسلام الحاقدين.

***

هذا التشريع الحكيم، لأن الله هو واضعه وليس أحداً من البشر، تراه يسد الثغور ويحكم البيان.

ترى ذلك - هنا - فى قوله تعالى: **﴿إذا تراضوا بينهم بالمعروف﴾**، وهذا شرط فى جواز عودة الحياة الزوجية بين المطلقين، وشرط فى تحريم عضل الأولياء، فإذا لم يكن هناك تراض عادل لا ظلم فيه بين المطلق والمطلقة. فلا يجوز العودة أصلا للحياة الزوجية، ويكون عضل أولياء الأمور غير منهى عنه لأن فيه حماية للمرأة من العودة إلى شقاق جديد قد يؤدى إلى الطلاق مرة أخرى، وهكذا يبيح ما يبيح انصافا للمرأة ويمنع مايمنع إنصافا لها كذلك، وهو العليم الخبير، لا يشرع للناس إلا ما فيه نفعهم فى الدنيا، وسعادتهم فى الآخرة.

***

وتنتهى الآية الكريمة بهذا المقطع الأخلاقى القويم: **﴿ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾** البقرة: آية ٢٣٢.

هذا من منهج القرآن البيانى فى مجال التشريع عموما، إذا نهى عن شىء، أو أمر بشىء، أردف على الأمر والنهى واحدا من أمرين:

- ما يرغب المخاطبين فى امتثال الأوامر واجتناب النواهى.
- ما يحث المخاطبين ويزين لهم فعل المأمور به، ويترك المنهى عنه.

أعنى أن القرآن يشرك المخاطبين فى فقه المعنى وتعقل المراد منه، ليفعل ما يفعل ويترك ما يترك عن رغبة شديدة، واقتناع تام **﴿ومن أحسن من الله حديثا﴾**.

الإسلام وتنظيم الأسرة

د/ سالم محمود عبد الجليل

أصل التنظيم فى اللغة:

التنظيم من النظم وهو: التأليف، نظمه ينظمه نظمًا ونظامًا، ونظمه فانتظم، وتنظم، ونظمت اللؤلؤ أى جمعته فى السلك والتنظيم مثله، ومن معانيه: ضم شىء إلى شىء آخر.

تنظيم الأسرة فى الشرع:

هو التجاء الزوجين عن تراض إلى استعمال وسيلة مأمونة، من وسائل منع الحمل لتنظيم خصوبتهما.

وقبل أن ندخل فى الموضوع أحب أن أذكر بعدة حقائق:

الحقيقة الأولى: الأولاد محض هبة من الله تعالى والتقاء الذكر والأنثى مجرد سبب، وليس كل لقاء ينتج عنه ولد، قال تعالى: ﴿لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور* أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير﴾ الشورى: الآيتان ٤٩، ٥٠.

الحقيقة الثانية: كون الجنين ذكرا أو أنثى مرده إلى إرادة الله تعالى وحده دون سواه لا علاقة له برغبة الزوجين أو أحدهما.

الحقيقة الثالثة: يعلم الله تعالى أزلا من سيوجد فى هذه الحياة ويعرف الله تعالى أباه وأمه وسطر ذلك فى اللوح المحفوظ وما من نسمة كائنة فى علمه سبحانه إلا ستكون.

الحقيقة الرابعة: قدر الله تعالى لكل نسمة رزقها وهى لاتزال جنينا فى رحم الأم، وما وظيفة الآباء إلا السعى لتحصيل هذه الأرزاق.

الحقيقة الخامسة: خلق الله تعالى الأرض وقدر فيها أقواتها فلن تضيق أبدا بأهلها.

الحقيقة السادسة: الذرية نعمة وليست نقمة ولا تمثل فى

حد ذاتها مشكلة، بل المشكلة فى سوء تصرف الخلق وعدم إعمال عقولهم لاستخراج مافى باطن الأرض من ناحية وعدم توزيع السكان بطريقة عادلة من ناحية أخرى.

الحقيقة السابعة: دعوة الإسلام إلى التناسل تتفق مع الفطرة، إذ فطر الله تعالى الإنسان على حب الأولاد والاعتزاز والفخر بالعزوة، قال تعالى: **﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة﴾** آل عمران: آية ١٤، وقال تعالى حكاية عن الكافر الذى كان يجادل المؤمن **﴿أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا﴾** الكهف: آية ٣٤، ولا عجب أن يأتى الحديث الصحيح فيه دعوة من رسول الله ﷺ صريحة إلى التناسل، فعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله أحببت امرأة ذات حسب إلا أنها لا تلد أفأتزوجها - قال رسول الله ﷺ: **«لا. ثم أتاه الثانية فقال: له مثل ذلك، ثم أتاه الثالثة فقال: «تزوجوا الودود الولود فإنى مكاثر بكم الأمم»** أخرجه أبو داود بسند صحيح.

ولاشك فى أن التناسل هو الأصل والتنظيم عارض تقتضيه الضرورات، فما الضرورات التى تدعو إلى تنظيم النسل؟

الضرورات التى تدعو إلى تنظيم النسل:

أولا: صحة الرضيع:

وذلك بتأجيل الحمل حفاظا على صحته وبنيته، وقد شرع الإسلام مدة الحولين لإرضاع الطفل، قال تعالى: **﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾** البقرة: اية ٢٣٣، ونهى فى نفس الوقت عن الحمل فى أثناء الرضاعة لأنه يؤثر على صحة هذا الرضيع، فعن أسماء - رضى الله عنها - قالت: قال ﷺ: **«لا تقتلوا أولادكم سرا، فإن الغيل يدرك الفارس فيدعثره عن فرسه»** أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه.

واختلف العلماء فى المراد بالغيل فى هذا الحديث، فقال مالك فى الموطأ والأصمعى وغيره من أهل اللغة أن يجامع امرأته وهى مرضع، وقال ابن السكيت: هو أن ترضع المرأة وهى حامل.

وأظن - والله تعالى أعلم - أن الرأى الثانى هو المقصود فى الحديث، أعنى النهى عن الحمل أثناء الرضاعة، وأما الجماع فلا ينهى عنه، وعليه يحمل حديث مسلم عن جُدَامة بنت وهب قال ﷺ: **«لقد هممت أن أنهى عن الغيلة حتى ذكرت أن الروم وفارس يصنعون ذلك فلا يضر أولادهم»**

أخرجه مسلم فى الصحيح.

أو يكون «نفيه لأثر الغيل كان إبطالا لاعتقاد الجاهلية كونه مؤثرا، وإثباته له هنا يعنى فى حديث أسماء لأنه سبب فى الجملة مع كون المؤثر الحقيقى هو الله تعالى». وهذا يشبه قوله ﷺ: **«لا عدوى»** وهو متفق عليه، وقوله: **«فر من المجزوم»** وقد أخرجه أحمد، فأبطل فعل العدوى بذاتها لكنه أثبتها كسبب.

وقيل النهى فى قوله: **«لا تقتلوا أولادكم سرا»** للتنزيه، ويحمل قوله: **«لقد هممت أن أنهى»** على التحريم، فلا منافاة، (انظر: تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى وعون المعبود شرح سنن أبى داود).

قال العلماء: وسبب همه ﷺ بالنهى عنها أنه يخاف منه ضرر الولد الرضيع. والأطباء يقولون: إن ذلك اللبن داء والعرب تكرهه وتتقيه (انظر صحيح مسلم بشرح النووى).

ومنع الحمل هنا للاحتياط ولضمان صحة طيبة لهذا الرضيع، ويتأكد إذا كان الرضيع هزيلا أو ضعيفا، أو اعترته أمراض مزمنة حتى أصبح بحاجة إلى الرعاية والعناية.

ثانيا: صحة الزوجة:

فالإسلام دين الرحمة، فكما أنه يجيز منع الحمل مؤقتا من أجل أن يأخذ الرضيع حقه من الرضاعة والعناية، ومن أجل أن تستعيد الأم عافيتها، فإنه يجيز منع الحمل مؤقتا أو مطلقا للزوجة التى تتضرر بالحمل بل يوجب عليها منع الحمل إن خافت على نفسها الضرر ويجيز لها إسقاطه حتى ولو بعد نفخ الروح فيه إذا خافت على نفسها الهلكة، وبالجملة فإن المرأة يجوز لها أن تمنع الحمل فى الحالات الآتية:

- إذا كان تكرار الحمل يشكل خطرا حقيقيا عليها.

- إذا كانت ضعيفة البنية، أو لا تقوى على الحمل المبكر فتؤجله حتى تقوى على تحمله.

- إذا كان تكرار الحمل يسبب لها ضعفا يؤدى إلى اعتلال صحتها، وضعف بنيتها وانهيار قواها.

كون الجنين ذكرا أو أنثى مرده إلى إرادة الله وحده دون سواه لا علاقة له برغبة الزوجين أو أحدهما

ثالثا: وقاية المولود من الأمراض:

فإذا كان بالزوجين أو بأحدهما داء عضال ويخشى من أن يتعداهما إلى نسلهما وذريتهما جاز لهما أن يمنعا النسل، بل ويجب منع الحمل إذاتيقنا من أن المولود سينتقل إليه من أبويه المريضين مرض عضال يستعصى علاجه كمرض الإيدز (فقد المناعة) والسل والجذام وما شابه ذلك.

رابعا: منع الحمل من أجل القدرة على التربية:

إذا نظرنا إلى قضية الرعاية والتربية والقيام بشأن الذرية على الوجه المطلوب شرعا، سنجدها فى زماننا هذا تتطلب جهدا كبيرا من الأبوين - وقد كثرت المغريات وتعددت أسباب الفسق والفحش والفجور - لذا نرى أنه لا مانع من التنظيم لأجل أن يتمكن الأبوان من تربية أبنائهما التربية الحسنة.

ضرورتان وهميتان:

١ ـ منع الحمل خوفا من الفقر:

من الخطأ الفاحش أن يمنع مسلم الحمل خوفا من فقر حاصل بالفعل أو قلقا من فقر فى المستقبل، إذ المؤمن يعتقد أن الأرزاق بيد الله تعالى وأن كل مولود يكتب رزقه قبل أن يولد، وما علينا إلا الأخذ بالأسباب المشروعة لتحصيل الأرزاق، ولقد نهى الله تعالى عن قتل الأولاد بعد وجودهم خوفا من فقر متوقع، فقال تعالى: **﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾** الإسراء: آية ٣١، أو هربا من فقر حاصل فقال: **﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق﴾** الأنعام: آية ١٥١، وقرر الحقيقة الكبرى: **﴿نحن نرزقهم وإياكم﴾** الإسراء: آية ٣١، **﴿نحن نرزقكم وإياهم﴾** الأنعام: آية ١٥١.

ولاشك فى أن الذى يمنع الحمل خوفا من الفقر أو هربا منه هو فى حاجة إلى أن يراجع نفسه وأن يصحح إيمانه.

٢ ـ منع الحمل خوفا من أن يكون أنثى:

إذ البعض لاتزال تسيطر عليه بعض الأعراف الجاهلية الفاسدة من أن الأنثى شؤم على الأسرة فلربما منع الحمل من أجل ذلك، ولاشك أن هذا آثم ومخطئ، فلقد بين لنا القرآن الكريم أن الأولاد ذكرانا وإناثا هبة من الله تعالى، وكما ثبت بالواقع المعاش أن الأنثى ربما تسبق الذكر بأخلاقها وعلمها وأدبها، فالعبرة فى الإسلام بالكيف لا بالنوع (ذكر أو أنثى) ولا بالعدد، فتلك مريم وهذه خديجة وثالثتهما فاطمة ورابعتهن آسية وخامستهن عائشة شهد لهن النبى ﷺ بالكمال.

التناسل هو الأصل والتنظيم عارض أحيانا تقتضيه الضرورة

وأما العدد فلا يمكن أن يعول عليه بل ربما سبق رجل ألف رجل بإيمانه وخلقه وعلمه، ولقد ذكر النبى ﷺ أن أبا بكر سبق الأمة بأسرها، ولذا يجب أن نركز على الكيف.

صور تنظيم الأسرة: لتنظيم الأسرة صور مختلفة، منها:

١ ـ قطع النسل كليا: وهذا النوع لا يجوز فعله شرعا، لا من قبل الرجل ولا من قبل المرأة لأنه يتعارض مع سنة الله تعالى الكونية القائمة على التناسل، وإعمار الكون ونماء الحياة، ولا يجوز عمل ذلك إلا فى حالات الاضطرار، كأن تكون المرأة معرضة للهلاك فى أى فترة من فترات الحمل وذلك بتقرير الطبيب المأمون المختص، أو أن تكون المرأة غير قادرة على الحمل إما لضعفها أو لضعف بنيتها.

٢ ـ تحديد النسل: وذلك بأن يحدد عدد من الأولاد لكل أسرة عن طريق الإلزام والإكراه، وهذا أيضا لا يجوز فعله شرعا لأن فيه مصادرة للحقوق، فلكل فرد الحق فى أن ينجب من الأولاد ما يتناسب مع قدراته وبحسب رغبته وإرادته.

٣ ـ تنظيم النسل: بجعل فترات زمنية بين المولودين، وهذا جائز فعله شرعا إذا ما أراد الزوجان وحسب رغبتهما بشرط أن تكون عقيدتهما ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن..

وفى العدد القادم إن شاء الله نتناول وسائل تنظيم النسل وحكم الشرع فى كل وسيلة. والله المستعان.

موقف الإسلام من الحرب والسلام

شوقى عبد اللطيف

تلب الحقائق:

لقد تناسى أعداء الإسلام بأن عباءته تتسع للجميع «المسلم وغير المسلم» وأنه رسالة عالمية: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ سبأ: آية ٢٨، تناسوا بأن دين الإسلام هو دين الرحمة رحمة العامة وليست رحمة المسلمين وحدهم ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ تناسوا بأن هذه الرسالة عنوانها السلام ورمزها الحب وهدفها الأخوة والتعاون وغايتها سعادة البشرية قال تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ الحجرات: آية ١٣.

ومع وضوح هذه الحقيقة وسطوعها سطوع الشمس فى كبد السماء، ونور القمر فى الليلة الظلماء إلا أن الحقد والحسد أكل كبد أعداء الإسلام وأعمى بصيرتهم وأبصارهم فرموا الإسلام بما ليس فيه ظلما وعدوانا فقالوا أخرس الله ألسنتهم ولعنوا بما قالوا:

- بأنه دين يهوى القتل ويتعطش للدماء ويعشق الخراب والدمار.
- لقد تصوروا أن هذه الافتراءات والترهات تنال من عظمة الإسلام أو تقلل من شأنه أو تحجب نوره.
- ولكن هيهات هيهات وصدق الله العظيم إذ يقول: **﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون* هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾** الصف: الآيتان ٨، ٩.
- والأنكى والأمر أن الذين يتطاولون على الإسلام ويجادلون فى الحق بعدما تبين لهم أنهم مصاصو الدماء وعشاق الخراب ورموز الظلم وصدق الله العظيم إذ يقول: **﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون* ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾** البقرة: الآيتان ١١، ١٢.

السلام والأمان مبدأ إسلامى أصيل وحق الحياة مكفول لكل بنى البشر على اختلاف عقائدهم وأوطانهم

- إن التجارب والواقع يؤكدان أن الاقتناع بأية فكرة أو عقيدة لا يكون إلا عن الرضا والاختيار والحرية التامة.
- لهذا فإن من سخف العقول بعد ذلك أن يوجه أى اتهام أو أية شبهة بأن الإسلام الذى انتشر سريعا لم ينتشر إلا بحد السيف وعن طريق الإكراه.
- إن الفضل ما شهدت به الأعداء فهذا الكاتب الغربى الكبير «توماس كارليل» مؤلف كتاب الأبطال وعبادة البطولة يقرر

حقيقة تزلزل أباطيل الحاقدين وتخرس ألسنتهم فيقول: «إن اتهامه بالتعويل على السيف فى حمل الناس على الاستجابة إلى دعوته سخف غير مفهوم».

● إن السلام فى الإسلام هو الأصل والحرب هو الفرع، إنه دين يبغض الحرب ولا يحبذها ولا يحب الدخول فى غمارها إلا إذا اضطر إلى ذلك اضطرارا وسدت أمامه جميع مسالك السلام ونوافذه.

عن عبدالله بن أبى أوفى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ فى بعض أيامه التى لقى فيها العدو انتظر حتى مالت الشمس ثم قام فى الناس فقال: «**يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال: اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم**» رواه البخارى ومسلم.

● ومن هنا يتضح أن الإسلام حقا هو دين السلام دين ينبذ العدوان بجميع صوره وكل أشكاله، إنه دين الحرية والسماحة فلم يثبت أن الإسلام أكره أحدا على اعتناقه أو الدخول فيه.

قال تعالى: ﴿**لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى**﴾ البقرة: آية ٢٥٦.

● ألم يأن للمعاندين الجاحدين أن يعلموا بأن الحرب والسلام يدخل تحت ما يسمى بالسياسة الشرعية وبيان ذلك أن مشروعية الجهاد من حيث الأصل حكم تبليغى لا يخضع لأى نسخ أو تبديل.

● كما أن أصل مشروعية الصلح والمعاهدات ثابت لا يجوز إبطاله واجتثاثه من أحكام الشريعة الإسلامية، والميزان المحكم فى ذلك كله، إنما هو بصيرة الحاكم المتدين العادل وسياسة القائد المحنك المتبحر فى أحكام الدين إلى جانب اعتماد الحاكم فى كل خطواته مشاورة من تحت يده من المسئولين والاستماع إلى آرائهم والاستفادة من خبراتهم لأن مسألة الحرب والسلام من أهم المسائل التى تتعلق بمستقبل أمته.

● إن أمان الناس وأمنهم مبدأ إسلامى أصيل لا يفرق بين المسلم وغير المسلم فحق الحياة وما يستلزمها هو حق مكفول لكل بنى البشر على اختلاف عقائدهم ومشاربهم وأوطانهم لهذا قرر القرآن الكريم بأن اللجوء إلى الحرب لا يكون إلا دفاعا عن العقيدة والنفس والوطن والحرية والأرض والعرض قال تعالى: ﴿**وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**﴾ البقرة: آية ١٩٠.

● إن جميع المعارك التى خاضها الرسول ﷺ لم تكن إلا فى حدود الدفاع عن النفس ودفع الظلم الواقع على المؤمنين ﴿**الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله**﴾ الحج: آية ٤٠.

إن كل من يتتبع المعارك التى خاضها رسول الله ﷺ بدءا من معركة بدر وحتى آخر غزواته ﷺ إنما كانت كلها للدفاع عن النفس والعقيدة لرد المعتدين وكسر شوكتهم، ولهذا حصر القرآن دائرة القتال فى الدفاع عن النفس والعقيدة ومقابلة القوة بالقوة ﴿**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم**﴾ البقرة: آية ١٩٤.

● إن الإسلام يعشق السلام ويدعو إليه ولهذا نجد القرآن يأمر أتباعه بمسالمة المسالمين ويحذر من قتالهم ﴿**وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله**﴾ الأنفال: آية ٦١.

● ﴿**فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم**﴾ التوبة: آية ٧.

● ﴿**فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا**﴾ النساء: آية ٩٠، فالإسلام إذا لا يقر الحرب العدوانية وإنما يؤكد على الحرب الوقائية تأمينا للإنسانية من البطش والإرهاب والغدر. قال تعالى: ﴿**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا**﴾ الحج: آية ٤٠.

● ولما كان الظلم من شيم النفوس وكان الكافرون لا يعبأون بخلق ولا يكترثون بحقوق الغير مغترين بقوتهم.

● ولما كانت القوة لا يرد عليها إلا بالقوة وكان الحق فى حاجة إلى حراسة تحميه من العدوان أمر الله المسلمين أن يكون استعدادهم كاملا للدفاع عن أنفسهم وإرهاب من تحدث نفسه بالاعتداء عليهم حتى لا يدفعه غروره إلى الاعتداء، لهذا أمر الله المسلمين بالاستعداد والتأهب والتسلح بالقوة وبين لهم وظيفة القوة التى يوفرونها لأنفسهم. قال تعالى: **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾** الأنفال: آية ٦٠.

● ومن خلال فهمنا للآية نلاحظ أنها خصت الخيل بالذكر لأنها كانت العدة القوية فى الحرب وهى ترمز الآن إلى الدبابات والطائرات وكل المعدات الحربية الحديثة. كما نلاحظ بأن الآية قد بينت الغاية من تلك القوة وهى إخافة العدو حتى لا يطمع فى الهجوم على المسلمين وبذلك تكون الآية فى حقيقة أمرها هدفها السلام لأن الاستعداد للحرب يمنع وقوع الحرب.

● أفبعد هذا يظن عاقل أن الإسلام يقر الحرب الهجومية العدوانية أو يشرع الحرب لقهر الناس وإجبارهم على الإسلام.

● وحُبا فى التعايش السلمى وحرصا على سلامة النفس البشرية حرص الإسلام على أن يعامل المسلمين غيرهم من أهل الكتاب ومن فى حكمهم إذا كانوا تحت سلطانهم بالعدل الذى شرعه الله والرحمة التى أمر بها سبحانه، وبذلك تكون لهم كل الحقوق العامة التى للمسلمين وفى المقابل يجب عليهم ما يجب على المسلمين وفقا للقاعدة الشرعية التى تنص على أن «لهم ما لنا وعليهم ما علينا».

● كتب أبو عبيدة عامر بن الجراح قائد الجيش فى الشام إلى عمر بن الخطاب - رضى الله عن الجميع - يخبره بما أفاء الله به على المسلمين وما أعطى أهل الذمة من الصلح فكتب إليه الخليفة يقول له: «وامنع المسلمين ظلمهم والاضرار بهم وأكل مالهم إلا بحقها، ووف لهم بشروطهم التى شرطت لهم فى جميع ما أعطيتهم».

وكان قواد الجيش الإسلامى كخالد بن الوليد أو أبا عبيدة حين يدخلون بلدا يكتبون لأهلها عهدا ومما جاء فى كتاب خالد لأهل الحيرة «على ألا تهدم لهم بيعة ولا كنيسة ولا يمنعون من ضرب النواقيس» إلا فى أوقات الآذان والصلاة حتى لا يحدثوا فتنة كما جاء فى عهد آخر: «ولا يمنعون من إخراج «ابراز» الصلبان فى عيدهم».

وجاء مثل ذلك فى عهد أبى عبيدة أيام عمر ابن الخطاب على أن تترك لهم كنائسهم وبيعهم وحادثة عمر بن الخطاب حين ذهب للقدس وامتنع عن الصلاة فى الكنيسة بعد أن طلب القائمون على شأنها منه الصلاة فيها بعد أن حان وقتها، لكنه خرج وصلى خارجها حتى لا يتعلل المسلمون بذلك على مر الزمن بحجة أن عمر صلى فيها.

● ومما جاء فى بنود معاهدة خالد «أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيا فافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه معرفة بحاله، طرحت عنه الجزية، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله»، وهو بذلك يقتدى بما فعله عمر مع اليهودى الذى كان يسأل الناس إحسانا فى المدينة، فلما عرف حاله، حط عنه الجزية وجعل له ولأولاده معاشا من بيت مال المسلمين فلم يكن المسلمون يستغلون ضعفهم المالى للضغط عليهم، للدخول فى الإسلام، كما أن الجزية لا تمثل ضغطا وإنما كانت تمثل مساهمة فى بناء الدولة وقوتها.

● وهكذا كان موقف الإسلام من المسلمين الأول من الحرب والسلام وموقفهم من غير المسلمين، مواقف كلها عدل وانصاف ورحمة لا نجد لها مثيلا على مر التاريخ، مواقف متناسقة ومتلاقية من الخلفاء وقوادهم، لأنها تصدر عن منبع ومصدر واحد هو نبع الإسلام دين الله الخالد **﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾**.

الحضارة والعلوم

- أثر البيئة فى السلوك
- الصحة أمانة.. الوقاية من سرطان المثانة
- تحيا اللغة العربية ويرحم الله سيبويه
- الإسلام ودوره فى التنمية الشاملة
- الماء فى التراث العربى

أثر البيئة فى السلوك

د/ محمد شامة

إذا ذكرت كلمة «فكر» أو إحدى مشتقاتها، مثل: فكر، يفكر، مفكر، انعكست صورة الإنسان فى الذهن، وكذلك إذا ذكر «الإنسان» لزم معه تصور الفكر؛ ذلك أن صفة الفكر لازمة من لوازم الإنسان، فلا ينفكان عن بعضهما أبدا، فكلما ذكرت إحداهما تصور الذهن الأخرى، لأن الفكر هو الصفة الوحيدة التى تميز الإنسان عن سائر الكائنات الحية الأخرى، إذ يشترك الإنسان مع غيره من الكائنات الحية الأخرى فى التراكيب الفيزيقية، والمكونات الميكانيكية، فجهاز الهضم عنده. وكذا جهاز الدورة الدموية. يكادان يكونان متطابقين فى كلياتهما وجزئياتهما مع مثيلهما فى كثير من الحيوانات، وكذلك الجهاز التنفسى، أما الجهازان: السمعى والبصرى فليسا فى الإنسان أقوى مما هما فى غيره من الحيوانات، فبعض الحيوانات تتمتع بجهاز سمعى أرهف مما لدى الإنسان، كما أن هناك كثيرا من الحيوانات ما يتفوق على الإنسان فى مجال الرؤية المجردة.....

أما الفكر فلا يوجد كائن حى يتفوق على الإنسان فيه، أو يقترب منه، فقد وهب الله الإنسان عقلا لا يدانيه فيه أى كائن حى، بل إن قوته وتحقيق ذاته تكمن فى هذا العضو الذى رفع الله به قدره بين المخلوقات وميزه به على سائر الكائنات الحية الأخرى، فبه احتل مكانة أفضل بين خلق الله، ويقول تعالى: **﴿ولقد كرمنا بنى آدم﴾**، أى بالعقل الذى مكنه من اكتشاف أسرار الطبيعة، فاستخدمها لاستمرار وجوده، وتوسيع دائرة متعته، وساعده على تسخير ما خلقه الله فى هذا الكون، فارتقى، وتطورت أساليب حياته، وتحسنت طرق معيشته، وتنوعت صور وأشكال استخدام ما وهبه الله من نعم ذاتية وطبيعية.

خلو المناهج الدراسية من الجانب الدينى وتجردها من المعالم الأخلاقية يؤدى إلى المزيد من الانحراف والعنف

ولهذا عرفه علماء المنطق بأنه: «حيوان ناطق»، وليس المراد بالناطق، أنه هو ذلك الحيوان الذى يصدر أصواتا من فمه، فكثير من الحيوانات تصدر مثل تلك الأصوات، وقد تكون مفهومة بين بنى جنسها[1]، بل المراد بقولهم: «ناطق»: مفكر. فالإنسان حيوان ناطق، أى مفكر، لأن ما يتلفظ به إنما هو تعبير عن صور فكرية، وهذا هو ما عبر عنه الشاعر بقوله.

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما
جعل اللسان على الفؤاد دليلا

أى أن الإنسان هو الذى يبين ما فى داخل العقل من صور فكرية. فالإنسان لا يتحدث إلا معبرا عما فى ذهنه، بل ولا يتحرك إلا طبقا لما تكون فى العقل من صور فكرية، حتى فيما يظن أنه نشاط غريزى، كالأكل مثلا، فإنه وإن كان نتيجة لدافع غريزى، وهو الجوع - كما هو الحال فى سائر الكائنات الحية - إلا أنه فى الإنسان يخضع لأوامر عقلية، وتوجيهات فكرية؛ إذ أن الفكر يتدخل فى اختيار نوع الأكل، فيفضل الشخص الجائع نوعا

على آخر، فهذه عملية فكرية وليست غريزية صرفة. كذلك يتدخل الفكر فى عملية تغيير هيئة وشكل الأغذية لتصبح مستساغة، وليتمتع بمذاقها ونكهتها، وذلك بالطهى وإضافة الأنواع بعضها إلى بعض، وتلك عملية فكرية أيضاً. ولهذا نجد أثرها واضح فى الاختلاف بين الشعوب فى إعداد الطعام، فبينما نجد الشعوب البدائية تطهوه بطريقة مبسطة - وقد تأكله بدون طهى - نرى الشعوب المتقدمة تتفنن فى تنويع أصناف متعددة من المادة الغذائية الواحدة لدرجة أن كثيرا من الشعوب تزداد أنواع الطعام لديها كلما ارتقت فكريا وحضاريا، وهذا دليل على أن كل تصرف يصدر عن الإنسان - حتى ولو كان فى مظهره يبدو غريزيا - فإن الفكر يتحكم فيه ويشكله بالصورة التى تكونت فى هذا العضو الذى ميزه الله به على سائر الكائنات الحية الأخرى.

ولكن ... من أين يستمد العقل هذه الصور الفكرية؟

هل يملك مخزونا من هذه الصور، خلقها الله معه ليستعين بها على ضبط وتوجيه نشاط الإنسان؟

لا يمكن أن يكون ذلك!! لماذا؟ لأنه لو كان هذا صحيحا، لأصبح الإنسان مسيرا، يلتزم بما خلقه الله فيه، فلا يحيد عنه، الأمر الذى يعفيه من المسئولية، فيقترف الآثام دون أن يكون له ذنب فيما اقترف. أضف إلى ذلك أنه لو كانت هذه الصورة الفكرية من خلق الله، لكان فى ذلك ظلم - وحاشا الله أن يظلم -، لأنه يترتب على ذلك أن تخلق صور سيئة عند إنسان، وأخرى حسنة عند آخر، فلا يكون للمحسن فضل فى إحسانه، كما أنه لا يكون للمسئ ذنب فى إساءته، ..... إذن.... فمن المستحيل أن يخلق الله صورا فكرية مع خلق العقل لضبط وتوجيه نشاط الإنسان.

هل يستطيع العقل أن يكون هذه الصور من لا شىء؟ لا ..... إذ يستحيل على مخلوق أن يكون شيئا من لا شىء، لأن الله وحده هو القادر على الخلق من العدم.

فإذا استحال خلق الصور الفكرية مع خلق العقل، واستبعدت قدرة العقل على تكوين هذه الصور من لا شىء، فما مصدر هذه الصور الفكرية؟

استبعدنا أن يملك العقل مخزونا من هذه الصور - تكون قد خلقت معه - يستمد منها ما يريده ليضبط سلوك الإنسان ويقوم أخلاقه، وكان سبب الاستبعاد أنه يترتب عليه إلغاء إرادة الإنسان وإعفاءه من المسئولية، لأنه لا يعمل - لو كان هذا صحيحا- إلا طبقا لما يملى عليه، كما استبعدنا أيضا أن يكون عنده من القدرة ما يمكنه من تكوين هذه الصور من لاشىء، لأن الله وحده هو القادر على الخلق من عدم. فإذا كان هذين الاحتمالين غير ممكنين، فمن أين يستمد العقل هذه الصور الفكرية التى تصدر عنه؟[٢]

يستمدها من البيئة؛ فالإنسان يولد صفحة بيضاء لم يرسم فيها خط، ولم تسطر فيها كلمة، ثم تبدأ الخطوط تتوالى عليه مما حوله، وتسطر المعلومات من الأحداث التى تجرى أمامه، فتنقلها حواسه إلى داخل جهاز الرصد الذى خلقه الله فيه.

ومن أولى المصادر التى تمده بما يحتاج إليه فى هذا المجال: أبواه، فهما أول من تقع عليه حواسه المستقبلة فتتلقف قواه الذهنية كل ما يصل إليها وتعيه، وتحتفظ به لتخرجه فيما بعد فى صور سلوك وألفاظ تنبئ عن طبيعة ما تلقاه، فإن كان طيبا كان سلوكه طيبا، وأخلاقه حسنة، وألفاظه مهذبة، وتعامله مع الآخرين راقيا، وقد عبر الرسول ﷺ عن التفاعل بين الوالدين والأبناء بقوله: **«كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه».**

فالفطرة فى هذا الحديث تعنى الصفحة البيضاء، فإن فسرها بعض العلماء بأنها الإسلام، فلا تعارض بين التفسيرين؛ لأن الإنسان يميل بفطرته وطبيعته إلى الإسلام، ولا يبتعد عنه إلا إذا حجبت الأفكار الهدامة، والصور الفكرية المدمرة انعكاس ضوء الإسلام على صفحته البيضاء، أى لو خلى بين الإسلام وبين الإنسان دون تشويش على ذهنه، أو تلبيس على عقله لمال إلى الإسلام.

وليس المراد حصر التأثير السلبى على الأبناء فى التهويد، والتنصير، والتمجيس، بل كل ما يكون سيئا

بالنسبة للأولاد، وجاء ذكر هذه المعالم الثلاثة لضرب المثل للناس، كى يفهموا مدى تأثير الآباء على الأبناء.

فالأبوان هما اللذان يشكلان شخصية الطفل، فجميع تصرفات الإنسان فى كل مراحل حياته تضرب بجذورها إلى ما تلقاه وهو طفل من أبويه، وخاصة من الأم، لأنها تكون أكثر لصوقا به فى سنى حياته الأولى، ثم عندما يشعر بنوع من الاستقلال عنها، يصبح واجب الأب إزاءه أكثر من ذى قبل، فهو وإن كان له تأثير أيضا - بجانب تأثير الأم - على الطفل منذ إدراكه، إلا أنه كلما تقدم الطفل فى السن ازداد تأثير الأب عن الأم، إلى أن يصبح المصدر الرئيسى فى تلقى الصور الفكرية من بيئته الأسرية. ولهذا قال رسول الله ﷺ:

«لاعب ابنك سبعا، وأدبه سبعا، وصاحبه سبعا، ثم اترك حبله على الغارب».

فالحديث يبين لنا طبيعة المراحل الثلاثة لتنشئة الإنسان، وما يجب على الوالدين إزاء كل مرحلة، فالطفل يحتاج فى السنى الأولى إلى اللعب أكثر مما عداه، أى أن إمداده بالصور الفكرية ينبغى أن تكون فى صور يغلب اللعب على طابعها حتى يستسيغها الطفل فيعيها ولا ينساها، وتحفر فى فى مخيلته فلا تمحوها الأحداث التالية لهذه الفترة، وهى فيما بعد السابعة، حيث تكون قواه العقلية قادرة على الفهم والاستيعاب، وإدراك العلاقات بين الأشياء، فينبغى أن يتحول أسلوب التربية إلى نوع من الجدية حتى يشتد عوده، ويستقيم سلوكه، ويأخذ تعامله مع الآخرين طريقا يستطيع فيه أن يقدر معنى الواجب والحق، والحلال والحرام، والخير والشر، والفضيلة والرذيلة، وغير ذلك من القضايا التى تقوم عليها حياة المجتمعات. ولا ينسى الأب فى هذه المرحلة عدم التهاون فى بناء شخصية الأبناء، وإن اقتضى الأمر استخدام الشدة معهم، فلا يتردد فى ذلك، لأن التهاون فى هذه المرحلة ينتج عنه آثار لا يمكن إصلاحها فيها بعد. وغالبا ما نرى آباء خلطوا فى معاملة الأبناء بين المرحلتين الأولين، فعاملوا أبناءهم فى الأولى بالشدة والعنف، فغرسوا فى نفوسهم الخوف والهلع، فلم يستطيعوا التخلص من هذه الظاهرة طول حياتهم، وتهاونوا فى المرحلة الثانية، فلم يأخذوا على أيديهم، عندما تبدو عليهم ملامح التمرد، أو يظهر فى سلوكهم نوازع الشر والعدوان، فكانت نتيجة هذا استمراء الطفل هذا العمل، واستمراره فى هذا الطريق، حتى يصبح الشر متأصلا فى نفسه، والعدوان متمكنا منه، فلا يخرج من عقله إلا الصور الفكرية الشريرة، التى تقود جوارحه إلى إيذاء الآخرين، الأمر الذى يؤدى إلى تدمير نفسه بأى صورة من الصور. ومن هنا كانت هذه المرحلة مهمة جدا فى حياة الإنسان. فعلى الآباء أن يدركوا هذا، فيبذلوا بعض الجهد مع ابنائهم ليساعدوهم على بناء شخصيتهم بناء سليما.

أما المرحلة الثالثة: فتتطلب نوعا آخر من التربية، ذلك أنها مرحلة إثبات الذات، إذ يشعر المرء فيها بأنه خرج من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرجولة، فتأبى نفسه أن يظل منفذا للأوامر دون المشاركة فى صنعها، ويحاول التشبه بالبالغين، فيقلدهم فى كل عمل يرى أنه يضفى عليه صفة الاستقلالية، فيتمرد على كل ما يشعره بأنه مازال طفلا، واذا كان الأنسب للأب فى هذه المرحلة أن يصاحبه، حتى يتم تقويم سلوكه بأسلوب الصديق الناصح، وليس بطريقة الأب الآمر...

ولما كان اتصال الإنسان بمن حوله لا يقتصر على الوالدين فقط، إذ كلما اشتد عوده، وقويت شوكته، ازداد استقلاله عنهما، وقرب من مصادر أخرى فى المجتمع، ينفعل ويتفاعل معها، ويؤثر وتؤثر فيه، فيتكون بذلك عنده صور فكرية أخرى يكون لها أثر فى سلوكه، وقد تشكل تعامله مع الناس بصورة تختلف عما يتلقاه من والديه، وذلك إذا أهمل الوالدان توجيهه وتقويمه فى عالمه الجديد.

ومن أولى الحلقات التى يتصل النشء بها بعد الوالدين: أقاربه، وذوو رحمه، الذين يتصلون بالأسرة، فإن كانوا على خلق حسن:

- يلتزمون بالفضائل، ويتجنبون الرذائل.
- يتسم سلوكهم مع الآخرين بالرحمة، ويبدو على تعاملهم مع غيرهم العطف والسماحة.
- يتجنبون العنف، ويبتعدون عن العدوان والظلم.

قوى هذا الاتصال أسس الخير فى نفس الطفل، إذ يمده بصور فكرية سليمة، وتصورات ذهنية نقية، تساعده على الاستمرار فى طريق الخير، والبعد عما يسيئه ويدمر مجتمعه.

أما إذا كان سلوك الأفراد المحيطين به من أسرته - أو بعضا منهم - غير سوى، فلا شك أن احتمال تأثره بهم يكون كبيرا، وقد يبلغ هذا التأثير درجة تقضى على ما غرسه والداه فى نفسه من خير وحب للناس، وعطف عليهم، بل قد يتحول سلوكه تحولا كليا، إذا غفل الوالدان عما يحدث لأبنائهما من جراء اتصالهم بمن هم ليسوا على خلق طيب من أقاربهم المتصلين بهم.

ثم يأتى بعد هذه الفئة - التى تؤثر على النشء تأثيرا كبيرا وسريعا، نظرا لقربها منه، وسهولة اتصالها به فى كثير من الأوقات - حلقة أخرى، وأفرادها: الجيران، وأصدقاء الأسرة، ورفقاء اللعب، إذ لا يمكن تجاهل تأثيرهم، أو إغفاله، ولهذا ينبغى على الوالدين ألا يقبل صداقة، أو علاقة تزاور واتصال إلا مع من لا يخشيان من سلوكهم - أو سلوك أبنائهم - على أولادهم، فلا يصادقون إلا من كان سليم التكوين، قويم السلوك، رفيع التعامل مع الناس، مهذب الأخلاق، مستقيما فى علاقته مع ربه، عطوفا على من حوله، لطيفا مع كل من يقترب منه؛ إذ لا يصدر ممن كانت هذه صفاته إلا ما يغرس فى أذهان الآخرين صورا فكرية، تضبط السلوك، وتهذب الأخلاق، وتحافظ على التقاليد والأعراف، وتقوى العقيدة، وتساعد على الالتزام بالواجب، سواء كان دينيا، أم دعت إليه ظروف الحياة ومعطيات العصر.

وليست هذه كل المصادر التى يستمد منها الإنسان الصور الفكرية التى تشكل حياته فى المجتمع، بل هناك ما هو أبعد أثرا، وأكثر قوة على توجيه الإنسان فى مجال النشاط الإنسانى، ألا وهو: المؤسسات الثقافية، وتحتل المدرسة المقام الأول فى هذا الجانب؛ إذ فيها يعرف الإنسان تجارب الآخرين، ويتعلم الكثير مما حدث فى عصور لم يعشها، ويقف على أحداث لم يشاهدها. بل إن المدرسة - وكذا الجامعة، والنوادى الثقافية، وما شابهها - تكاد تكون هى المكان الوحيد التى تحدد فيه هوية الإنسان تحديدا واضحا، وتثبت فيه معالم مستقبله على نحو يصعب تغييره أو تبديله، ولهذا يجب أن يشترك فى وضع المناهج الدراسية: التربويون، ورجال الدين، والاجتماعيون، وخبراء العلوم التطبيقية والتجريبية، ومهندسو التكنولوجيا بجميع فروعها، والفلاسفة، وعلماء النفس، والمؤرخون، وخبراء المال والاقتصاد، حتى يراعى فيها العناصر التى تكون المواطن: دينيا ونفسيا، وتؤهله تأهيلا عصريا يمكنه من التعامل مع معطيات العصر، ومتطلبات حركة التغيير على جميع الأصعدة المادية والمعنوية، لأننا لو ركزنا على الجانب الروحى والمعنوى فقط، لخرج المواطن من هذه المدرسة خياليا، لاصلة لفكره بواقع الحياة، فيتخلف المجتمع عن ركب الحضارة والمدنية، ويقع فريسة الطامعين والمستغلين ممن ملكوا زمام التقدم التقنى، وسيطروا على كل مصادر الطاقة وينابيع التقدم الحضارى، ويومئذ لن ينفع المجتمع كثرة المرددين للنصوص الجوفاء، ولن تساعدهم الحكم والأمثال فى الصمود أمام التفوق الحضارى، والتقدم التكنولوجى.

كذلك لو خلت المناهج من الجانب الدينى، وتجردت من المعالم الأخلاقية، لانحرف المواطن انحرافا كليا إلى عالم المادة، وتصرف مع نفسه ومع الآخرين تصرف الحيوانات المفترسة، بل إنه بعقله وذكائه يكون أشد فتكا من الوحوش الضارية، وأكثر شراسة من الحيوانات البرية، فلا يرحم صغيرا، ولا يعطف على ضعيف أو محتاج، ولا يوقر كبيرا أو صاحب فضل وعلم، لأن ما غرس فى ذهنه مادى بحت؛ فهو لا يتلقى منه إلا الصور المادية التى لا تهتم إلا بمقياس المكسب والخسارة المادية. وبهذا تتفكك عرى المجتمع، وتنحل أواصره، فتضيع العلاقات الإنسانية، ولايكون المصير إلا الهلاك والدمار.

فخلو المناهج من المواد التطبيقية والعلوم التجريبية، والمقررات التكنولوجية يعرض المجتمع

لخطر الطامعين من الخارج، وإهمال المبادئ الدينية والتعاليم الشرعية فيها يؤدى بالمجتمع إلى تدمير نفسه بنفسه، أى يتحلل داخليا، وذلك بطغيان الروح المادية على أفراده.

ويجب أن تأخذ المواد الثقافية التى تقدم فى المؤسسات الثقافية خارج المدرسة نفس الاهتمام المبذول فى وضع المناهج التعليمية؛ إذ تلعب المؤسسات الثقافية دورا مهما فى تكوين فكر المواطن، فهى التى تشكل اتجاهه الفكرى، وتعمق ولاءه العقدى، وتقوى انتماءه الوطنى؛ إذ أن ما يتلقاه فى المدرسة من معارف نظرية، تقوم المؤسسات الثقافية خارج المدرسة بترتيبها، وتشكيلها، وتجسيمها فى صورة نشاط إنسانى فى جميع مجالات الحياة.

فإن أدرك القائمون على هذه المؤسسات هذا الدور المهم فى حياة المجتمع، وكانت لديهم القدرة الفكرية، والاستعداد الروحى، استطاعوا أن يخططوا تخطيطا سليما، يستوعب طاقات الشباب العلمية والجسمية، فيوجهها إلى تطبيق ما تعلموه فى المدرسة تطبيقا سليما، مع إثرائها بما لا يمكن الحصول عليه فى المدرسة، وتنميتها بالعديد من التجارب العلمية، حتى يكتمل نضجهم الثقافى، ويستوى سلوكهم فى الحياة العملية، وترقى أخلاقهم فى التعامل مع الآخرين، وذلك بإمدادهم بالخبرات العلمية، والتوجيهات التطبيقية، والتصورات المنطقية القابلة للتنفيذ فى مختلف أنشطة الحياة الإنسانية...

أما إذا أسندت قيادة هذه المؤسسات إلى من لاقدرة له على استغلالها لتوجيه المواطنين فكرا وثقافة ، وبنائهم جسما وروحا، تبدلت قوى المجتمع، وضاع ما غرسته المدرسة فى أذهان النشء وسط الخرافات والأساطير، وتبدلت معالمه بفعل رياح الفكر الأجنبى، وتقوضت أركانه أمام التيارات الثقافية التى تهب عليه من كل جانب.

فإذا تمكن المغرمون بكل ما هو أجنبى من الوصول إلى مراكز التوجيه فى هذه المؤسسات فتلك هى الطامة الكبرى؛ إذ يستخدمون قدرتهم - وغالبا ما يكونون على جانب كبير من الذكاء - فى نشر الفكر الأجنبى والثقافة المستوردة، ويستغلون مكانتهم فى إضفاء السيادة والتفوق على التقاليد والعادات المستحدثة، غير عابئين بما يجر ذلك علي المجتمع من زلازل واضطرابات تهز كيانه، وتفتت وحدته، وتضفى عليه ثوب الاغتراب الاجتماعى والثقافى، فيصبح عديم الهوية، فاقد الذات.

- يبحث عن جذوره فلا يجدها، لأن أعاصير الغزو الثقافى قد اقتلعتها، ويفتش عن منهجه الخاص فى الحياة فلا يعثر عليه، لأن بريق المستحدثات حجبته.

- ويتفحص معالم طريقه فلا يراها، لأن زوابع الدعاية المصاحبة أزالتها، فلا يلبث أن يسير مع الركب، ويصيح مع الصائحين.

وبذلك يصبح المواطن فى هذا المجتمع إنسانا «عصريا» يتنكر لماضيه، ويدعو بدعوة جلاديه، ويناصر من اقتحم دياره، ومزق ثيابه، وهدم كيانه، وحطم هويته، وأزال كل أثر له على مسرح الحياة.

وليست هذه دعوة إلى الانغلاق أمام كل ما هو أجنبى، فلا يمكن أن يقول بهذا عاقل يبتغى العزة لدينه، والخير لوطنه، بل هى صيحة فى وجه من نسى ماضيه، وتنكر لمبادئه، فاندفع إلى تقليد الأجنبى فى كل شىء حتى ولو كان مدمرا، وجرى وراء نفايات الحضارة، لأنها تشبع شهوة غريزية عنده، أو تلبى مطالب وقتية لديه.

- صيحة لتنبيه الغافلين ليفيقوا من غفلتهم، فيشمروا عن ساعد الجد لتحصين الأمة ضد التيارات المعادية.

- وبيان لمن اختلط عليه الأمر فظن أن ما يمارسه من أخلاقيات تقليدا للساقطين فى المجتمع الحضارى، هو الأسلوب الذى يضفى عليه ثياب التقدم والمدنية... بيان له بأن هناك

فرقا بين مقومات الحضارة ونفاياتها.

أما المقومات فهى: العلوم التطبيقية والتجريبية، كالطب والهندسة والكيمياء والطبيعة وما شابهها، وكذلك التكنولوجيا بجميع فروعها. فلا حرج على أى إنسان فى أى منطقة من العالم أن يغترف منها بقدر ما يستطيع وينقلها إلى وطنه بأى صورة من الصور، وبأى حجم يتاح له، فليس هناك حدود، ولا قيود - بل كلما ازداد منها ارتقى فى سلم الحضارة - لأنها لا تمس كيانه الشخصى، ولا تهدم ذاته، فليس لها تأثير سلبى على تقاليده وعاداته، كما أنها لا تهدد عقيدته بما فيها من تعاليم وأحكام.

أما النفايات فلا يأتى من ورائها إلا انحلال الأخلاق، ونشر الفاحشة، وتثبيت المنكر فى جنبات المجتمع، وتفكك الأسر، وبسط أجنحة الاغتراب الاجتماعى بين المواطنين.

وعليه فيجب على القائمين على التوجيه فى المؤسسات الثقافية أن يدركوا الفرق بين هذين النوعين من معالم الحضارة، فيعملوا على رسم الخطط التى تعمق الأول فى نفوس النشء، وتنفرهم من الثانى، أو بمعنى أدق: توضح لهم أن الحضارة الحقيقية هى ما كنت دعائمها: العلم والمعرفة فى مجالات البناء والتشييد، وأن الهلاك والدمار يصيبان الأمة عندما ينصرف المواطنون إلى الاستغراق فى الملذات والشهوات، ويميلون إلى تقليد الأجنبى فيما هو بعيد كل البعد عن التأثير فى البناء الحضارى، وقد يكون من المعوقات التى تستنفد طاقات الأمة، فلا تجد بعد ذلك ما تبذله فى بناء أو تشييد.

فالاتصال بالفكر الأجنبى ضرورة فى مجال العلم، بل هو واجب كى لا تتخلف الأمة عن ركب التقدم، فإن تهاونت الأمة فى هذا الجانب، ضعفت شوكتها، ووهنت عزيمتها، فلا تقوى على الوقوف فى وجه من يطمع فيها، أو يتجرأ على اختراق حدودها.

أما فى مجال الثقافة النظرية التى تؤثر على التقاليد والعادات ذات الصلة بالعقيدة، فلا ينبغى أن تفتح لها الأبواب، بل تغلق بإحكام، حتى لا يتسرب إلى المجتمع ما يؤثر على عقيدته، أو يهدد تقاليده وعاداته المحافظة على هويته، لأن كيانه يبقى متماسكا مادام السلطان لعقيدته، وتصان ذاته بمقدار رسوخ التقاليد، وتصان ذاته بمقدار رسوخ التقاليد الأصيلة فى حياة المواطنين، وتمكن العادات الحسنة ذات التأثير الجيد فى أخلاق الناس ومعاملاتهم.

الهوامش:

١ - مهما يكن الرقى الذى وصلت إليه اللغات البشرية، فيجب ألا يحجب ذلك عنا الحقيقة التى يقول بها التطوريون، من أن النطق عند الإنسان لم يكن يعدو فى بادئ الأمر مجرد إخراج الأصوات للتفاهم بين أفراد النوع كما هو الشأن بالنسبة للطفل حتى فى هذه الأيام. فإذا كان هذا هو مدلول النطق، فمن العبث أن ننكر على الحيوانات أنها ناطقة، فالحيوانات تخرج من فمها أصواتا مختلفة، تعبر بها عن أغراض مختلفة. ومن الواضح أن كل نوع من الحيوانات يتفاهم مع بعضه. وقد انتهى بعض علماء السلوك فى العصر الحديث إلى القول بأن الحيوانات تتحدث فيما بينها، بل وصل الأمر ببعضهم إلى حد إعداد قاموس يحتوى على اثنتين وثلاثين كلمة مختلفة يتفاهم بها الشمبانزى (الجانب الإنسانى عن الحيوان: فانس باكار، ترجمة: سعد غزال ص١٥).

وكأن الطبيعة تريد أن تكشف لنا عن أن النطق لا يخرج عن كونه عملية إخراج أصوات، فكان الببغاء القادر على محاكاة بعض عبارات الإنسان فينطق بها نطقا صحيحا مبينا، فالقول بأن الإنسان ينفرد عن الحيوان بالنطق قول غير سديد (المصدر السابق ص٢١٨ - ٢١٩).

٢ - ولقد رأينا أن أول ما يصادفنا عند تحليل أى نشاط إنسانى، ابتداء من القيام بأبسط حركة كتحريك إصبعه، أو هز رأسه، حتى قيادة الشعوب وإشعال نيران الحروب، واختراع وسائل المواصلات، والصعود إلى القمر، فلابد أن يكون ذلك مسبوقا ومستندا إلى صور ذهنية، تتجلى فى الذهن أولا، ثم تتحق فى الخارج ثانيا، وحيث لا توجد صورة ذهنية، فلن توجد أى حركة إنسانية من أى نوع من الأنواع، وهكذا نجد التلازم فى الوقوع والتخلف بين الصور الذهنية وتحولها إلى عمل وحركة، سواء فى داخل جسم الإنسان أو خارجه، فلا نكون قد عدونا الصواب إذا قررنا أن الصور الذهنية هى علة كل ما يقع من الإنسان من نشاط، مهما كان نوعه أو حركته. (الطاقة الإنسانية: أحمد حسين ص٤٣١ - ٤٣٢).

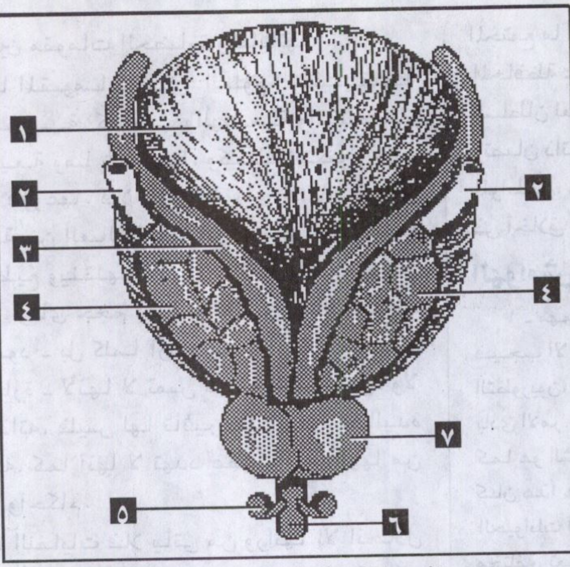

الغدد الذكرية التناسلية الإضافية

١ - المثانة.
٢ - الحالب.
٣ - القناة الناقلة
٤ - الحويصلات المنوية
٥ - الغدة البصلية المبالية
٦ - الإحليل
٧ - غدة البروستات

الصحة أمانة

الوقاية من سرطان المثانة البولية

أ.د: عبد المعبود عمارة

الدين الإسلامى دين متكامل، حرص فى مبادئه على سلامة المؤمنين فى الدين والدنيا، وقرر الإسلام أن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وضعف القوة ينشأ غالبا نتيجة ممارسات خاطئة فى حياة البشر، كالإساءة إلى البيئة وتلوثها بتلوث الهواء أو الماء أو الغذاء أو التربة، أو تعرض الإنسان للعدوى من إنسان آخر أو من حيوان، أو من الممارسات الجنسية الغير شرعية التى تؤدى إلى الزهرى والسيلان والإيدز والالتهاب الكبدى أو غيرها الكثير والكثير مما توعد الله به من يخالفون عن أمره كفقد المال والعقل فى الذين يتناولون المسكرات والمخدرات، ولذلك وجب على المسلم أن يتقى الله فى كل شىء حتى يسلم فى دينه ودنياه.

والواجب على الدعاة - ونحن فى سبيل تجديد الخطاب الدينى - أن يعلموا الناس طرق حفظ الصحة والوقاية من الأمراض لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا بذلك قائلا سبحانه وتعالى: **﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾** البقرة: آية ١٩٥. وقال سبحانه: **﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما﴾** النساء: آية ٢٩، واستكمالا لحديث الشهر السابق نكمل بإذن الله تعالى الحديث عن عضو هام من أعضاء الجهاز البولى، قد يتعرض لأمراض عديدة نتيجة لتلوث البيئة وهو عضو المثانة البولية.

تركيب المثانة ووظيفتها:

المثانة عبارة عن كيس عضلى يقوم بتخزين البول حتى حين موعد طرده خارج الجسم عن طريق قناة مجرى البول.

وتوجد المثانة فى تجويف الحوض الحقيقى خلف الارتفاق العانى وعندما تكون خالية يكون شكلها هرميا قمتها إلى الأمام وقاعدتها إلى الخلف وعندما تمتلئ المثانة بالبول يصبح شكلها

كرويا وتمتد إلى أعلى خلف جدار البطن الأمامى.

وللمثانة قمة وقاعدة وثلاثة أسطح:

١ ـ **القمة:** تتجه إلى الأمام أعلى العظم العانى ويربطها بالسرة الرباط السرى المتوسط.

٢ ـ **القاعدة:** تكوّن السطح الخلفى للمثانة وتقع أمام المستقيم الشرجى فى الرجل وأمام المهبل فى المرأة.

٣ ـ **السطح العلوى:** مغطى بغشاء البريتون الذى يغطى أحشاء البطن والسطحان السفليان الخارجيان: يرتكزان على عضلات جدار الحوض.

ويسمى الجزء السفلى من المثانة عنق المثانة، وهو يتصل بقناة مجرى البول ويرتكز على غدة البروستاتا فى الرجل.

تركيب جدار المثانة:

يتكون جدار المثانة من الطبقات الآتية من الخارج إلى الداخل.

١ ـ **طبقة غير مكتملة من غشاء البريتون** تغطى السطح العلوى وجزء من السطح الخلفى.

٢ ـ **طبقة عضلية:** تتكون من ثلاث طبقات من العضلات اللاإرادية ـ طبقة خارجية طولية ومتوسطة مستعرضة وداخلية طولية وتنقبض هذه العضلات أثناء عملية التبول.

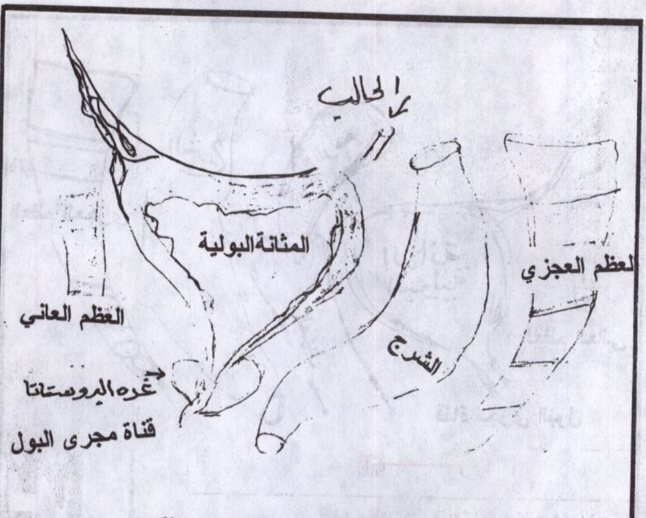

رسم يبين المثانة البولية فارغة فى الذكر

٣ ـ **طبقة الغشاء المخاطى المبطن للمثانة:** ويوجد به ثنايا عندما تكون المثانة خالية.

فإذا امتلأت المثانة بالبول تختفى هذه الثنايا، ويوجد بداخل المثانة ثلاث فتحات، فتحتان للحالبين الأيمن والأيسر وفتحة لقناة مجرى البول.

البول:

سائل شفاف يميل إلى الاصفرار يبلغ حجمه فى الشخص البالغ حوالى ١,٥ لتر يوميا فى فصل الصيف ويزداد فى فصل الشتاء، والبول الطبيعى حمضى التفاعل، وكثافته النوعية ١٠١٥ ـ ١٠٢٥ وله رائحة مميزة.

ويحتوى البول على أملاح غير عضوية مثل كلوريد الصوديوم وكبريتات الصوديوم، وفوسفات الصوديوم، كما يحتوى على مواد عضوية أغلبها من مواد نتروجينية مثل البولينا وحمض البوليك،وفى بعض الأمراض تظهر عناصر ليست من عناصر البول الطبيعى: مثل الزلال والذى يدل على حالات مرضية، والسكر ويظهر فى مرض البول السكرى، والاسطوانات الكلوية والخلايا الدموية والصديدية وكذا بويضات البلهارسيا، وكل هذا يمكن اكتشافه بفحص البول بواسطة المجهر

أو تحليل البول للزلال والسكر وغيره.

عملية التبول:

يصل البول من الحالبين إلى المثانة بمعدل ١سم٣ فى الدقيقة ويختزن هذا البول فى المثانة إلى أن يزيد الضغط داخل المثانة إلى حد معين، فيشعر الإنسان بالرغبة فى التبول.

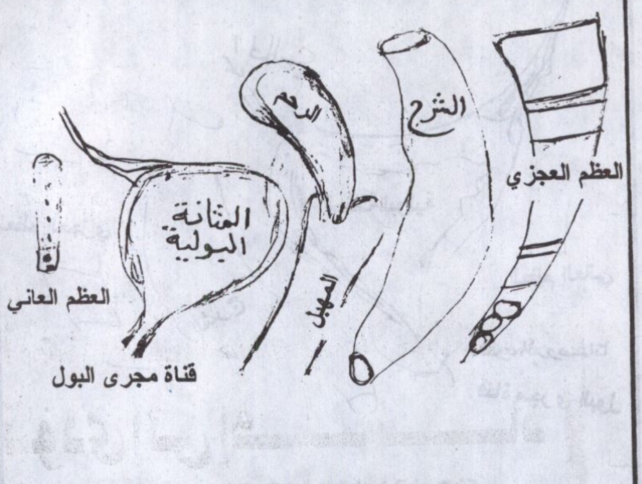

رسم يبين المثانة البولية فارغة فى الأنثى وهى ممتلئة بالبول

وحينما تحدث الرغبة فى التبول، تصدر الأوامر من المراكز العليا بالجهاز العصبى إلى عصب الحوض الذى يقوم بدوره بفتح المجرى البولى وارتخاء العضلات القاصرة لقناة مجرى البول فيحدث التبول بإذن الله تعالى والتبول إرادى فى البالغين ولكنه فى الأطفال حديثى الولادة لا يخضع للإرادة وبعد ذلك يتعلم الطفل كيف يتحكم فى التبول أثناء النهار وبعد ذلك يستطيع التحكم فى التبول ليلا ونهارا.

ويتأثر عدد مرات التبول بعدة عوامل طبيعية فيزداد إذا زاد ما يشربه من السوائل وينقص إذا قلت؛ كما ينقص أيضا فى الصيف لأن الجسم يفقد كثيرا من الماء عن طريق العرق ويزيد عدد مرات التبول فى بعض الأمراض مثل السكر وأمراض البروستاتا، وتنقص فى حالات القصور الكلوى أو عدم شرب كميات السوائل المطلوبة.

وينصح الأطباء المرضى الذين يعانون من وجود أملاح بالبول بشرب الماء بكثرة فإنه يعمل على إدرار الأملاح وطردها حتى لا تتكون حصوات فى الجهاز البولى مما يؤثر على كفاءته أو قد يؤدى إلى عمليات جراحية لاستخراج الحصوات.

أمراض المثانة البولية:

أمراض المثانة كثيرة منها التهاب المثانة الحاد والمزمن، وحصوات المثانة، وأورام المثانة الحميدة والخبيثة، ومما يزيد من أمراض المثانة البلهارسيا والتدخين والتعرض للمواد السامة وبعض الصناعات الكيميائية. ومن الأمراض التى تسبب العجز والتقاعد وخسارة فادحة فى الاقتصاد القومى مرض بلهارسيا المسالك البولية والذى يؤدى فى بعض الحالات إلى سرطان المثانة والعياذ بالله.

سرطان المثانة:

هو أحد أمراض الأورام الخبيثة التى تصيب أحد أعضاء الجهاز البولى وهو المثانة.

وسرطان المثانة بسبب البلهارسيا يمثل نسبة عالية جدا وقد يكون سرطان المثانة أوليا أى أنه ينشأ فى المثانة نفسها، وقد يكون ثانويا بمعنى أنه ينشأ فى عضو آخر كالبروستاتا مثلا ثم يمتد إلى المثانة.

وسرطان المثانة بسبب البلهارسيا البولية من أشهر أنواع السرطان فى مصر وذلك نتيجة لوجود وتوطن مرض البلهارسيا. وتكرر الإصابة بها بين الفلاحين، والإهمال فى علاجها حتى تمام الشفاء.

والبلهارسيا البولية تسبب تهييج الغشاء المبطن للمثانة بفعل بويضات البلهارسيا، ويسبب التهاب المثانة المزمن مما يؤدى إلى تقرح جدارها، وهذا بدوره يؤدى إلى حدوث أورام المثانة وخاصة إذا صوحب ذلك بالتدخين، وكلما أصيب المريض بالبلهارسيا مبكرا وأهمل العلاج كان ظهور المرض مبكرا، وتزداد الإصابة بين الرجال عنها فى النساء، وفى المناطق الريفية عنها فى المناطق الحضرية.

وقد تنتج الإصابة بسرطان المثانة لأسباب أخرى كالتهاب المثانة المزمن أو وجود حصوات وتقرحات بالمثانة أو أورام حميدة (أهمل علاجها) أو إدمان المخدرات والتدخين والتلوث البيئى والبيولوجى والكيميائى.

أعراض المرض:

أهم أعراض ورم المثانة الخبيث هو البول المدمم، والذى يجب ألا يهمل هذا العرض ويجب العرض على الطبيب المختص فورا لمعرفة سبب البول الدموى فقد يكون بلهارسيا أو قرحة فى المثانة أو حصوات بالمسالك البولية أو أورام بالكلى أو المثانة. ويجب عمل الأشعات الملونة والمقطعية وتحليل البول وعمل منظار على المسالك البولية، وتحليل مادة الورم لمعرفة نوعها ويستطيع الجراح معرفة نوع المرض مبكرا والتعامل معه حسب الحالة.

الممارسات البشرية الخاطئة تؤدى إلى إفساد البيئة وتعرض الإنسان للأمراض الفتاكة

الوقاية من المرض:

أولا: يجب الوقاية من مرض البلهارسيا وذلك لعلاج المرضى فى الوحدات الريفية المنتشرة فى ربوع مصر. والتوعية بأسباب المرض، ومنع التبول والتبرز فى الماء، والقضاء على قواقع البلهارسيا وتوعية الفلاحين بلبس الأحذية الجلدية أثناء التعامل مع ماء الترع والمصارف التى تكثر فيها القواقع والسركاريا.

ثانيا: علاج الأمراض الأخرى المسببة للسرطان كالتهابات المثانة المزمنة والحصوات ومنع التدخين والقضاء على تلوث البيئة والتعاون مع الجهات الصحية والتنفيذية والحرص فى التعامل مع المبيدات الزراعية.

ثالثا: الكشف الدورى على الأشخاص المعرضين للعدوى كالفلاحين، وتحليل البول دوريا وعلاج من أصيب بالبلهارسيا مبكرا وتوعية من لم يصاب وزيارة واحدة كل شهر للوحدة الصحية بالقرية وتحليل البول، وأخذ جرعة واحدة لعلاج البلهارسيا إن وجدت هو خير سبيل للوقاية من سرطان المثانة قال تعالى: **﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾**.

تحيا اللغة العربية.. ويرحم الله سيبويه!

أ. د. محمد فتحى فرج بيومى

يتحرق المسلم المعاصر ويذوب كمدا وأسى لواقعه المؤلم وأزمته الحضارية الطاحنة فى هذه الأيام وهو نفسه من أهم أسبابها .فلقد أصبحنا نحارب لأعدائنا معاركهم ونسعى لتحقيق أهدافهم بمبررات ممسوخة ومسوغات شوهاء على حساب ماضينا وحاضرنا بل وعلى حساب المستقبل الذى هو ملك لأبنائنا والمفترض أننا أمناء عليه. وكما يتعرض العرب والمسلمون لمسلسل من الهجمات والانتكاسات تتعرض لغتهم أيضا لما يشبهه إلا أن أكثر ما يؤلمنا فى هذه الحالة أن يأتى الهجوم هذه المرة من داخلنا ولا أجد ما أقوله مما يتناسب مع هذا التردى إلا قول زعيم الأمناء. المرحوم. الأستاذ أمين الخولى مما جاء فى كتابه «فن القول» وكأنى به لايزال بين ظهرانينا يشهد ما نحن فيه من مآس ومحن حيث قال: وإذا لم تكن اللغة عند أهلها أنفسهم فى منزلة كريمة فما مكانها فى الدنيا بعد ذلك وما منزلتها فى الوجود وراء هذا وليس بدعا أن نشعر بالصلة الوثيقة والعلاقة القريبة جد القرابة بين وجودنا السياسى وحياتنا اللغوية وبين كياننا العالمى ووجودنا اللسانى وبين كرامتنا الدولية ومكانتنا الأدبية. فتلك كلها . فى نظر الاجتماعى. وشائج متواصلة وأواصر متداخلة لا يشعر بينها بانفصال ولا يجد تباعدا .ونحن لا نعيش إلا بكرامتنا الاجتماعية ولا نستطيع أن نعيش بغيرها(١).

فاللغة هى مستودع التراث ووعاء الفكر وهى ظاهرة إنسانية اجتماعية تعرف بها الملامح المميزة لكل مجتمع فى كل عصر من عصور التاريخ فهى كما يقول ابن جنى فى كتابه «الخصائص»: أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم. على أن اللغة العربية لها خصوصية تتمتع بها دون سائر اللغات الأخرى تستمدها من كونها لغة القرآن الكريم الذى لا يزال عاملا فى ضمير المسلمين على تأكيد أن العربية جزء من الحقيقة الإسلامية وهى أيضا إحدى دعائم عروبتنا الأساسية إن لم تكن أهمها على الإطلاق .وهذا الارتباط بين اللغة والعقيدة والهوية سمة تفردت بها اللغة العربية مما جعلها محل استهداف أعداء الإسلام الذين يرمون إلى تقويض العقيدة فى النفوس بإعمال معاولهم لهدم اللغة العربية لكونها سياج هوية الأمة الذى يوجد بين عواطف العرب ومشاعرهم فى الأفراح و الأتراح فتؤلف بين أسلوب تفكيرهم وآدابهم وسلوكهم.

من الشعوبيين إلى المستشرقين:

واللغة العربية دون غيرها من سائر اللغات تتعرض بين الحين والحين ـ للأسباب التى أشرنا إليها آنفا ـ إلى حملات التشويه والتدمير سواء من غير العرب من المستشرقين الأوربيين أو ممن يسيرون فى فلكهم من الناطقين بلغة الضاد مثلما تعرضت قديما لمن يعرفون بالشعوبيين. فهى إذن حملة قديمة جديدة تستهدف فى الأساس معتقداتنا وتراثنا وماضينا بل ومستقبلنا لما لهذه اللغة ـ على وجه الخصوص ـ من الارتباط بالدين ومن ثم فهى مرتبطة بهوية المسلم وتشكيل عقله ووجدانه وثقافته بوجه عام. وقد وقف الشعوبيون القدماء موقف العداء من لغة القرآن فتصدى لهم علماء العربية الواقفون على أسرارها فى ذلك الوقت ومنهم ابن قتيبة الدينورى (٢١٣ ـ ٢٧٦هـ) القائل: «وقد اعترض على كتاب الله بالطعن ملحدون ولغوا فيه وهجروا واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله بأفهام كليلة وأبصار عليلة ونظر مدخول فحرفوا الكلام عن مواضعه وعدلوه عن سبله ثم قضوا عليه بالتناقض والاستحالة فى اللحن

وفساد النظم والاختلاف وأدلوا فى ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغمر والحدث الغر واعترضت بالشبه فى القلوب وقدحت بالشكوك فى الصدور .. فأحببت أن أنضح عن كتاب الله وأرمى من ورائه بالحجج النيرة والبراهين البينة وأكشف للناس ما يلبسون(٢).

وقد منيت العربية الفصحى كما يقول الدكتور رمضان عبد التواب فى العصر الحديث بخصوم حاقدين وأعداء ألداء من الشعوبيين الجدد من أمثال المستشرق الألمانى «تيودور نولدكه» وغيره وليست تلك الهجمة الضارية إلا جزءا من الهجوم على الدين الإسلامى الحنيف لما فطن له أعداء هذا الدين من الارتباط الوثيق بينه وبين اللغة العربية الفصحى ومن قبله كانت دعوة المستشرق الألمانى «ولهلم سبيتا» إلى التحول من الفصحى إلى العامية وقد وضع كتابا أسماه: «قواعد اللغة العربية فى مصر» وكذلك المستشرق الإنجليزى «وليم ويلكوكس» الذى كان يعمل مهندسا للرى فى مصر. أما المستشرق المشهور «ماسينيو» فكان يدعو إلى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية وكان يدعو أيضا إلى اللهجات العامية. وفى يقينهم أنهم إن أزالوا الفصحى عن مكانتها الراسخة فى القلوب منذ أربعة عشر قرنا من الزمان فقد أزالوا الحصن الأكبر من حصون هذا الدين الحنيف(٣) ويغيب عنهم أن الله تبارك وتعالى هو الذى تكفل بحفظها حين تكفل بحفظ القرآن فى قوله تعالى من سورة الحجر فى الآية التاسعة **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** ورغم ذلك لم تهدأ المحاولات الجادة الحاقدة التى استهدفت اللغة العربية والعمل الحثيث نحو أحلال اللهجات العامية محلها أملا فى اقتراب اللغة العربية من نهايتها فى المستقبل القريب كغيرها من اللغات القديمة التى اندثرت أو بقيت آثارها البسيطة كاللاتينية والسنسكريتية حتى أن "تشارلز فيرجسون "العالم اللغوى الأمريكى المعروف توقع أن تكون النهاية فى العام ٢١٥٠م عندما تظهر لغات رسمية عربية ترث الفصحى أمثال المغربية والمصرية والسورية والسودانية كما يسميها(٤). ولكننا نقول لهم هيهات هيهات مهما مكروا وفكروا ودبروا وصدق الله تعالى إذ يقول: **﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾** الأنفال: آية ٣٠، ولن يستطيعوا أن يطفئوا نور القرآن بإخماد العربية: **﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾** الصف آية ٨، وقد أوضح الدكتور حسين الهراوى منذ أوائل القرن الماضى أن الدعوة إلى العامية كانت إحدى الطرق التى تبناها المستشرقون ورواد الاستعمار منذ زمن قديم وكانت إحدى وسائلهم حتى لا يتفاهم المسلمون ولا يفهمون لغة قرآنهم(٥).

الشعوبيون العرب :

أما فى الوطن العربى فقد ظهر كثير من الكتاب فى العصر الحديث ممن يدعون إلى العامية المحلية أو إلى كتابة العربية بحروف لاتينية ومنهم: سلامه موسى وعبد العزيز فهمى وأنيس فريحة وسعيد عقل وفائز جادو ويوسف الخال وشاكر خصباك ويوسف العانى وسعيد حوارنية وأخيرا بن زاغو فى الجزائر وشريف الشوباشى فى مصر.

أما بن زاغو وهو أحد الأساتذة الأكاديميين الذين عهد إليهم المسئولون فى الجزائر بوضع التصورات الخاصة بشأن إصلاح وتحديث التعليم فوضع تقريرا يطالب فيه بتدريس اللغة الفرنسية اعتبارا من السنة الثانية من المرحلة الابتدائية وطالب بإعطاء الأولوية المطلقة لتدريس جميع العلوم باللغة الفرنسية بدلا من العربية. ومنذ شهور قليلة وردت أنباء من موريتانيا تفيد تراجع الدولة عن سياسة التعريب فى مراحل التعليم المختلفة والعودة إلى استخدام اللغة الفرنسية فى تدريس كل المواد العلمية بعد أن كادت حركة التعريب التى بدأت فى السبعينات من القرن الماضى تؤتى ثمارها الإيجابية بإقبال أعداد من السكان السود (الذين يتشيعون عموما للغة الفرنسية لأنها تميزهم عن أغلبية السكان العرب والبربر) على الفصول (المعربة

وعلى المعاهد العربية .وقد يؤدى كل ذلك إلى آثار وخيمة على الشعور بالانتماء القومى ذلك أن اللغة ليست مجرد أصوات أو ألفاظ منطوقة أو كلمات مكتوبة وإنما هى كيان متكامل من الفكر والوجدان والتراث والتاريخ والقيم الدينية والأخلاقية كما أنها أداة اتصال وتواصل ولذا فإن استبدال لغة بأخرى فيه إهدار لكل هذه الأبعاد وانسلاخ المجتمع نفسه عن تاريخه وعن ماضيه وعن هويته الثقافية كما أن فيه إضعاف لعلاقته الثقافية والفكرية مع الأقطار الأخرى التى تشترك معه فى تلك اللغة(٦) وفرق كبير فى أن يتعلم المرء اللغات الأجنبية لتكون وسيلة للتبادل الفكرى مع الثقافات المختلفة وبين أن يتبنى هذه اللغة أو تلك لتكون هى أداته فى التفكير والتعبير على حساب لغته الأصلية.

وأخيرا سيبويه المفترى عليه!

ولقد أضاف الأستاذ شريف الشوباشى إلى همومنا هما جديدا بدعوته تلك التى طلع بها علينا من خلال كتابه الأخير: «لتحيا اللغة العربية: **يسقط سيبويه**»(٧) وهو فى هذا الكتاب ينحو باللائمة على سيبويه ظنا منه أنه السبب المباشر فى تخلفنا اللغوى والتعبيرى ومن ثم الفكرى «والتقدمى!» فمن هو سيبويه الذى يريد أن يسقطه من عرشه وهل هو فعلا يستحق ذلك من الأستاذ الشوباشى وهل هو حقا السبب فيما نحن فيه من التردى اللغوى والتعبيرى والفكرى إلى غير ذلك من ألوان وأطياف التخلف؟

وقبل أن نجيب عن ذلك نقول: إن اللغة ليست نحوا فقط ولكنها نحو وصرف وبلاغة وبيان وبديع وألفاظ وأساليب وصياغة. واللغة لا تنهض بذاتها وإنما بجهود أبنائها والناطقين بها فهى مرآة جيدة تعكس أحوال المجتمع المتحدث بها تتقدم بتقدمه وتتدهور بتخلفه ويوم أن قدنا العالم وسدنا أركان المعمورة كان الناس من كل الأجناس يتسابقون لتعلم العربية(٨) حتى ينهلوا من العلم العربى وما قامت النهضة الأوروبية الحديثة إلا على العلوم العربية التى نقلها الأوربيون ترجمة بعد أن تعلم أقطابهم العربية وأجادوها والعجيب ـ كما يقول الأستاذ العقاد ـ أن معظم من تسابقوا فى تعلم العربية فى ذلك الوقت كانوا من الإنجليز مثل أديلارد أوف بات ودنيال أوف مورلى وروجر أوف هيرفورد وإسكندر أوف نكوام(٩) بل لقد نقل الأوربيون كثيرا من الكلمات العربية كما هى ليس فقط لإثراء لغاتهم ولكن لتأثرهم بالحضارة العربية الإسلامية وهى دليل على صبغة المعيشة العربية التى اصطبغت بها تلك البلاد الأوربية وأنها مقياس الفارق بين أحوال الأمم الأوربية قبل اتصالها بالحضارة العربية وبعد شيوع هذا الاتصال(١٠).

ونعود إلى العظيم سيبويه الذى ظلمه «الشوباشى» دون وزر اقترفه أو ذنب جناه إلا غيرته على العربية وقد سبقه فى ذلك بعض أئمة النحو ورواده ومنهم: عبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى وأبو عمرو بن العلاء ومنهم أيضا الخليل بن أحمد الفراهيدى الأزدى وهو من الأفذاذ وأصحاب الأوليات فقد وضع بحور الشعر العربى وطريقة تدوين معاجم اللغة فضلا عن عبقريته فى النحو الذى استنبط أصوله وفروعه وعلله وأقيسته ما لم يسبقه إليه سابق. أما أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الذى أخذ عن أبى عمرو فقد كان صاحب قياس فى النحو وله فيه مذاهب تفرد بها. ثم يأتى بعد ذلك «سيبويه» وهو عمر بن عثمان بن قنبر أما «سيبويه» فهو لقبه الذى يعرف به وقد ولد فى إحدى مدن فارس وهى «البيضاء» أما النشأة والإقامة فكانت بالبصرة وقد تتلمذ على الخليل بن أحمد وغيره من أئمة النحو وقد ترك لنا كتابا فى النحو لم يضع له اسما ولا مقدمة ولا خاتمة. فأطلق عليه القدماء اسم «الكتاب» على اعتبار أنه العلم الذى لا يحتاج إلى تمييزه عما سواه باسم خاص ـ كما يقول الدكتور زكى نجيب محمود فى كتابه «المعقول واللامعقول فى تراثنا الفكرى» ـ فإذا ذكر اسم «الكتاب» فى معرض الحديث عن النحو فإنما يقصد به «كتاب سيبويه» ذاك وهذا يشير إلى أهميته وعلو منزلته وبهذه المناسبة نقول للسيد

«شريف الشوباشى: «إن الرجل لم يسجل بكتابه قواعد ولم يقرر أحكاما ولم يضع شروطا يكبل بها « الشوباشى» أوغيره وحتى لم يلتزم تعريف المصطلحات ولم يرددها على وتيرة واحدة بألفاظ محددة .أما ما يحتويه «الكتاب» فلا يعدو أن يكون فيضا غزيرا من الأساليب والمفردات بعضها مأثور وبعضها الآخر محدث يعرضها سيبويه ليحللها ويدرسها ثم يحكم على صحتها أو خطئها أو يحسنها أو يقبحها(١١) عارضا آراء شيوخه ولاسيما الخليل بن أحمد فينتقدها أو يعلق عليها أو يجعل منها تماما للمسألة التى يدرسها أو يعرض لها مع فيض من الشواهد المتوعة بعضها آيات من القرآن الكريم وبعضها الآخر من المأثور من شعر العرب ومن الرجز ولا يفوته أن يصحح نسبة الشواهد التى يرى أنها منسوبة إلى غير أصحابها.

فما الذى صنعه سيبويه حتى نسقطه ونحمله أوزارنا وأخطاءنا وقد صدق فينا قول المتنبى:

وكم من عائب قولا صحيحا

وآفته من الفهم السقيم

نعم العيب فينا ونلصقه بغيرنا ويعوزنا الفهم الصحيح لقضايانا وما يحاك ضدنا.. فقد كانت مخاوفنا وجهودنا مركزة على التصدى للهجمة الشرسة على التنوع اللغوى العالمى الذى يشمل ضمن ثرواته اللغة العربية وذلك لصالح اللغة الإنجليزية والغرب - خاصة الأمريكى - يجعل منه مدخلا للهجوم على التنوع العقائدى ذاته لاسيما وأن عقيدتنا ترتبط بلغتنا ارتباطا وثيقا فى وقت تزداد فيه الحملة الرعناء التى توجه ضد العرب والإسلام ولغة القرآن فى خطاب صراع الحضارات ونهاية التاريخ إلى غير ذلك مما يصطنعوه من آليات لضربنا جميعا من كل اتجاه(١٢).

وتأمل معى إلى أى مدى يكون التناقض العجيب المريب. ففى الوقت الذى يسعى فيه العدو الصهيونى لجمع شتاته اللغوى وإحياء موات موروثه اللفظى يحاول البعض منا شرذمة اللغة العربية وتفتيتها إلى لغات محلية لا يفهمها إلا المجاميع المنعزلة فهذه مغربية بربرية وتلك عامية مصرية وثالثة عربية خليجية دارجة... حتى تتقطع الأوصال بين أعضاء جسد الأمة فيتفسخ ويتهاوى ويهلك وتلك غاية أعدائنا المرجوة وهدفهم المنشود.

قضايا وهمية وحلول «كوميدية»:

من أطرف التعليقات التى وردت حول كتاب الأستاذ الشوباشى ما جاء على لسان الأستاذ الدكتور عبد العظيم المطعنى من أنه كتاب يصدق عليه المثل العربى «أسمع جعجعة ولا أرى طحنا» بما يوحى بأنه عمل أجوف آثار جلبة وضوضاء بيد أنه يخلو من الفائدة ذلك أن مؤلف الكتاب تخيل أن لغتنا العربية عقيمة محنطة تشرف على لفظ أنفاسها الأخيرة(١٣) وهذه الفكرة التى افترضها المؤلف حتى يتسنى له أن يدعو بمثل هذا الكتاب الأعجوبة إلى إنقاذها فكرة زائفة لا تقوم إلا فى مخيلته. أما إنقاذها عنده فيتمثل فى تغيير جذرى لهذه اللغة والواقع أن ما ورد بهذا الكتاب - كما يقول د. المطعنى - «كوميديا» دامعة تثير الضحك فالذى يطالع الكتاب يرى المؤلف قد عمد إلى محاسن العربية ومزاياها وخصائصها التعبيرية والفنية - التى ليس لها مثيل فى أى لغة من لغات العالم - وحولها إلى مساوئ وعيوب بدلا من أن يشيد بهذه الخصائص الفذة التى تتميز بها العربية ثم دعا إلى محوها مدعيا أن هذا المحو إنقاذ لها وتطوير(١٤)!

أما بكاء الشوباشى من كثرة الحروف الساكنة مقارنة بنظيرتها فى اللغات الأوربية «الحية» (ص١٦٨) ودعوته لاختزالها فعجيب حقا ويدل ذلك على أنه أبعد ما يكون عن مناقشة مثل هذه القضايا إذ أن هذه إحدى مزايا العربية ولبيان ذلك نقول: إن هذه الحروف - الزائدة عن الحاجة فى نظر الشوباشى - وجدت لتنهض بوظائفها فى الوفاء بالمخارج الصوتية التى تتميز بها العربية على خير وجه دون التباس أو تكرار أو تعقيد يتمثل فى

اللجوء إلى أكثر من حرف أو حرفين كما فى الإنجليزية والفرنسية وغيرها. وعلى سبيل المثال فحرف «الذال» فى العربية يقابله فى الإنجليزية حرفان «th» كما فى اسم الإشارة. "this" أما حرف «الثاء» فيقابله فى الإنجليزية نفس الحرفين السابقين كما فى كلمة " thank" مما يؤدى إلى الالتباس. وهناك ما هو أكثر من ذلك فحرف «الشين فى العربية فيقابله حرفان «sh» كما فى "shake"وأحيانا أخرى حرف «S» كما فى الكلمة عربية الأصل "sugar"وكثيرا ما يقوم بذلك أكثر من حرفين كما فى "nation"و ."deficient" أما حرف « الكاف» فلا يقل فى الالتباس عما سبقه فأحيانا يقوم مقامه فى الإنجليزية حرف "k" وأحيانا أخرى حرف "c"كما فى"camel" و "Cairo"وفى بعض الكلمات الأخرى يؤدى هذه الوظيفة حرفان "ch"كما فى . "Chemistry".

وعلى ذلك فإن نطق حروف اللغات الأخرى التى يمتدحها الأستاذ الشوباشى ويتخذها مثلا فى البساطة والسلاسة والوضوح كالإنجليزية اللغة العالمية الأولى الآن هو مشكلة تؤدى إلى الالتباس والتشويش والتداخل ولا يمكن حل «فوازير» وأحاجى نطقها إلا بحفظ هذه الحالات كما هى حيث لا تفى حروفها مفردة بالحاجات الصوتية لهذه اللغة. ومن جهة أخرى فإنهم يلجأون إلى نطق الحرف الواحد بأشكال متباينة فى الكلمات المختلفة فحرف الـ "g"مثلا ينطق جيما قاهرية كما فى "God"وجيما قرشية كما فى "Gem" وجيما معطشة كما فى Religion"وربما لا ينطق كما فى "Right" أما حروف العلة التى يتيه بكثرتها الأستاذ الشوباشى فى اللغات الغربية فيعتور نطقها أيضا كثير من الخلط والالتباس فمع اقترانها تنطق على أربعة أصوات كما فى هذه الكلمات blood, door, food and moon(١٥). ومع ذلك تمتاز العربية بحروف لا توجد فى اللغات الأخرى من أشهرها الضاد ومن ثم فقد أصبحت علما على العربية وكذلك حروف الظاء والعين والقاف والحاء والطاء أو توجد فى غيرها أحيانا ولكنها ملتبسة مترددة لا تضبط بعلامة واحدة(١٦).

ويريد الشوباشى أن «يقتل» الاعراب بحجة الغموض فى نطق كلمة واحدة على عشر حالات كما فى كلمة «قتلت» (ص١٦٩) ولست أدرى لماذا هذه الكلمة بالذات ما علينا !اللغة العربية لغة منطقية عقلانية «ديناميكية» تحتاج فى فهمها إلى إعمال العقل الذى أمرنا خالقنا ـ جل وعلا ـ أن نستخدمه ولنا بذلك الأجر والثواب ومن ثم فليس غريبا أن أطلق القدماء على الفلسفة الإسلامية وهى من أكثر العلوم اعتمادا على العقل «علم الكلام». فالكلمة تفهم وظيفتها ومدلولها من موقعها من الإعراب حتى لو كان هناك تقديم أو تأخير (وهو لايتم عشوائيا أو رفاهية وإنما هو أيضا له وظيفة ويؤدى دورا هاما). وبهذه المناسبة أريد بنفس المنطق أن أسأل الأستاذ الشوباشى هل كلمة "You" الإنجليزية التى تكتب وتنطق أيضا على وجه واحد بينما يراد بها معانى كثيرة مثل :«أنت» للمذكر و«أنت» للمؤنث و «أنتما» و «أنتم» و«أنتن» أدعى إلى الإلتباس الحقيقى سماعا وقراءة وترجمة أم كلمة تكتب على وجه واحد بينما تنطق طبقا لموقعها من الإعراب!

العامية ليست لغة علم:

أما بالنسبة لدعوته استعمال اللغة العامية فى مجال العلوم والتقنية فإن ذلك يؤدى إلى كارثة حقيقية من جراء الخلط والتشويش وانحسار الدقة وتلاشى التحديد الذى يتميز به الأسلوب العلمى والتعبير عن الحقائق والنظريات والتجارب والبحوث العلمية فضلا عن افتقار العامية إلى إمكانات الاشتقاق والتوليد الذى تتميز به الفصحى لمسايرة التطورات العلمية التى لا تتوقف .وفى حالات التقديم والتأخير الذى تتميز به الأساليب العربية فلن يكون من السهل تعيين الفاعل وتمييزه من المفعول مع اختفاء الإعراب مما قد يترتب عليه من مشاكل لا تحمد عقباها لا سيما فى بعض المجالات العملية

كالكهرباء والميكانيكا والكيمياء التطبيقية إلى غير ذلك من مجالات تتطلب التحديد الصارم والدقة المتناهية حيث إن أى التباس قد يكون قاتلا!

أما دعوته لإلغاء «نون النسوة» فسوف يزيد الطين بلة فالمقارنات مثلا بين نتائج الاختبارات والفحوص لمجموعتين من المرضى إحداهما من الذكور والأخرى من الإناث سيحدث بصددها الخلط والتشويش تماما مثلما يحدث فى حالة الأحكام الفقهية والضوابط الشرعية التى تخص الرجال من دون النساء أو عكس ذلك فسوف يعتورها الخلط وعدم التحديد الذى قد يفضى إلى آثار خطيرة.

هذا فضلا عن أن الثروة اللفظية للعامية جد فقيرة بالمقارنة إلى الفصحى فقد تبين فى بعض الإحصاءات أنها لا تتجاوز الخمسمائة كلمة بينما تتطلب الحياة العلمية المتنامية عشرات الآلاف بل ومئاتها من الكلمات لنستطيع التعبير عن المدركات الجديدة المتطورة والمسايرة لحركة الفكر العلمى والإنسانى بوجه عام .وهذا الثراء اللفظى ميزة تتميز بها العربية وليس عيبا كما يظن الأستاذ «الشوباشى»فى كتابه المعجزة !

نعم.. لغتنا فى خطر ولكن ليس معنى ذلك أن نلعنها ونلغيها ونستبدل العامية بها ولكن الأجدى من ذلك أن نبحث بالطرق العلمية المنهجية لحل مشاكلها وتيسيرها على ألسنة وأقلام الناطقين والكاتبين بها .

إن الدعوة إلى اللهجات العامية بهدف القضاء على الازدواج اللغوى واتساق الفكر مع اللسان وتبسيط القواعد بحذف معظمها دعوة مشبوهة تؤدى إلى الانسلاخ عن العقيدة ونقض عرى الدين من خلال الانقطاع عن أهم نصوصه: القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والتراث الفقهى والشرعى والأدبى والفكرى المكتوب باللغة العربية الفصيحة ذلك الذى يضرب فى تاريخنا إلى نحو ألف وخمسمائة عام. إنها باختصار دعوة لطمس معالم الهوية العربية الإسلامية وإلغائها وهى فى النهاية دعوة مذمومة مسمومة فاشلة لا يمكن تنفيذها وستنتهى قبل أن تبدأ شأنها فى ذلك شأن سوابقها بل ولواحقها أمام ما تعهد الله به من حفظ قرآنه الكريم كما جاء فى قوله تعالى: ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ الحجر: آية ٩، وحتى نستيقن من ذلك فإنه مع كل تطور علمى وتقدم تقنى يتأكد ويترسخ هذا العهد القرآنى الناصع البيان ليتحقق معه حفظ لغة القرآن رغم أنف الحاقدين وكيد الكائدين ورحم الله سيبويه وأجزل له الأجر والثواب لقاء ما قدم من علم يخلد ذكره ما بقيت العربية وستبقى بإذن الله.

المراجع والتعليقات:

١ ـ أمين الخولى (ب .ت .) فن القول ص١١٠.

٢ ـ ابن قتيبة الدينورى (١٩٨٩) تأويل مشكل القرآن سلسلة تقريب التراث: الكتاب رقم ٦. مركز الأهرام للترجمة والنشر. القاهرة. ص٥٤.

٣ ـ د .رمضان عبد التواب(١٩٩٠) الشعوبيون الجدد وموقفهم من العربية الفصحى ـ منبر الإسلام ـ ٤٩ (٥): ٦٤ ـ ٦٦.

٤ ـ د .عبد الله حامد حمد (١٩٩٣) العربية إلى أين مجلة الفيصل العدد رقم ١١٩٣، ص٧٨.

٥ ـ أنور الجندى (١٩٦٥) من الأعلام المعاصرين: الدكتور حسين الهراوى ـ مجلة منبر الإسلام ٢٣ (١٠): ١٩٣.

٦ ـ د .أحمد أبو زيد (٢٠٠٤) هوية الثقافة العربية. الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة .. مصر ص ٢٨٣..

٧ ـ صدر الكتاب عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ويقع فى ١٩٥ صفحة من القطع الصغير .

٨ ـ د .محمد فتحى فرج بيومى (١٩٩٤) اللغة العربية وعاء جيد للعلوم العصرية رسالة العلميين نشرة غير دورية يصدرها فرع نقابة المهن العلمية بالمنوفية العدد الثانى) ٦ ـ ٧.

٩ ـ عباس محمود العقاد (١٩٦٩) أثر العرب فى الحضارة الأوربية. الطبعة الثامنة. دار المعارف بمصر ص٤٦.

١٠ ـ المصدر السابق ص١١٤.

١١ ـ على النجدى ناصف (١٩٧٨) تاريخ النحو. دار المعارف بمصر ص١٩.

١٢ ـ د .نبيل على(١٩٩٩) عن العولمة واللغة. ملحق مجلة سطور العدد ٥٥ ص٥.

١٣ـ د .عبد العظيم المطعنى (٢٠٠٤) فى حديث له فى جريدة «عقيدتى» القاهرية الصادرة فى ٢٠٠٤/٨/٣م أجراه مع سيادته الأستاذ إسلام أبو العطا.

١٤ ـ المصدر السابق.

١٥ ـ عباس محمود العقاد (١٩٨٨) أشتات مجتمعات فى اللغة والأدب .الطبعة السادسة. دار المعارف بمصر ص٥٣.

١٦ ـ عباس محمود العقاد (ب .ت) اللغة الشاعرة . مكتبة غريب . القاهرة ص١١.

الإسلام ودوره فى التنمية الشاملة

د/ جمال رجب سيدبى

يرتبط موضوع التنمية الشاملة بحقوق الإنسان ارتباطا وثيقا، فحقوق الإنسان فى الإسلام تعنى المحافظة على كيانه، والمحافظة على حياته، وعلى سعادته، ويربط الإسلام بين العبادة بمعناها الشامل وحقوق الإنسان، كانت هذه مقدمة ضرورية للولوج إلى الموضوع الذى نود معالجته فى هذا الطرح.

فلو نظرنا إلى المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، وهى حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ المال، وحفظ العرض، نجد أنها تصب فى مجال حقوق الإنسان. وسوف أشير إلى عظمة المنهج الإسلامى فى التأكيد على حقوق الإنسان.

حق الحياة:

الحياة محض هبة وفضل من الله، وبالتالى لا يحق لأحد أن يعتدى عليها، ولهذا أكد الإسلام على حرمة قتل النفس بقول المولى تبارك وتعالى: ﴿**ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق...**﴾ الإسراء: آية ٣٣، ويشير القرآن الكريم إلى أنه اعتبر قتل نفس واحدة بمثابة قتل للبشرية جمعاء قال تعالى: ﴿**أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا**﴾ المائدة: آية ٣٢.

هدف الرسالة المحمدية هو تنمية الإنسان من كافة جوانبه روحيا وماديا

حق الإنسان فى حرية الاعتقاد:

أكد الإسلام على حرية الاعتقاد، وأن ممارسة الدين حق مكفول لكل إنسان ﴿**لا إكراه فى الدين**﴾، وهذا المبدأ العظيم، هو الذى شجع الإنسان فى ظل الحضارة العربية الزاهرة فى العصور الوسطى أن يبدع وينتج وينمى المجتمع الذى يعيش فيه، ومن ثم انصهر فى ظل هذه الحضارة كل الناس من شتى الملل والنحل، من اليهود والمسيحيين والمسلمين وساهموا جميعا فى بناء صرح هذه الحضارة، واشتركوا جميعا فى التنمية الشاملة لأن هذه الحضارة أرست المبادئ العظيمة وأعطت كل ذى حق حقه من منطلق قول المولى تبارك وتعالى: ﴿**ولا تبخسوا الناس أشياءهم**﴾.

حق الحياة فى أمن واطمئنان:

يشير الرسول ﷺ فى خطبة الوداع فى حق الإنسان فى أن يعيش فى أمن واطمئنان يقول ﷺ: «**إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا**» رواه مسلم عن

جابر. وفى حديث آخر: «**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**» رواه مسلم عن أبى هريرة.

لقد أقر الإسلام حقوق الإنسان فى كلمات قصار منذ أربعة عشر قرنا من الزمان وقبل أن تعرف المدنية المعاصرة، ومنظمات حقوق الإنسان التى مازالت تنادى بالمحافظة على حقوقه، ورغم المواثيق الدولية فى هذا الصدد - إلا أن حقوق الإنسان مازالت مجحوفة فى بقاع كثيرة من أرجاء المعمورة لظلم الإنسان لأخيه الإنسان والعلاج الناجع يتمثل فى تطبيق مبادئ الإسلام العظيمة.

الإسلام نظر إلى الإنسان فى كيانه المتكامل كروح وجسد بخلاف النظرة الغربية المادية

إن الحقوق فى الإسلام يقابلها الواجبات من منطلق قول المولى تبارك وتعالى: ﴿**وأحسن كما أحسن الله إليك**﴾.

حق الإنسان فى التعليم:

حرص الإسلام على التأكيد على حق الإنسان الطبيعى فى التعلم منذ هبوط الرسالة على قلب النبى ﷺ، فأول ما نزل من الوحى: ﴿**اقرأ باسم ربك الذى خلق**﴾.. القراءة فى كل مجال من مجالات حياتنا أمر يدعو إليه الإسلام منذ البدايات الأولى للوحى، القراءة المتدبرة فى كتاب الله المسطور لنتلمس منه العبرة والهداية، والقراءة فى كتاب الله المنظور، وهو الكون بكل ما فيه من سموات وأراضين، بكل ما فيه من أسرار فيجب علينا أن نكتشف القوانين التى تحكم نظام الكون من أجل تسخيره لخدمة ديننا ودنيانا، فلا جرم أن الإسلام يؤكد على مثل هذه الحقائق منذ البدايات الأولى للوحى، بل ذهب الرسول ﷺ إلى أبعد من ذلك فقال: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»، فطلب العلم ليس نافلة أو أمرا ترفيا إنما من المهام الرئيسية للإنسان لتحقيق الدور المنوط به من الاضطلاع بمهام الخلافة فى الأرض.

إذن الإسلام جاء ليربط بين حقوق الإنسان والتنمية فى كل جانب من جوانب الحياة ولهذا كان الخطاب القرآنى موجها إلى الإنسان، الإنسان العاقل المفكر الذى كلف بحمل الأمانة وهذا ما سأشير إليه.

الإنسان ودوره الفاعل فى التنمية:

دعا الإسلام إلى بناء العقل المسلم، فلو نظرنا إلى الخطاب القرآنى لوجدناه موجها إلى الإنسان، يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿**يأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم**﴾ الانفطار: آية ٦، ﴿**يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه**﴾ الانشقاق: آية ٦، ومن هنا فإن الهدف من الرسالة المحمدية هو تنمية الإنسان من جميع جوانبه، فالمذهب الإلهى يهتم بالإنسان ككل، بخلاف المذاهب الوضعية مثل العقد الاجتماعى عند جوك لوك وجان جاك روسو اللذين تصورا أن الإنسان عاش بلا جماعة أو تنظيم مجتمع، فالإنسان كائن اجتماعى بطبعه!! ومن ثم فالإسلام نظر إلى الإنسان فى كيانه المتكامل كروح وجسد، بخلاف النظرة الغربية التى تنظر إلى الإنسان نظرة مادية وحسب وأن إشباع الحاجات المادية هو ملاذ إنسان العصر من مأكل ومشرب ومتاع جنسى وغيره من أنواع المتعة. فى حين أن المنهج الإلهى يراعى الإنسان

فى كيانه المتكامل كروح وجسد، فغذاء الروح لا يقل أهمية عن غذاء البدن، ومن ثم فإن الإسلام يؤكد على بناء الشخصية المتكاملة فى جميع جوانبها، حتى تستطيع أن تنهض بالأمة وترتقى بأشواقها كما أراد رب العزة **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾** إن خير أمة تتكون من المواطن الصالح الذى يحب الخير لنفسه وللمجتمع الذى يعيش فيه - فكما يقال، فاقد الشىء لا يعطيه، ومن لا يملك النصاب فكيف يزكى، ولذا.. نقول إن التنمية الحقيقية تبدأ بالإنسان الفرد وتنميته على كافة المستويات الثقافية والخلقية والتربوية وهذا ما أشار إليه العديد من المصلحين والمربين فى فكرنا الحديث أمثال الشيخ محمد عبده وغيره من المصلحين.

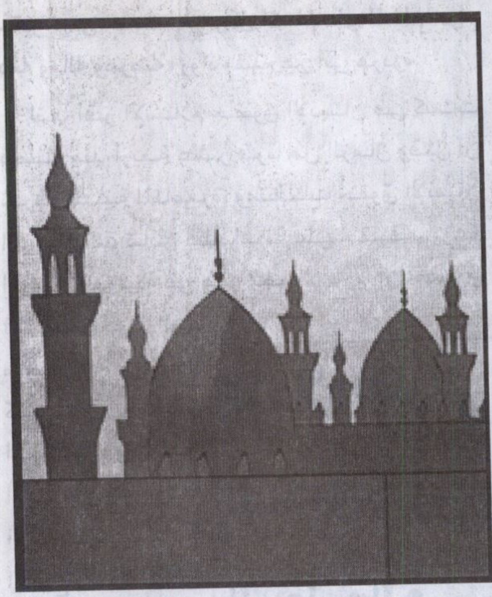

تنمية القدرات العقلية وعلاقته بالتنمية:

أشار القرآن العظيم فى مواضع عديدة إلى أهمية العقل فى التنمية، وعندما يأتى ذكر العقل، يكون فى مقام التعظيم والتنبيه وكما يشير الأستاذ عباس العقاد فى كتابه «التفكير فريضة إسلامية» أن الإشارة عن العقل فى القرآن جاءت جازمة باللفظ والدلالة. ولهذا لم يذكر القرآن العقل بمعنى واحد وإنما بكل المعانى التى يشرحها النفسانيون من أصحاب العلوم الحديثة من العقل المدرك والعقل الوازع، إلى أعلى خصائص العقل الإنسانى «الرشد».

ولو نظرنا فى سورة آل عمران لوجدنا دعوة عظيمة إلى التفكير والتأمل **﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾** آل عمران: آية ١٩١.

ولعل هذا القول يذكرنى بما ذهب إليه العالم بلوم فى تصنيفه المشهور للقدرات العقلية فى الذهن الإنسانى من الفهم، والتذكر، والاستنباط والقدرة على المقارنة إلخ.. وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ولا مانع من أن نستفيد من الدراسات والبحوث العلمية فى هذا الصدد، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها، ما نود الإشارة إليه أن القرآن الكريم جاء لكى ينمى قدرات العقل الإنسانى من أجل التنمية الشاملة فى كل مجال من مجالات حياته، ورحم الله الإمام الشافعى واضع علم الأصول فى الفقه، وإقامة صرح هذا العلم على أساس عقلى متين فالفقه وأصول الفقه لا يمكن فهمها بدون العقل الراجح والنظر السديد، وإذا كان فقهاؤنا الأوائل قد أبدعوا فى مضمار الفقه وأصوله، كما أبدع علماؤنا فى مضمار الدين والدنيا كابن رشد وابن سينا والخوارزمى وجابر بن حيان وابن الهيثم وغيرهم وغيرهم مما لا يتسع المجال لذكره، فلماذا لا نؤسس العقل المسلم من جديد على قيم الإبداع والنماء والعطاء ولنعمل على استعادة الثقة بأنفسنا وذواتنا من جديد، فالثقة فى الله أولا وفى النفس ثانيا من أولى خطوات النجاح.

الماء فى التراث العربى الإسلامى

صلاح عبدالستار محمد الشهاوى

الماء هو جوهر الحياة والعنصر الرئيسى لها ـ حياة البشر عامة ـ وهو عصب الحياة لجميع الأحياء على هذه البسيطة، يوجد داخل كل خلية لتمثيل الغذاء والعمليات الحيوية ويجرى فى عروقنا يحمل عناصر الدم فى رحلة طويلة تمتد إلى نهاية الحياة وبه تحيا الأرض وينبت الزرع والزهور، فالماء وجوده يغير وجه الأرض وفقدانه يؤدى إلى نهاية الأحياء لا محالة ـ والماء أحد أركان الكون فإن السموات خلقت من بخاره والأرض من زبده والماء العذب صافى اللون لا رائحة له، طعمه عذب وزنه خفيف ورقيق القوام منبعه نظيف والبحر ماؤه مالح لتمام مصالح الناس والحيوان، فإنه راكد كثير الحيوانات ويموت فيه الكثير ولا يقبر فتتحلل الحيوانات ويظل هو على حاله لا يتغير إلى أن يطوى الله العالم(١) والماء مادة غذائية أساسية فهو أكثر مكونات الجسم البشرى توفرا نظرا لكونه أكثر من أربعة أخماس وزن الإنسان ولا يستساغ طعام بدون ماء.

الماء فى التراث العربى:

العرب منذ تاريخهم القديم أدركوا أهمية الماء فى الحياة فكتبوا عنه وقالوا فكان فى تراثهم الأدبى والدينى الشىء الكثير عن الماء. فالعرب إذا أرادوا أن يطلقوا اسما على امرأة ذات جمال وبركة وحسن وصفاء وبياض أطلقوا عليها ـ ماء السماء ـ يقول الجاحظ «وحين اجتهدوا فى تسمية امرأة بالجمال والبركة والحسن والصفاء والبياض قالوا ماء السماء. والعرب إذا وصفت الماء والشراب بالصفاء قالوا كأنه الدمع وكأنه ماء قطر، وكأنه ماء مفصل وكأنه لعاب الجندوب وكأنه عين الديك ومن أمثالهم «ياماء لو بغيرك غصصت» يضرب عن دهى من حيث ينتظر الخلاص والمعونة.

ومن وصايا العرب:

وصية الفرافصة الكلبى لابنته نائلة حين جهزها إلى زوجها عثمان بن عفان فكان مما قال لها ـ يابنية انك تقدمين على نساء قريش وهن أقدر على الطيب منك فلا تغلبى على خصلتين ـ الكحل والماء». ومن وصية أمامة بنت

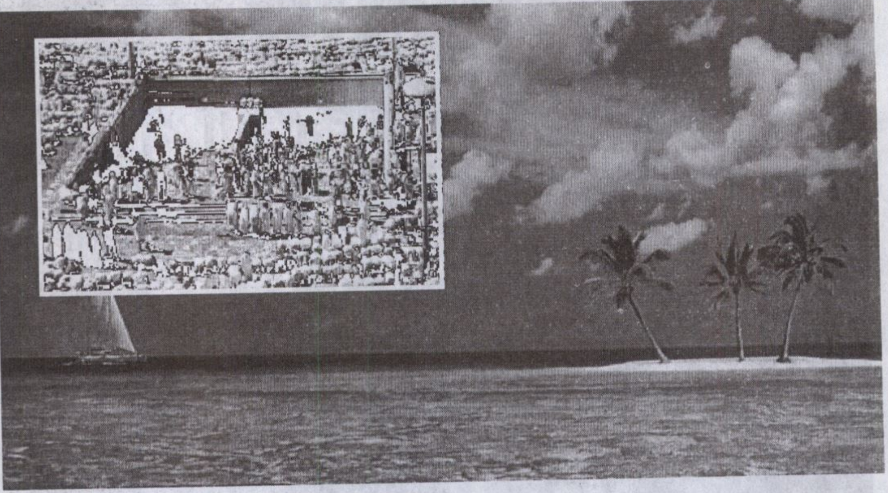

الحارث لابنتها وليكن أطيب طيبك الماء» ولا غرابة فالعرب تقول «أطيب الطيب الماء»(٢).

ولقد أعطى العرب ـ سكان البادية ـ الماء مكانة مهمة وخاصة ماء السماء فتتبعوا أخباره وترقبوا قدومه ولهذا سمى العرب بأبناء السماء. وماء السماء هو لقب عامر بن حارثة الأزدى الذى خرج من اليمن لما أيقن أن سيل العرم سيدمر أكبر منشأة مائية آنذاك ـ سد مأرب ـ سمى بذلك لأنه كان إذا أجدب قومه عافهم حتى يأتى الخصب فقالوا هو ماء السماء ـ لأنه خلق منه وقيل لولده بنو ماء السماء وهم ملوك الشام ـ قال أحدهم:

أنا ابن فريقيا عمرو جدى

وأبوه عامر ماء السماء

كذلك قال عبيد بن السلامى:

ومنا بنو ماء السماء ومنذر

وحفنة منا والقروم النوازع(٣)

لقد لعب الماء دورا مهما فى قيام ونشأة الحضارات القديمة ووجود نظم بيئية وحياة مستقرة متوازنة منذ القدم وشاهد ذلك سعى أمنا هاجر بين الصفا والمروة وانبثاق ماء زمزم تحت رجلى إسماعيل، وإلى سد مأرب الذى كان يحجز خلفه المياه فى أحواض واسعة، تعود حضارة مأرب وبساتينها التى دمرها سيل العرم وأبدلت بساتينها بسدر وأثل فهذا شعارهم بعد زوال هذا الماء يذكر أحواض مأرب ومشاربها ويتمنى شربة ماء واحدة من تلك الأحواض رقراقة الماء.

فيالهف نفسى كلما التحت لوحة

على شربة من بعض أحواض مأرب

بقايا نطاف أودع النعيم صفوها

وصقله الأرجاء زرق المشارب

ترقرق ماء المزن فيهن والتقت

عليهن أنفاس الرياح الغرائب

وليس بعيدا عن مياه النيل قامت أهرامات مصر وحضارتها أما حاضرة تدمر وغيرها من الواحات العربية فى بادية الشام وشبه الجزيرة العربية فقد ساعدت المياه على قيامها حيث تنتشر الآبار والمشارب فيها، لندرة الماء لدى العرب فى صحرائهم الواسعة فكان يراعهم ما يرونه من مياه كثيرة فى أنهار الشام والعراق من ذلك ما يروى عن النابغة الذبيانى عندما وقف أمام نهر الفرات فلقد راعه فيضان نهر الفرات وأثارت أمواجه المتلاطمة شاعريته فقال فى ذلك:

فما الفرات إذا جاشت غواربه
ترمى أو زايه العبرين بالزبد
يمده كل واد مترع لجب
فيه ركام من الينبوت والخضر
يطل من خوفه الملاح معتصما
بالخيزرانه بين الأين والنجد(٤)

ولما كان العرب أهل صحراء مترامية الأطراف يعز فيها الماء فإن فترات الجفاف كانت تترك بصماتها على حياتهم وأرزاقهم ومواشيهم لذا نراهم يبثون فى أشعارهم أنات حزينة مسترسلة من أعماقهم تروى عطشهم للماء من ذلك قول أعرابية:

ألم ترنا غبنا ماؤنا
زمانا فظلنا بكد البيارا
فلما عدا الماء أوطانه
وجف الثمار فصارت حرارا
وفتحت الأرض أفواهها
عجيج الجمال وردن الجفارا
وضجت إلى ربها فى السماء
رؤوس العضاة تناجى السرارا
وقلنا أعيدوا الندى حقه
وعيشوا كراما وموتوا حرارا

وفى الجدب وقلة الماء يردئ المشرب وتتلوث مياه الآبار ومع ذلك ليس هناك من بديل لتلك المياه يشربها الإنسان ودوابه يقول ذو الرمة:

وماء حرى عاف الثنايا كأنه
من الأجن أبوال المخاض الضوارب
حشوت القلاص الليل حتى وردنه
بنا قبل أن تخفى صغار الكواكب

لقد جعل الجفاف للماء مكانة فى نفوس العرب بلغت حد التقديس والتبجيل جاء ذلك فى مظاهر كثيرة من حياة أوائلهم فاتخذوا لورد الماء أصولا وقوانين وأعرافا يحترمونها أيما احترام فمن له ثأر عند إنسان آخر، وأدركه يمسك قربة الماء أو مكبا على الغدير يرتوى أمهله حتى أتم شربه ويسقون الذبيحة الماء حتى ترتوى ومن ثم تذبح، ولولا احترام ورد الماء لما أمهل شاعرهم قطيع حمار الوحش حتى ترتوى ثم ترجع عن الغدير، وبعدها أطلق سهمه وهو بأمس الحاجة إلى واحدة منها فليس لديه قرى لضيفه حيث يقول:

عطاشا تريد الماء فأنساب نحوها
على أنه منها إلى دمها أظلما
فأمهلها حتى تروى عطاشها
فأرسل فيها من كنانته سهما

ولا عجب إذا رأينا شعراء العربية يسهبون فى ذكر الماء ويقرنونه برجع أحاديث محبوباتهم فهذا أبو ذؤيب الهزلى يشبه حديث محبوبته بعسل النحل الممزوج بألبان أبكار الإبل الحديثة النتاج والمشوب بماء صاف مثل ماء المفاصل - ماء المفاصل هو ماء بين الجبلين وإنما خص بالذكر لصفائه بسبب انحداره عن الجبال لا يمر بطين أو تراب - حيث يقول:

وإن حديثا منك لو تعلمينه
جنى النحل فى ألبان عوذ مطافل
مطافيل أبكار حديث نتاجها
تشاب بماء مثل ماء المفاصل

وهذا شاعر آخر يرى أن ما يصدر عن النساء من قول يصادف من نفس محدثهن ما يصادفه من الماء البارد ظمآن برح من الظمأ:

فهن ينبذن من قول يصبن به
مواقع الماء من ذى الغلة الصاوى

وهذا آخر يرى أن حديث محبوبته فى نفسه موضع صوت غيث هاطل من نفس راعى ابل طال عهده به فيقول:

وحديثها كالغيث يسمعه
راعى سنين تتابعت جدبا
فأصاخ مستمعا له
ويقول من فرح هيا ربا(٥)

الماء فى القرآن الكريم:

القرآن الكريم منهج شامل وصالح لكل زمان

ومكان فما إن بحثنا عن جزئية من حاجات الإنسان وجانب من جوانب حياته إلا وجدنا فيضا من التوجيهات القرآنية تغطى هذا الجانب ويفيض وكأن القرآن الكريم أنزل لهذا الشأن فقط(٦)، وعند البحث عن الماء فى القرآن الكريم نجد أنه سائل الحياة فلا شىء حى يكون بدون ماء **﴿وجعلنا من الماء كل شىء حى﴾** الأنبياء: آية ٣٠، **﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾** النور: آية ٤٥، **﴿فلينظر الإنسان مم خلق* خلق من ماء دافق﴾** الطارق: الآيتان ٥، ٦. **﴿أفرأيتم الماء الذى تشربون﴾** الواقعة: آية ٦٨، **﴿والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها﴾** فاطر: آية ٩، **﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها﴾** الرعد: آية ١٧، كما يحدثنا القرآن الكريم عن فوائد عظيمة كثيرة للماء فى حياة الإنسان منها استخدام الماء للشرب والسقيا قال تعالى: **﴿فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه﴾** الحجر: آية ٢٢.

- إخراج الحب والنبات والجنائن من الأرض قال تعالى: **﴿وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا* لنخرج به حبا ونباتا* وجنات ألفافا﴾** النبأ: الآيات ١٤ ـ ١٦.

- احياء الأرض بعد جدبها وقحالتها وموتها **﴿والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها﴾** النحل: آية ٦٥.

- استخدام الماء للطهارة وإزالة العوالق التى تسبب الأذى للإنسان. **﴿وأنزلنا من السماء ماء طهورا﴾** الفرقان: آية ٤٨، **﴿وينزل من السماء ماء ليطهركم به﴾** الأنفال: آية ١١.

- إخراج الثمرات والرزق للإنسان وما سخر الله له من الحيوان لمنفعته **﴿وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم﴾** البقرة: آية ٢٢، كما يحدثنا القرآن عن الماء وإغراق قوم نوح الذين كذبوه **﴿قال سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين﴾** هود: آية ٤٣(٧).

الماء علاج ربانى:

كان أمر الله لأيوب عليه السلام فى الآية: **﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب* اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾** ص: الآيتان ٤٢، ٤٣. وإذا كان علاج أيوب عليه السلام بالماء معجزة ورحمة من الله جل وعلا فهى كذلك إشارة إلى الأسرار المخزونة فى الماء(٨).

زمـــزم:

سبعة أشواط بين الصفا والمروة تهرول هاجر تتلفت وراءها إلى حيث تركت وليدها والطفل لا ينقطع بكاؤه. تذكرت لحظتها ما قالته لإبراهيم عليه السلام عن أهل الله الذين لا يضيعهم.. وبكت ورفعت صوتها بالبكاء فانفجرت أعين زمزم وظهر ماؤها المبارك فأقبلت تشرب من الماء وتسقى إسماعيل وأخذت تحيط مكان خروج الماء المتدفق بما استطاعت جمعه من الحصى والرمال لئلا يسيل يمينا ويسارا ولئلا يغيض فى رمال الصحراء وهى لا تدرى أن هذه العين سوف تبقى جارية متدفقة على مدى آلاف السنين وسوف يفد إليها من شتى بقاع الأرض الملايين من حجاج بيت الله ومن المعتمرين فى كل عام ليشربوا من مائها المبارك الطهور.. ومع سطوع شمس الإسلام ازدادت أهمية زمزم وزاد إقبال المسلمين على مائها وخاصة بعد أن رأوا حرص رسول الله ﷺ عليها. وبعد أن أشاد بفضل مائها وبركته فقد ثبت فى الصحيحين أن النبى ﷺ شرب من ماء زمزم وقال: **«إنها طعام طعم وشفاء سقم»**، وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«ماء زمزم لما شرب له، إن شربته تستشفى شفاك الله وإن شربته لشبعك أشبعك الله وإن شربته لقطع ظمئك قطعه الله»**.

وروى سعيد بن منصور فى سننه عن النبى ﷺ أنه قال: **«خير بئر فى الناس زمزم»**، وروى الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: **«خير ماء على وجه الأرض زمزم منه طعام الطعم**

وشفاء السقم»[٩]. وماء زمزم من أشهر المياه عند العرب فقد ورد فى آثار السلف أن الكثير من المرضى تداووا به وذكرت المصادر أن أبا ذر الغفارى رضي الله عنه عاش على ماء زمزم ثلاثين يوما وليلة ولم يهزل. وذكر الإمام ابن القيم أنه شاهد من كان يتداوى بماء زمزم كما رأى من كان يتغذى بذلك الماء ويعيش عليه فترة طويلة دون أن يضعف أو تذهب قوته[١٠].

وعن ابن أبى مليكه قال: كنت عند ابن عباس - رضى الله عنهما - فجاء رجل فجلس إلى جنبه فقال له ابن عباس من أين جئت؟ قال شربت من ماء زمزم، قال شربتها كما ينبغى قال: وكيف ينبغى يابن عباس؟ قال تستقبل القبلة وتسمى الله ثم تشرب وتتنفس ثلاث مرات فإذا فرغت حمدت الله تعالى. وتتضلع منها (أى تشرب حتى يمتلئ جنبك وأضلاعك)، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من زمزم**» رواه ابن ماجه فى سننه[١١].

الماء فى السنة النبوية المطهرة:

نظرا لأن الماء قوام الحياة وعنصر مادتها فقد أباحه رسولنا الكريم ﷺ وقضى بحق جميع الناس فيه وسوى بينهم فى ملكيتهم العامة له وكذلك الأمر بالنسبة للنار والكلأ يقول ﷺ: «**الناس شركاء فى ثلاثة: النار والكلأ والماء**». وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ يحمل ماء زمزم فى القرب وكان يصب على المرضى **ويسقيهم**» أخرجه الترمذى والبخارى. وكان رسول الله ﷺ يعالج الحمى بصب الماء على المريض ويقول: «**الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء**»، أخرجه البخارى. وكان ﷺ يأمر المحمومين بالاستحمام فى السحر ليكون الماء محتفظا ببرودته فيقول ﷺ: «**إذا حم أحدكم فليسن عليه من الماء البارد فى السحر ثلاث ليال**» أخرجه النسائى والحاكم عن أنس رضي الله عنه.

وفى حديث أبى هريرة رضي الله عنه «**أن أول ما يسأل عنه العبد من النعم أن يقال له ألم نصلح لك بدنك ونروك من الماء البارد**»، وعندما قالت الصحابة يارسول الله وأى نعيم نحن فيه؟ وإنما نأكل فى أنصاف بطوننا خبز الشعير فأوحى الله إلى نبيه ﷺ **أن قال لهم: أليس تحتذون النعال وتشربون الماء البارد؟ فهذا من النعيم**».

الرؤية الإسلامية للماء:

الماء كونه أصلا للحياة وهبة من الله وشراب المعرفة إضافة إلى هذا له معنى تطهيرى لأنه يطهر المسلم خارجيا (جسده) وداخليا (روحه) كما أن إمداد الآخرين بالماء إنسانا كان أو حيوانا يعد زكاة فى الإسلام فالمسلم يتطهر بالماء من الجنابة قبل صلاته وهذا يعطى أهمية أساسية لديه[١٢].

والرسول ﷺ يقرر أن الطهور شطر الإيمان ولأهمية الطهارة وضرورتها فقد بين المنهج الإسلامى وسائل الطهارة بالماء - منها الغسل من الكفر والجنابة ثم يأمرنا بالنظافة اليومية خمس مرات. قال رسول الله ﷺ: «**مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم**» رواه الترمذى[١٣].

المراجع:

١ - د. صلاح الأجاوى: الدواء من الماء، دار صحف الوحدة الإمارات ص٧.

٢ - د. محمد سلامة يوسف رحمه: الماء فى التراث العربى، مجلة الكويت العدد ٦٤ ص١٠٤.

٣ - د. عواد جاسم الجدى: الماء فى تراث العرب، مجلة الكويت العدد ١٤٦ ص٨٤.

٤ - المصدر السابق ص٨٥.

٥ - د. محمد سلامة يوسف رحمه: مصدر سابق ص١٠٢.

٦ - د. صلاح الأجاوى: مصدر سابق ص٤٣.

٧ - خالد إسماعيل غنيم: الماء فى القرآن الكريم، المجلة العربية المحرم ١٤١٦هـ ص٣٦.

٨ - د. صلاح الأجاوى: مصدر سابق ص١٦.

٩ - فوزى عبدالقادر الفيشاوى: زمزم الماء والشفاء، مجلة الفيصل العدد ٢٨٢ ص٩٣.

١٠ - د. محمد سلامه يوسف رحمه: مصدر سابق ص١٠٣.

١١ - فوزى عبدالقادر الفيشاوى: مصدر سابق ص١٠٣.

١٢ - نادية جمال الدين محمد: لغز الماء فى الأندلس، مجلة الفصيل العدد ٢٧٦ ص١١٥.

١٣ - د. صلاح الأجاوى: مصدر سابق ص٣٨.

عمر مكرم.. بطل المقاومة الشعبية!

كمال عبدالوهاب

«لكل فعل ردّ فعل مساو له فى القوة، ومضاد له فى الاتجاه».. هذا قانون من القوانين التى تبين طبيعة حركة الأشياء تأثيرا وتأثرا.. قوة واتجاها!

وإذا حاولنا أن نفسر هذا القانون عمليا، فيمكننا أن نقول إنه إذا اقتحمت (مثلا) «قوة» ما - عنوة - ديار الإسلام، فإنه تلقائيا تنشأ ضد هذه «القوة» الباغية وتحتشد «قوة مضادة» لصد هذا العدوان ودفعه!

إن هذه القوة المتنامية والمضادة يطلق عليها «المقاومة»، وهى وليدة انفعال إنسانى غاضب.. طبيعى ومشروع.. حيث تكتسى هذه المقاومة وتكتسب مشروعيتها من كونها تمثل حالة من الدفاع عن النفس والأرض والعرض!

وعلى هذا، فإن المقاومة بهذا المعنى ليست إرهابا علي الإطلاق!..

- المقاومة.. موقف استنفارى دفاعى شرعى، يأتى استجابة فطرية لمطلوبات الدفاع عن الذات! وهذا ما حض عليه الإسلام على كراهته: ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم﴾ البقرة: آية ٢١٩.

- أما الإرهاب.. فهو سلوكٌ إجرامى دموى مِحرم، يسعى إلى تحقيق مآرب قوى شريرة بالترويع وسفك الدماء!، وهذا ما نهى عنه الإسلام صراحة: ﴿ولا تعتدوا إن الله لايحب المعتدين﴾ المائدة: آية ٨٧.

لقد اهتز الشاعر من غزو المحتل، وما ترتب عليه من مواجهة تجسدت فى مقاومة باسلة لدحره، فأنشد يقول:

شَبِعْنَا منهم قِيلا وقَالا

فقاتلْ ما استَطعت لهم قِتالا

أتذكرُ كيف سَاموا عَذَابًا

وصَالَ عَذابُهم فينا وجالا

فكم ملأوا من الأحرار سجنًا

وكم نَصَبوا لأعناقِ حِبالا

ألا فيشهدوا مِنَّا نزالا

كما لم تَشْهد الدنيا نزالا

فإما أنْ يزول الذلُّ عنَّا

وإمَّا أننا نَلقَى الزوالا(١)

والآن نحن مع بطل من أبطال المقاومة الشعبية يمثل طرازا فريدا بين زعماء العرب فى التاريخ الحديث. لمع اسمه حين هبطت أرض مصر الحملة الفرنسية، ناهض الفرنسيين ورفض أن يكون من أعوان الاحتلال الفرنسى على الرغم من وسائل الإغراء التى استخدمها معه رجال الحملة.

كان مسلما فى عقيدته، أزهريا فى ثقافته، عربيا فى أصالته، عثمانيا فى نزعته، ولا تثريب عليه فى هذه النزعة، فالمجتمع الذى عاش فيه كان مجتمعا دينيا، وكان الشعب المصرى لا ينظر إلى سلطان الدولة العثمانية على أنه حاكم أجنبى دخيل مستعمر أو مستغل، بل كان ينظر إليه على أنه سلطان الإسلام أو سلطان المسلمين، وأن الدولة العثمانية هى دولة الإسلام الكبرى التى تُظل المسلمين بظلها الظليل.

جامع عمر مكرم

○ ترى من هذا الزعيم .. بطل المقاومة الشعبية؟!

هو السيد عمر مكرم الذى يحتل مكانا مرموقا بين أعلام العرب منذ أن ظهر فى الحياة السياسية فى أواخر القرن الثامن عشر، فضلا عن كونه زعيما سياسيا ينتمى إلى الدوحة النبوية الشريفة.

ولد فى مدينة أسيوط من أسرة شريفة حوالى منتصف القرن ١٨، أى فى سنة ١٧٥٠م تقريبا(٢). وكانت هذه المدينة مرتعا لطفولته، ولما أينع صباه واكتمل شبابه أو كاد ارتحل إلى القاهرة والتحق بالأزهر يطلب العلم، وتلقى عن شيوخ عصره علوم الفقه والدين، واقتنى مكتبة زاخرة بالمؤلفات لاتزال تحتفظ دار الكتب المصرية بالقاهرة بجزء منها. غير أنه لم يشتغل بالتدريس فى الأزهر، ولم يتجه إلى التأليف أو شرح النصوص والتعليق عليها كما كانت عادة معظم علماء عصره، بل انصرف إلى الحياة العامة يتكسب من نظارته على الأوقاف، ولذلك لم يكن من عداد الشيوخ، ولم يطلق عليه لقب شيخ، بل كان يلقب بالسيد عمر مكرم.

○ عمر مكرم يتهيأ لدوره التاريخى

استهل عمر مكرم حياته السياسية فى سنة ١٧٩١م بالسفارة التى قام بها مندوبا عن الأمراء القبليين إلى حكومة القاهرة. وقد ساعدته الظروف فى نجاح مهمته، لأن الديوان لم يجتمع فى اليوم الذى حضر فيه عمر مكرم إلى القاهرة، كما لم تعقد جلسة فى اليوم التالى بسبب الاحتفال بسفر المحمل الشريف إلى الحجاز، فتم تأجيل اجتماع الديوان فى هذين اليومين، وكانت فرصة للسيد عمر مكرم للقيام باتصالات مع كبار المشايخ أعضاء الديوان، ونجح فى إقناعهم فى الوقوف إلى صف الأمراء القبليين، وقد وضح أثر هذه الاتصالات فى موقف المشايخ فى أثناء جلسة الديوان حيث تُليت الرسالة التى حملها عمر مكرم،

وفيها أن الأمراء القبليين سبق أن طلبوا الصلح مع إخوانهم الأمراء المماليك فى القاهرة والصفح عما بدر منهم. ونذكر هنا قول الشيخ أحمد العروسى شيخ الجامع الأزهر إنه إذا كانت المسألة محصورة بين الأمراء فى القاهرة، فالمشايخ يشفعون فى الأمراء القبليين. أما إذا كانت المسألة تخص السلطان وأمراء الصعيد، فالأمر متروك للباشا بصفته نائب السلطان فى مصر.

كانت السفارة التى قام بها السيد عمر مكرم ونجاحه فيها من العوامل الرئيسية التى مهدت الطريق أمام إبراهيم بك ومراد بك لدخول القاهرة والعودة إلى حكم البلاد. ويهمنا هنا أن نشير إلى أن هذه السفارة كانت ذات أثر بالغ فى حياة عمر مكرم، إذ لما استقر الأمر لهذين الأميرين أرادا مكافأته على مسعاه، حيث عيّناه نقيبا للأشراف.

ازداد اسم عمر مكرم ذيوعا فى البلاد بعد تعيينه نقيبا للأشراف، لأن هذا المنصب كان من المناصب الكبرى، وبخاصة فى مجتمع دينى كان الطابع المميز للحياة فى مصر. واجتمع لعمر مكرم من مهابة المنصب وقوة شخصيته وطموحه ما جعله يتبوأ بعد حين مكانا عليّا بين رجالات مصر. وأصبح بحكم منصبه يشترك فى ديوان الباشا، ويكون فى مقدمة المدعوين إلى الحفلات الرسمية، كما ينظم الاحتفالات الدينية الكبرى. وكان يشرف على أملاك نقابة الأشراف وإدارة أوقافها وصرف المرتبات والخيرات لمستحقيها، وينظر فى قضايا الأشراف وتظلماتهم.

■■

○ جهـــاده[٣]

- اشترك عمر مكرم فى غضبة الشعب سنة ١٧٩٥م.

قامت حركة شعبية فى منتصف هذه السنة ضد جور الأميرين المملوكين إبراهيم بك ومراد بك وأقرانهما من الأمراء المماليك. وعلى الرغم من أن عمر مكرم كان مدينا بمنصبه كنقيب للأشراف إلى هذين الأميرين، إلا أنه لم يتردد فى الوقوف إلى جانب الشعب، وكانت صفحة فخار وشرف لعمر مكرم تدل على أنه كان لا يجامل حاكما ذا جاه أو كبيرا ذا ثراء، وأنه كان يؤثر الصالح العام على علاقاته الشخصية.

- عمر مكرم ينظم المقاومة الشعبية ضد الحملة الفرنسية

هبطت أرض مصر فى صيف ١٧٩٨م الحملة الفرنسية تضم قوات زاحفة جرارة بقيادة نابليون بونابرت، وتعد هذه المحاولة أول غزو عسكرى أوروبى مسيحى فى التاريخ الحديث لبلد عربى إسلامى من بلاد الدولة العثمانية بغرض الرغبة فى تعويض فرنسا ما فقدته من مستعمرات فى أمريكا الشمالية والهند من ناحية، وللإضرار بالمصالح البريطانية من ناحية ثانية.

لم تمر أيام حتى تلقت القاهرة الأنباء بهزيمة مراد بك من الفرنسيين فى معركة شبراريس[٤] ١٣ يوليو ١٧٩٨م، وانسحابه إلى القاهرة.

فى هذا الوقت العصيب برز السيد عمر مكرم بروزا قويا، حيث التصق بالشعب وبث فيه روح العزة والكرامة والمقاومة. إذ صعد إلى القلعة وأنزل منها علما كبيرا أطلقت عليه الجماهير «البيرق النبوى» ونشره بين يديه ومشى به من القلعة إلى بولاق.

لقيت دعوة عمر مكرم استجابة جماعية من أهل القاهرة، فقد تجمعت حوله ألوف العامة يتصايحون بالحرب ويحملون العصى والبنادق ومعهم الطبول، وأغلق التجار الحوانيت، وخلت الأسواق، واشتركت طوائف الحرف فى التطوع بالنفس والمال، يقول الجبرتى: «**إن جميع الناس بذلوا وسعهم وفعلوا مافى قوتهم وطاقتهم وسمحت نفوسهم بإنفاق أموالهم. فلم يشح فى**

ذلك الوقت بشىء يملكه».

زحف الفرنسيون إلى القاهرة حيث دارت معركة شرسة (معركة امبابة ٢١ يوليو ١٧٩٨م) ضمت جموعا زاخرة من المسلمين والأقباط. وكان عمر مكرم فى القلب من هذه المعركة التى بدت فى صورة رائعة تمثلت فى وحدة عنصرى الأمة فى أوقات الشدائد.

○ دور عمر مكرم القيادى فى ثورة ١٣ مايو ١٨٠٥م

لما اشتدت الكروب بالشعب وجاوز الظالمون المدى، قاد السيد عمر مكرم ثورة شعبية هادرة فى وجه الوالى العثمانى (أحمد خورشيد باشا) الذى أسرف إسرافا بعيدا فى ظلم الشعب. ونجحت الثورة، واستطاع الشعب بصدقه الثورى أن يفرض إرادته ويعزل الوالى الظليم، ويولى محمد على حكم مصر وفق مبادئ معينة وضعها السيد عمر مكرم وارتضاها محمد على دستورا لحكمه. وكان أهمها: إقامة العدل، والكف عن المظالم، وعدم استغلال الشعب، والرجوع إلى الزعماء.

ورضخ السلطان العثمانى فى الآستانة لسياسة الأمر الواقع، فأصدر مرسوما أقر فيه الوضع الجديد «حيث رضى بذلك العلماء والرعية» كما جاء فى منطوق المرسوم. وزادت مكانة عمر مكرم فى نظر الشعب وتبوأ مكانا لم يبلغه زعيم آخر من قبل، وغدا زعيم زعماء مصر فى مطلع القرن ١٩.

ـ دور الزعيم إبان العدوان البريطانى على مصر ١٨٠٧م

برز السيد عمر مكرم أيضا بروزا قويا حين تعرضت مصر فى سنة ١٨٠٧م لحملة بريطانية كانت تجمع خليطا غريبا من الجنود الإنجليز ومن الجنود المرتزقة الإيطاليين ومن المهاجرين الفرنسيين الذين وقفوا موقفا عدائيا من الثورة الفرنسية. وقام عمر مكرم بإثارة حمية الشعب، وأمر بإيقاف الدراسة فى الأزهر حتى ينصرف علماؤه إلى الدفاع عن الوطن، وجمع المتطوعين وجهزهم للسفر إلى رشيد، وأسهم فى إقامة التحصينات العسكرية حول القاهرة. وقد أخفق العدوان البريطانى بفضل هذه الوقفة الشجاعة.

ـ الزعيم يطالب محمد على بالكف عن المصادرات وفرض المغارم

وقف عمر مكرم فى معارضته لمحمد على موقفا بطوليا لم يقفه غيره من زعماء مصر فى ذلك الوقت. لم يرهبه جبروت هذا الحاكم، ولم يبهره المال ولا أبهة المناصب، بل ظل وفيا لمبادئه مناضلا عن حقوق الشعب. لقد اكتشف عمر مكرم نزعة هذا الوالى الاستبدادية ورغبته فى إقصاء الزعامة الشعبية صاحبة الفضل عليه فى الوصول إلى منصبه، فإذا به يتنكر لها ويشتط فى فرض الضرائب الجزافية، ويهدد أفراد الشعب بقطع الرقاب إذا فكروا فى الانقلاب عليه، فوقع مالم يكن منه بدّ، وهو المعارضة ثم الصدام!

■■

وبعد.. فقد كنا مع نموذج وطنى من النماذج التى أسهمت فى قيادة الكفاح الشعبى، نأمل أن يقترب منها شبابنا المسلم لينظر ويتأمل، لعله يتأسى ويتعلم!

■■

الهوامش:

١ ـ من قصيدة للشاعر الإسلامى، محمد التهامى، بعنوان: حىّ على الجهاد.

٢ ـ لم تكن نشأته الأولى مكتملة الصورة أمام الباحثين، إذ لم يكتب أحد من معاصريه ترجمة له.

٣ ـ أعلام العرب، عمر مكرم بطل المقاومة الشعبية، تأليف دكتور عبدالعزيز محمد الشناوى، دار الكاتب العربى، ١٩٦٧م.

٤ ـ شبراريس إحدى قرى مركز شبراخيت على الشاطئ الغربى لفرع رشيد جنوبى شبراخيت.

من أحكام التصوير فى الإسلام

رجب عبد المنصف

التصوير عند الفقهاء (كما هو فى الواقع) متعدد الدرجات مختلف الظلال، الأمر الذى يجعل حكمه يختلف بحسب موضوعه من ناحية وحسب أبعاده من ناحية أخرى وبحسب غايته من ناحية ثالثة.

وإن كنا لا نعدم فى كل مرحلة من يذهب إلى التحريم والتأثيم، وسنتناول هنا حكم كل نوع بادئين بما ينعدم حوله الخلاف أو يكاد، وكلما ارتقينا درجة زاد الخلاف لنصل فى النهاية إلى أمر له مغزاه العميق وهو أن جمهور الفقهاء فى مسألة التصوير لم يسيروا على وتيرة واحدة ولم يأخذوا بالنسق الذى ارتضوه، الأمر الذى يجعل الحكم فى النهاية من باب الظنى لا القطعى على ما سيأتى فى ثنايا البحث.

ومن هنا فندرس التصوير من خلال المباحث التالية:

١ ـ تصوير الجماد.
٢ ـ تصوير النبات.
٣ ـ التصوير الفوتغرافى.
٤ ـ التصوير المسطح. (مالا ظل له)
٥ ـ التصوير المجسم. (ماله ظل)

أولا: تصوير الجمادات

ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه لا بأس بتصوير الجمادات - على ما خلقها الله عليه - كتصوير الجبال والأودية والبحار وتصوير الشمس والقمر والسماء والنجوم دون اختلاف بين أحد من أهل العلم، إلا من شذ.

وقد نقل ابن حجر فى الفتح، عن أبى محمد الجوينى، وجها بمنع تصوير الشمس والقمر لأن من الكفار من عبدها من دون الله فيمتنع تصويرها لذلك، ووجه ابن حجر بعموم قول النبى ﷺ **«الذين يضاهون بخلق الله»** رواه البخارى، وقوله فى الحديث القدسى **«ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقا كخلقى»** متفق عليه، فأنه يتناول ما فيه روح وما لا روح فيه(١).

ويمكن للعلماء الذين يرون جواز التصوير بإطلاق أن يتعللوا بمذهب الجمهور فكل ما أوله الجمهور هنا يؤولونه هم هناك وأيا «ما كان جواب هؤلاء يكون جواب أولئك فلا ترجيح بلا مرجح - كما يقول المتكلمون - وإلا كان الأمر تحكما».

ثانيا: تصوير النباتات والأشجار:

ذهب الفقهاء إلى جواز تصوير الأعشاب والأشجار والثمار وسائر المخلوقات النباتية، سواء أكانت مثمرة أم لا، وأن ذلك لا يدخل فيما نهى عنه من التصاوير ولم ينقل خلاف فى ذلك، إلا ما روى عن مجاهد أنه رأى تحريم تصوير الشجر المثمر دون الشجر غير المثمر.

قال عياض هذا لم يقله أحد غير مجاهد وقال ابن حجر: وأن مجاهدا سمع حديث ابى هريرة: (فليخلقوا ذرة وليخلقوا شعيرة)[٢] فإن فى ذكر الذرة إشارة إلى ما فيه روح، وفى ذكر الشعيرة إشارة إلى ما ينبت مما يؤكل وأما ما لا روح فيه ولا يثمر فلم تقع الإشارة عليه.

جواز تصوير الأعشاب والأشجار والثمار وسائر المخلوقات النباتية سواء أكانت مثمرة أم لا

وكراهة تصوير النباتات والأشجار وجه فى مذهب أحمد[٣] وقد أحتج الجمهور بأن النبى ﷺ قال: «**من صور صورة فى الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ**»[٤].

فخص النهى بذوات الأرواح وليس الشجر منها.

وبحديث ابن عباس رضى الله عنهما أنه نهى المصور عن التصوير، ثم قال له: (إن كنت فاعلا فصور الشجر ومالا روح فيه)[٥]. ولأن صور الحيوان لما أبيحت بعد قطع رأسها - لأنها لا تعيش بدونها - دل ذلك على اباحة تصوير مالا روح فيه أصلا «بل إن فى بعض روايات حديث عائشة رضى الله عنها أن جبريل عليه السلام قال للنبى ﷺ «مر برأس التمثال فليقطع حتى يكون كهيئة الشجرة»[٦]، فهذا تنبيه على أن الشجرة فى الأصل لا يتعلق النهى بتصويرها.

هذا ما يذكره الفقهاء فى الاستدلال على أنه لا يحرم تصوير الشجر والنبات ومالا روح فيه.

ويرد على تخصيص الجمهور بذوات الأرواح ان فى النبات حياة، قال تعالى ﴿**وإن من شىء إلا يسبح بحمده**﴾ كما أنه فى حجية قول الصحابى خلاف بين العلماء.

التصوير الفوتوغرافى

من قضايا التصوير ومسائله التى أثيرت فى بدايات هذا القرن مسألة التصوير الفوتوغرافى وحكمها الشرعى. قد اختلف العلماء كشأنهم دائما مع كل جديد ما بين محرم لها ومجيز، ومازال الأمر هكذا حتى يومنا هذا.

وإن كان حجة المجيزين راجحة ووجهتهم أدخل فى المنقول والمعقول من غيرهم. وقد حمل لواء المجيزين الشيخ محمد بخيت المطيعى مفتى الديار المصرية فى العشرينيات من هذا القرن فصال وجال وأفحم بجوابه الشافى فى إباحة التصوير الفوتوغرافى والذى كان إجابة تفصيلية صافية لسؤال؛ ورد عليه من تونس حول هذا الأمر فأسهب فى معنى التصوير وبيان حكمه فيه وما ورد فيه من آثار ليخلص فى النهاية إلى أن هذا النوع من التصوير ليس من بابه حقيقة وإن تعلق باسمه، وإنما هو إمساك للظل الذى أوجده الله تعالى:- ﴿**ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً**﴾ الفرقان: الآيتان ٤٥، ٤٦، وفى هذا

المعنى يقول الشيخ: «وعلى كل حال فالآية دالة على أن موجد الظل بجميع أنواعه هو الله وحده بدون مدخل للخلق إذا تقرر هذا وعلمت أن أخذ الصور بالفوتوغرافيا ليس إلا حبس الظل الناشئ بخلق الله تعالى من مقابلة الأجسام المظلة للضوء علمت أن أخذ الصورة على هذا الوجه ليس إيجاد للصورة.

ومعنى التصوير لغة وشرعا «هو إيجاد الصورة وصنعها بعد أن لم تكن فلم يكن ذلك الأخذ تصويرا أصلا» وليس فيه معنى التصوير والمضاهاة لخلق الله تعالى وإنما هو منع للظل الذى خلق الله تعالى من زواله إذا زالت مقابلة الجسم الكثيف المظل للجرم المنير وجعل ذلك الظل الذى خلقه الله تعالى مستمر الوجود ألا ترى أنه يجوز إقتناء نفس جثة الحيوان إذا حنطت وعملت لها الوسائط التى تحفظها من البلى والتعفن كما أنه يجوز أن يقف الإنسان أمام مرآة ما شاء أن يقف فيعكس ظله فيها.

فلو فرضنا أن آخر حبس الظل الذى انعكس بالمرآة فيها بوسائط وصلته لذلك وجعله مستمر الوجود فى المرآة بعد زوال وقوف الإنسان أمام المرآة، أيمكن لأحد أن يقول أن هذا مصور صور هذا الظل وأوجده وصنعه بعد أن لم يكن مصنوعا على أنك قد علمت أن الخطابى قال إن المصور الذى يصور شكل الحيوان فإنى أرجو ألا يدخل فى هذا الوعيد وما ذاك إلا لأن مصور شكل الحيوان لا يوجد صورة الحيوان بل إنما يرسم شكله وصورته والصورة التى على هذا الوجه قد فقدت أعضاء كثيرة لا تعيش بدونها بل هى فاقدة للجرم فليست هى صورة الحيوان التى يكلف مصورها يوم القيامة نفخ الروح فيها وليس فيها بنافخ، لأن الظاهر أن الصورة التى يقال لها ما ذكر هى الصورة المجسمة ذات الظل التى ما إن تفقد عضوا، لا تعيش بدونه حتى تكون قابلة بذاتها لنفخ الروح فيها فيكون عجز المصور عن النفخ راجعا إليه لا لعدم قابلية الصورة للحياة.

التصوير المنهى عنه هو إيجاد صورة لم تكن موجودة من قبل يضاهى بها حيوانا خلقه الله

وعلى كل حال فأخذ الصورة بالفوتوغرافيا الذى هو عبارة عن حبس الظل بالوسائط المعلومة لأرباب هذه الصناعة ليس من باب التصوير المنهى عنه فى شىء لأن التصوير المنهى عنه هو إيجاد صورة وصنع صورة لم تكن موجودة ولا مصنوعة من قبل يضاهى بها حيوانا خلقه الله تعالى وليس هذا المعنى موجودا فى أخذ الصورة بتلك الآلة.

سواء قلنا كما هو الراجح أن التصوير المنهى عنه شامل لإيجاد كل صورة وصنعها لافرق فى ذلك بين ذات الظل وما ليس لها ظل الخ ما سبق.

أو قلنا كما ذكر البعض أن التصوير المنهى عنه خاص بالصور ذوات الظل الكاملة التى لم تفقد عضوا لا تعيش بدونه،

وأما تصوير مالا ظل له ولو كاملا «وتصوير ما له جرم وظل ولكن فقد عضوا» لا يعيش بدونه فلا يعد تصويرا «منهيا» عنه لأن ما لا ظل له داخل

فى هذا الرقم وهو مستثنى من النهى.

ذلك هو خلاصة رأى المفتى وقتئذ.

وقد أطلنا النقل لأن ماذهب إليه من رأى وتعليل كان بمثابة العمدة لمن أتى بعده من العلماء فالشيخ السايس - رحمه الله - يقتفى أثره فيقول ولعلك تريد أن تعرف حكم ما يسمى بالتصوير الشمسى فيقول «يمكنك أن تقول أن حكمها حكم الرقم فى الثوب وقد علمت استثناء نصا» ولك أن تقول أن هذا ليس تصويرا بل حبسا للصورة وما مثله إلا كمثل الصورة فى المرآة لا يمكنك أن تقول أن مافى المرآة صورة وأن أحدا يصورها،

والذى تصنعه آلة التصوير هو صورة لما فى المرآة غاية الأمر أن المرآة (الفوتوغرافية) تثبت الظل الذى يقع عليها والمرآة ليست كذلك،

وليس هذا بالحقيقة تصويرا فإنه إظهار واستدامة لصورة موجودة وحبس لها عن الزوال،

فلا معنى للتحريم خصوصا وقد ظهر أن الناس قد يكونون فى أشد الحاجة إليها. وهذا الرأى لا يخرج عما ذهب إليه الخضر حسين شيخ الأزهر فى فتوى له عن التصوير وإن لم يصرح بنسبته إليه مذهبا وإنما ذكره تقسيما للآراء وإلزاما لبعضها (فهذه الوسيلة - الآلة الفوتوغرافية - لأخذ الصورة لم تكن معروفة لعهد الوحى فى تصوير ما ليس له ظل، فمن ذهب إلى إباحة رقم الصورة فى الثوب يجيز التصوير بهذه الآلة من غير تردد إذ لا تزيد عن الرقم فى الثوب والنقش على الورق بشىء يقتضى منعها(7).

ومن منع من تصوير ما ليس له ظل قد يرى أن المنع قاصر على التصوير بالطريقة المعروفة لعهد الوحى لأن التصوير إيجاد الصورة وهذا المعنى ظاهر فى من منع أجزاء الصور بيده أما الصورة الحادثة بالآلة المصورة فمرجعها إلى ما أوجده الخالق تعالى فى تلك المواد من خواص،

فليس من البعيد أن يكون لهذا الفرق أثر فى أن يكون الجواز بالتصوير الشمسى أظهر منه فى رقم أشكال الحيوان باليد مباشرة) ثم أشار إلى فتوى الشيخ بخيت المطيعى(8)

كما سار فضيلة الشيخ حسنين مخلوف فى هذا الطريق المعبد وأجاز مثل هذا التصوير فذكر آراء العلماء فى الصور الرقمية عقب على رأى المجيزين بأولويته فقال أو لعل القول الأول أولى بالنسبة إلينا فى عصرنا وعليه يخرج جواز وضع الصور الشمسية واتخاذها للإنسان والحيوان وهكذا يستمر ركب العلماء فى القول بالجواز(9).

ثانيا المانعون:

والقائلون بحرمة التصوير الفوتوغرافى ينقسمون إلى قسمين:-

الأول: من يبيحه للضرورة ويمثل هذا الفريق الشيخ محمد على الصابونى، حيث يقول إن التصوير الشمسى (الفوتوغرافى) لا يخرج عن كونه نوع من أنواع التصوير مما يخرج بالآلة يسمى (صورة) والشخص الذى يحترف هذه الحرفة يسمى فى اللغة والعرف (مصورا)،

فهو وإن كان لا يشمله النص الصريح لأنه ليس تصويرا باليد وليس فيه مضاهاة لخلق الله إلا أنه لا يخرج عن كونه ضربا من ضروب التصوير فينبغى أن يقتصر فى الإباحة على (حد الضرورة) وما يتحقق به من المصلحة

قد يكون إلى جانبها مفسدة عظيمة كما هو حال معظم المجلات اليوم التى تنفث سمومها فى شبابنا وقد تخصصت للفتنة والإغواء(10).

تعقيب:-

بداية يحمل هذا القول من التناقض والاختلاف الشىء الكثير، فهو يثبت ما ينفيه

وينفى ما يثبته فمبلغه من العلم التسميات هذا اسم تصوير وذاك اسمه مصور وتلك صورة.

ولعل الدكتور القرضاوى كان يقصد هذا التفكير عندما قال: إن المصور يسمى فى الخليج عطاسا والصورة تسمى معكوسة(١١)

الثانية: أنه يخلط بين أمور خارجة عن مناط الحكم ويحشد - كما يقال - جنودا فى غير موضع قتال فإن السموم والفتنة والإغواء لم يقل أحد بجوازها على أننا لن نعير كل ذلك التفاتا» وإنما نأخذه بما أقربه؟ يقول الشيخ (فهو لا يشمله النص الصريح).

اذن فالشيخ فى حاجة ماسة إلى دليل شرعى بطلب الترك وليس مجرد الترك وإنما الترك الجازم.

ترى أين يكمن هذا الدليل والدليل المعول عليه باعترافه وإقراره يراه قاصرا عن أن ينطبق على الصورة...

واذا كان الشيخ الصابونى يجيز الصورة على حد الضرورة فإن الشيخ ابن باز يرى الخطأ والمعصية كامنة فى هذا التصوير فيقول (إن توسع الناس فى تصـــوير ذوات الأرواح فى الكتب والمجلات والجرائد والوسائل خطأ بين ومعصية ظاهرة) ولا تعليق.

فإذا ما انتقلنا إلى عضو آخر من أعضاء فريق التحريم نرى عجبا

فالشيخ صالح بن فوزان يأخذ على الشيخ القرضاوى ماسبق أن ذكره فى كتابه الحلال والحرام فى تقسيمه التصوير(١٢) ما بين محرم وهو التماثيل ومكروه كراهة تنزيه وهو المنقوش والمرسوم فى الورق واللوحات والجدران ومباح وهو التصوير الفوتوغرافى.

يقول ابن فوزان عن هذا التقسيم: فهذا تقسيم باطل ترده الأدلة الصحيحة الواردة فى تحريم التصوير وتحريم استعمال الصور مطلقا تماثيل كانت أو غير تماثيل، منقوشة أو فوترغرافية(١٣).

وأول ما يلاحظ هنا هو اعتبار القرضاوى ومن سبقه من فقهاء الشريعة تقسيما باطلا، هكذا جملة واحدة

والبطلان كمصطلح فقهى هو ما لم يشرع بأصله فالبطلان يعنى انعدام الشىء.

واطلاق القول هكذا أمر غير متصور فإذا كان هناك من العلماء من ذهب إلى التسوية بين هذه الأقسام فإن الأكثر والأغلب ذهب إلى التقسيم واعتمد التفرقة بين هذه الأنواع

فلن يشفع لابن فوزان أن يجمل قوله بتقول هنا أو هناك خاصة وأن هناك قاعدة فقهية مؤداها «لا ينكر المختلف فيه وإنما ينكر المجمع عليه»(١٤)

الهوامش:

(١) انظر فتح البارى جـ ١٠، ٣٩٤

(٢) الحديث أخرجه البخارى وانظر قول ابن حجر فى الفتح ج١٠ ص٣٨٥ط السلفية.

(٣) الآداب الشرعية لابن مفلح ٥١٤/٣ نقلا عن الفقه ط الكويت ص ٩٩.

(٤، ٥) البخارى وانظر البارى ج١٠ ص٣٩٤.

(٦) أخرجه ابو داود والترمذى.

(٧) أيات الأحكام جـ ٤ ص٦١

(٨) مجلة نور الإسلام - العدد العاشر المجلد الأول لعام ١٣٤٩ - الموافق ١٩٣١

(٩) فتاوى شرعية ط ١٩

(١٠) حكم الإسلام فى التصوير تأليف د. محمد الصابونى ص٢٩ وآخرين (ابن باز وصالح بن فوزان، والشيخ ناصر الدين الألبانى) ط المكتبة القيمة.

(١١) الإسلام والفن وانظر الحلال والحرام.

(١٢) المرجع السابق ص ٤٢٠

(١٣) الإعلام ببيان أخطاء الشيخ القرضاوى فى كتاب الحلال والحرام ص ٣٨٠

(١٤) انظر القاعدة فى الأشباه والنظائر للسيوطى وكذا ابن نجيم.

الدعوة والدعاة

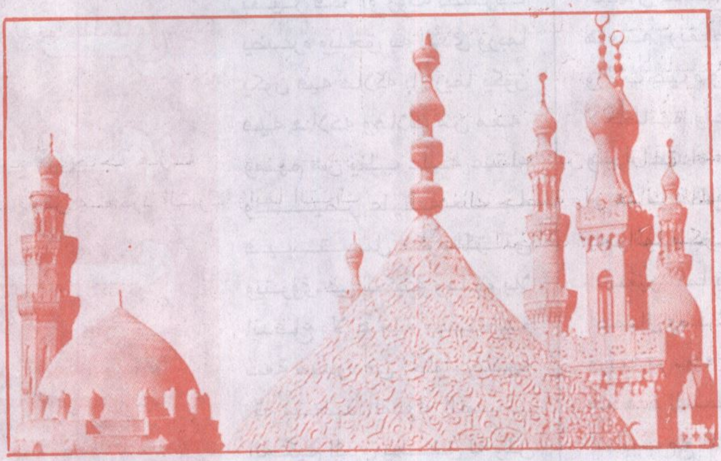

- من خلق المسلم: الحلم والصفح
- العمل ميدان الكسب ومحراب العبادة
- الضوابط الشرعية للاستمتاع بالطيبات

من خلق المسلم: الحلم والصفح (١)

الشيخ/ فوزى فاضل الزفزاف

يواجه الإنسان فى حياته اليومية كثيرا من المشاكل والشدائد المواقف التى تثيره وتشد أعصابه وتستفز غضبه ... غير أن رد فعل واتخاذ القرار المناسب أمام تلك المثيرات يختلف ويتفاوت بين ن ...

فمنهم من يغلب عليه حمقه ويتملكه الغضب ويسيطر عليه التهور ويفقد أعصابه فيتصرف باندفاع بغير فكر أو روية تصرفا يضره ويلحق به الأذى وربما يكون فيه هلاكه بل ربما يكون فيه هلاكه وهلاك من معه.

ومنهم من يغلب عليه عقله ويسيطر عليه حلمه فيستعمل فكره المتأنى ويتروى فى سكينة وهدوء بلا اندفاع ولا عجلة ويستخدم سعة صدره فى احتواء غضبه ثم يتخذ القرار الصائب الحكيم الذى يحقق له ولمن معه الخير العميم ويمنع عنه وعمن معه الضرر الجسيم..

والدين الإسلامى. وهو دين البناء والتعمير، والحب، والتسامح، والمودة، والصلة، والعفو والصفح، والإخاء والعطاء.. لم يترك فضيلة من الفضائل التى فى التحلى بها والالتزام بتطبيقها يتحقق الخير للإنسان وللمجتمع إلا ودعا إلى التزين بها وحث على فعلها، ومن هذه الفضائل: الحلم والصفح.

والحلم والصفح من صفات عظماء الرجال إذ لا يقدر على التحلى بتلك الصفة الكريمة إلا من تعالى على الصغائر وتسامى فى آفاق الكمال فاتسع صدره وتعالت هامته وتغاضى عن هفوات وزلات غيره والتمس المبررات لأخطائهم وأغلاطهم فإذا واجه اعتداء من سفيه بالقول أو الفعل نظر إليه من قمته العالية نظرة الكبير إلى الصغير كما ينظر الحكيم إلى أطفال يعبثون فى الطريق وربما يرمونه بحجارة وتعامل مع هذا السفيه كما يتعامل الطبيب مع المريض.

وكان رسول الله ﷺ نموذجا فريدا ومثلا طيبا وقدوة حسنة فى التحلى بالحلم والصفح وقد أراد ﷺ أن يعلم أصحابه هذا الدرس فى الأناة وضبط النفس فروى أن أعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فأعطاه الرسول ﷺ ثم قال له: **أحسنت إليك؟**

قال الأعرابى: لا، ولا أجملت!! فغضب المسلمون وقاموا إليه فأشار ﷺ إليهم أن كفوا.. ثم قام ودخل منزله وأرسل إليه وزاده شيئا ثم قال له: أحسنت إليك؟ قال:

نعم. فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال له الرسول ﷺ: إنك قلت ما قلت آنفا وفى نفس أصحابى من ذلك شىء فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدى حتى يذهب ما فى صدورهم عليك.. فقال الأعرابى: نعم، فلما كان الغد جاء فقال النبى ﷺ: إن هذا الأعرابى قال ما قال فزدناه. فزعم أنه رضى أكذلك - موجها حديثه إلى الأعرابى - قال: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا.. فقال رسول الله ﷺ: **«مثلى ومثل هذا كمثل رجل له ناقة شردت عليه فأتبعها الناس - جروا خلفها - فلم يزيدوها إلا نفورا فناداهم صاحبها فقال لهم: خلوا بينى وبين ناقتى. فإنى أرفق بها منكم وأعلم.. فتوجه لها بين يديها فأخذ من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وإنى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار»**.

إن الرسول الحليم لم تأخذه الدهشة لكنود الأعرابى أول الأمر ولم يغضب من رده الذى فيه غلظة وجفوة بل عرف فيه طبيعة صنف من الناس مَرَدَ على الجفوة فى التعبير والإسراع بالشر.. وأمثال هؤلاء لو عوجلوا بالعقوبة لقضت عليهم - ولما كانت ظلما - ولكن فى الوقت نفسه لن يسلم من عاجلوا بالعقوبة بعد ذلك من النقد والتجريح والذم.. وقد تتفاقم الأمور وتتدخل فيها العصبيات والقبليات وتسفك بسبب ذلك الدماء وتزهق الأرواح..

لكن المصلحين العظماء لا ينتهون بمصائر العامة إلى هذا الختام الأليم إنهم يفيضون من أناتهم وحلمهم على ذوى النزق حتى يلجئوهم إلى الخير ويطلقوا ألسنتهم تلهج بالثناء..

وإذا كان التحلى بصفة الحلم أمر مطلوب للإنسان على وجه عام؛ لأن الحلم يرفع من شأن صاحبه ويعلى منزلته ويعمل على انتشار الحب فى المجتمع ويعمم حسن المعاملة بين الناس. فإن الرسل والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - كانوا قدوة حسنة ومثالا طيبا ونموذجا يحتذى فى التحلى بصفة الحلم وكانت تلك الصفة بالنسبة لهم عاملا أساسيا من عوامل نجاح مهمتهم فى أداء رسالتهم التى كلفهم الله - عز وجل - بها.

يقول الله تعالى: **﴿ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولوكانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم* وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم﴾** التوبة: الآيتان ١١٣، ١١٤. فيصف القرآن الكريم سيدنا إبراهيم عليه السلام بأنه كان حليما ويؤكد تلك الصفة لسيدنا إبراهيم بأسلوب التوكيد المؤكد بأكثر من أداة توكيد «إن، واللام، وصيغة المبالغة».

قال الألوسى - رحمه الله - : قوله **﴿إن إبراهيم لأواه حليم﴾** أى: لكثيرالتأوه وأصل التأوه قوله: آه ونحوه مما يقوله الحزين.. وهوعند جماعة كناية عن كمال الرأفة ورقة القلب.. وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وغيرهما عن عبد الله بن شداد قال: قال رجل: يا رسول الله ما الأواه قال ﷺ: **«الخاشع المتضرع الكثير الدعاء»**.

وقد بينت هذه الآية الكريمة السبب الذى حمل سيدنا إبراهيم عليه السلام على الاستغفار لأبيه ثم على ترك هذا الاستغفار بعد ذلك لأن استغفاره له إنما كان بسبب وعد من سيدنا إبراهيم لأبيه كما جاء فى القرآن الكريم من قوله له : **﴿سلام عليك سأستغفر لك ربى إنه كان بى حفيا﴾** مريم آية: ٤٧، وقوله: **﴿لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شىء﴾** الممتحنة آية ٤، فلما أصر - آزر - على كفره ومات مشركا بالله تبرأ سيدنا إبراهيم منه ومن عمله وترك الاستغفار له.. وفى سورة أخرى من سور القرآن الكريم يقول الله تعالى: **﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ* فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط* وامرأته**

قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب* قالت ياويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشئ عجيب* قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد* فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط* إن إبراهيم لحليم أواه منيب* ياإبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود﴾ هود: الآيات ٦٩ ـ ٧٦.

فتؤكد هذه الآية الكريمة ـ مرة أخرى ـ وصف سيدنا إبراهيم عليه السلام بأنه كان حليما وتؤكد ـ أيضا ـ تلك الصفة لسيدنا إبراهيم بأسلوب التوكيد المؤكد بأكثر من أداة للتوكيد (إن ـ واللام ـ وصيغة المبالغة).

ووصف سيدنا إبراهيم بالحلم فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿إن إبراهيم لحليم أواه منيب﴾ بيان للدواعى التى حملت سيدنا إبراهيم عليه السلام على مجادلة الملائكة فى شأن اهلاك قوم لوط لأن الحليم هو: الصبور على الأذى الصفوح عن الجناية المقابل لها بالإحسان.. والأواه هو: الذى يكثر التأوه من خشية الله.. والمنيب هو: السريع الرجوع إلى الله تعالى بالتوبة والاستغفار أى: أن إبراهيم لصبور على الأذى صفوح عن الجناية كثير التضرع إلى الله سريع الرجوع إليه فى كل ما يحبه ويرضاه.. وبسبب ذلك جادل سيدنا إبراهيم الملائكة وحاورهم فى شأن إهلاك قوم لوط طالبا إمهال عقوبتهم.. غير أن رد الملائكة كان الطلب من سيدنا إبراهيم بالإعراض عن هذا الجدال فى أمر قوم لوط وفى طلب إمهال عقوبتهم لأنه قد جاء أمر ربك بإهلاكهم بسبب إصرارهم على ارتكاب الفواحش وهذا الأمر غير مردود لأن قضاء الله لا يرد عن القوم المجرمين..

وننتقل مع آيات القرآن الكريم إلى سورة أخرى من سورة لتحكى لنا عن نبى آخر من أنبياء الله ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ وصفه القرآن الكريم بصفة الحلم وهو سيدنا إسماعيل

يقول الله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿رب هب لى من الصالحين* فبشرناه بغلام حليم* فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت أفعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين* فلما أسلما وتله للجبين* وناديناه أن يا إبراهيم* قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين* إن هذا لهو البلاء المبين* وفديناه بذبح عظيم* وتركنا عليه فى الآخرين* سلام على إبراهيم﴾ الصافات: الآيات ١٠٠ ـ ١٠٩.

فتصف لنا هذه الآيات الكريمة سيدنا إسماعيل عليه السلام بصفة الحلم وسيدنا إسماعيل هو الذى استجاب الله لدعاء أبيه سيدنا إبراهيم بأن يهب الله له ولدا صالحا يستعين به فى نشر دعوة التوحيد ويكون امتدادا لذريته فبشره الله على لسان ملائكته بغلام ذكر من صفاته أنه يكون حليما.

وعندما نتابع الحوار الذى دار فى هذه الآيات الكريمة ـ فى شأن تنفيذ رؤيا الذبح ـ بين سيدنا إبراهيم ـ الرجل الطاعن فى السن الذى تمنى الولد على كبر فحقق الله له هذه الأمنية ثم يؤمر بأن يذبحه بيده ـ وبين ولده إسماعيل ـ الذى هو فى أولى مراحل الشباب. فقد كان سنه فى ذلك الوقت ثلاث عشرة سنة ـ ونقرأ بتفكر وتدبر وإمعان رد إسماعيل ـ الصريح الواضح ـ على أبيه بالامتثال المطلق لأمر الله وطلبه من أبيه أن يفعل ما أمر به وأنه سيجده إن شاء الله من الصابرين المستسلمين لقضاء الله وقدره الذين يتحملون البلاء بثبات إيمان ندرك معنى ربط بشارة سيدنا إبراهيم بأن الله سيهب له ولدا واتصاف هذا الولد بصفة الحلم..

وقد ذكر المفسرون أن إسماعيل عليه السلام لما هم أبوه بذبحه قال له: يا أبت اشدد رباطى حتى لا أضطرب واكفف عنى ثيابك حتى لا يتناثر عليها شئ من دمى فتراه أمى فتحزن وأسرع مر السكين على حلقى ليكون أهون للموت على فإذا أتيت أمى فاقرأ عليها السلام منى..

العمل ميدان الكسب ومحراب العبادة

فضيلة الشيخ
محمد عبدالمجيد زيدان

لقد خلق الله كل مافى الكون من خيرات لنفع الناس جميعا قال تعالى: ﴿هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعا﴾ البقرة: آية ٢٩. وقال جل شأنه: ﴿وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض جميعا منه﴾ الجاثية: آية ١٣. وأوجب على كل إنسان أن يكسب رزقه بعمله وأن يحصل على نصيبه بسعيه قال جل شأنه: ﴿هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور﴾ الملك: آية ١٥.

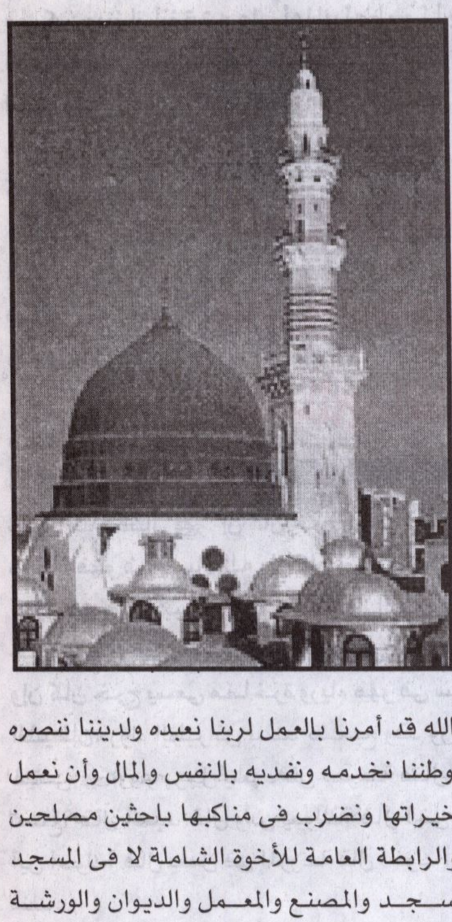

والإسلام حين يقرر أن العمل ميدان الكسب يجعله فى الوقت نفسه محرابا للعبادة يكفر به عن العاملين ذنوبا لا تكفر إلا بالجد والكدح والكد ففى الحديث الشريف: «**إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها إلا الهم فى طلب المعايش**»، فالله قد أمرنا بالعمل لربنا نعبده ولديننا ننصره ولأهلنا نصلهم ولوطننا نخدمه ونفديه بالنفس والمال وأن نعمل لبلادنا نستخرج خيراتها ونضرب فى مناكبها باحثين مصلحين ونعمل للمجموع والرابطة العامة للأخوة الشاملة لا فى المسجد وحده بل فى المسجد والمصنع والمعمل والديوان والورشة والمزرعة.. إلخ.

وكل مسلم يستطيع أن يعبد ربه وهو فى وظيفته أو صنعته متى راقب ربه قبل أن يراقب رؤساءه وأدى واجبه كاملا ولهذا قرن الله بين الجهاد لإعلاء كلمة الله وبين الاجتهاد فى تحصيل الرزق فقال: **﴿وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله﴾** المزمل: آية ٢٠.

فالعامل الذى يخشى الله فى حرفته فلا يهمل فيها لا يقل أجرا عن عابد متبتل إن لم يزد عليه ثوابا، ففى الحديث الشريف الذى رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**دينار أنفقته فى سبيل الله ودينار أنفقته فى عتق رقبة ودينار أنفقته على مسكين ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك**» رواه مسلم، بل اعتبر ﷺ الساعى على كسب قوته وقوت أسرته مجاهدا فى سبيل الله، فعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: مر على النبى ﷺ رجل فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه فقالوا يارسول الله لو كان هذا فى سبيل الله؟ فقال ﷺ: **إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله وإن كان خرج يسعى على نفسه ليعفها فهو فى سبيل الله وإن كان خرج يسعى مفاخرة ورياء فهو فى سبيل الشيطان**» رواه الطبرانى بسند صحيح وقد ورد أن عيسى عليه السلام مر برجل يتعبد فى صومعة فقال ماذا تصنع؟ قال أتعبد قال ومن يعولك؟ قال أخى قال أين أخوك؟ قال يعمل فى المزرعة قال أخوك أعبد منك.

ما خلق الإنسان إلا ليعمل ولا حياة له إلا بالعمل للدين والدنيا معا حتى إن الله تعالى أمرنا بالسعى وتحصيل القوت عقب العبادة لئلا يتطرق لأنفسنا الكسل فيقول: ﴿**فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون**﴾ الجمعة: آية ١٠.

العمل فريضة مقدسة على كل قادر والساعى على قوت أسرته كالمجاهد فى سبيل الله

فالعمل فريضة مقدسة على كل قادر ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمر فى الطرقات ليستنهض همم الكسالى فيقول «**لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة**»، ولهذا يقول بعض الصالحين ليست العبادة أن تصف قدميك وغيرك يقوت لك ولكن ابدأ برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد، فالإسلام زهد وتصوف وقناعة لكنه زهد يقلل طمع الإنسان وحرصه الزائد لا زهد يقطعه عن العمل والناس ويفصله عن الوجود وتصوف صادق يتدرج بالمسلم فى مدارج الرقى الخلقى والجهاد النفسى لا تصوف مثبط للهمم وقاتل للعزائم وقد قال ﷺ: «**لا رهبانية فى الإسلام**» والقناعة فى الإسلام قناعة الغنى المقتدر لا قناعة العاجز المفتقر والقناعة ما كانت عن ظهر غنى، فهى بهذا المعنى توجيه إلى العمل الخالص والأفعال المنتجة وأما من يزهد الناس زهدا يقطعهم عن الحياة ومن يدفعهم إلى الشهوات دفعا فكل منهما يدعو إلى شىء واحد هو صرف الناس عن العمل والواجب وكلاهما يقف فى الطريق الذى رسمه الله لعباده فيصد عن أداء الواجبات وعمارة الأرض وكلا الطرفين خطر على الأمة وعلى الأخص شبابها ولا نجد ما نرد به عليهما أبلغ من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فالله تعالى يقول: ﴿**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا**﴾ القصص: آية ٧٧، فالله تعالى جعل لنا فى الدنيا نصيبا يجب أخذه وأن نجعل

نظام العمل فى الإسلام يتفق مع العقل ومطالب الحياة

غايتنا من خير نناله ومقصدنا الآخرة ولن نفوز فى الآخرة إلا إذا قمنا بما فرضه الله علينا من خدمة الفرد والمجموع والدين والوطن.

لقد وضع رسولنا نظاما للعمل يتفق مع العقل ومطالب الحياة لا يجحف بحقوق الله ولا بحقوق العباد فقال: «ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته ولا من ترك آخرته لدنياه وإنما خيركم من أخذ من دنياه لآخرته، فأمرنا أن نأخذ من الدنيا أفضل مافيها لنكون فى الآخرة خير من فيها فالدنيا ليست مقصودة لذاتها وإنما هى مزرعة الآخرة وسبيلها.

فمتى طلبها الإنسان عن طريق حلال لغرض شريف كان من العاملين العابدين قال ﷺ: **«من طلب الدنيا حلالا وتعففا عن المسألة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقى الله ووجهه كالقمر ليلة البدر»**، فهذا قانون نبوى يقضى على التسول والبطالة وزهادة العجز ويحض على العمل المنتج وحفظ الكرامة والعزة حتى لا يبقى عالة على غيره ويعتذر عن ضعفه بالزهد والقناعة قال ﷺ: **«إن الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغنى بها عن الناس»** وقال أيضا: **«ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده»**.

فمتى شرف العمل ولو كان بسيطا ونبلت الغاية كان العمل عبادة عظمى بل إن الفناء فى العمل والمغامرة فى سبيل الواجب تظهر خلق المرء ونفسيته فمجال الاحتكاك والتعامل هو الميزان الحق للرجال لأن ديننا دين الطموح والأمل مقرونين بالكد والعمل والصبر والمثابرة وقد صدق من قال:

وإذا كانت النفوس كبارا

تعبت فى مرادها الأجسام

وأن حياة رسول الله ﷺ لأدلة محسوسة على فضل العمل وجزائه فالإسلام لا يطلب من المسلم أن ينسلخ من بشريته ويتجرد ملكا من الملائكة وإنما يطلب الإسلام من المسلم أن يكون إنسانا كاملا وإن أمثال الدكتور أحمد زويل والدكتور الباز والدكتور مجدى يعقوب وغيرهم هم الذين يشيعون الأمل فى المجتمع وتعميق الإيمان وأن المستقبل للعلم والعمل الجاد اللذان يمنحان صاحبهما قوة يناطح بها الجبال.

وعلى الدعاة توعية الجماهير بالقضايا والظواهر الاجتماعية السلبية وكيفية معالجتها من منظور الدين الإسلامى الحنيف وأن تكون أنشطة المساجد منسجمة مع أهداف الإسلام العظيمة وتجسيدا لها. عليهم تعزيز الجانب الإرشادى وزيادة فاعليته فى توصيل القيم الدافعة لتقدم الأمة ونهضتها إلى كافة أفراد المجتمع وتوعية المسلم بأمور دينه وعقيدته السمحاء من خلال مخاطبة العقل وإبراز قيم العمل والتسامح ومنهج الوسطية والاعتدال التى يرتكز عليها الدين الإسلامى الحنيف.

والله من وراء القصد؛؛

الضوابط الشرعية للاستمتاع بالطيبات

أ. د: عبدالحكم عبداللطيف الصعيدى

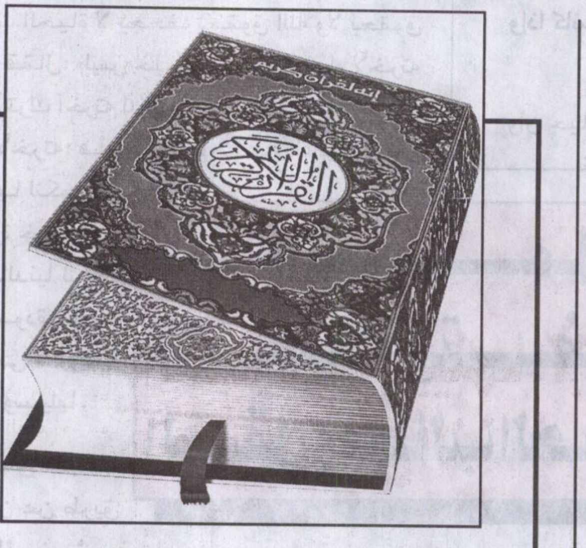

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم: ﴿يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون﴾ الأعراف: الآيات ٣١ - ٣٣.

من المبادئ التى أرست الشريعة الإسلامية قواعدها الاستمتاع بما أحله الله - تعالى - من الطيبات، كالملابس والطعام والشراب، ويتضح لنا من خلال هذا النص القرآنى المحكم جملة أمور بهذا الخصوص نوضحها فيما يلى:

أولا: الأمر باتخاذ الزينة عند إرادة الصلاة:

يتوجه الخطاب والأمر باتخاذ الزينة لبنى آدم ويراد به المؤمنون؛ ذلك لأنهم هم الذين يؤدون الصلاة، وقد عدل عن توجيه الأمر للمؤمنين لعله يتناسب مع سياق ما ورد فى هذه السورة الكريمة، فقد أشارت فى آية سابقة إلى قصة الصراع بين آدم وإبليس يوم أن تسبب الثانى فى كشف عورة الأول وزوجه حتى اضطرا إلى سترها بأوراق الشجر، يقول الله تعالى: **﴿يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون﴾** الأعراف: آية ٢٦، فالخطاب هنا موجه للناس كافة بتذكر هذه النعمة وتلك المنة التى أنعم الله بها عليهم، واللباس وإن كان مخلوقا فى الأرض من النبات والحيوان ونحوه، إلا أن ذلك كله مقدر بأسباب سماوية كالمطر ونحوه، وكل ذلك بقضاء الله وقدره الذى ينزل من السماء فهو مكتوب فى اللوح المحفوظ، فيكون المعنى بصفة عامة: يابنى آدم قد أنزلنا عليكم من علياء فضلنا لباسا يستر عوراتكم، ولباسا آخر فاخرا تتجملون به فيما بينكم، ومع هذا فإن لباس الخشية والخوف من الله - تعالى - خير لكم مما عداه، لأن لباس الدنيا وإن كان يستر عوراتكم التى تسبب إبليس فى كشفها عن

أبويكم، فإن لباس التقوى يقيكم من عذاب الله سبحانه وتعالى، فلتذكروا ذلك، ولتحمدوا الله على تلك النعمة الساترة للعورات الحافظة للأجسام، المفضية للجمال.

وعليه، فإن الله يلفت الأنظار ويوجه العقول إلى استيعاب هذا الدرس، باتخاذ الزينة وستر العورات فى سائر الأوقات، وبخاصة عند إرادة الصلاة، حيث الوقوف بين يدى بارئ الأرض والسموات، الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، والأمر بذلك للندب، إذ الواجب ستر العورة بساتر مناسب، هذا والزينة هنا تشمل الثياب الجميلة، وتمشيط الشعر، والتطيب، وحسن الهندام، مما ورد الأمر به فى السنة النبوية المطهرة، أو شمله عموم اللفظ، بشرط أن لا يكون فيه إسراف، وإنما عبر بالزينة ولم يعبر بستر العورة لأن من تجمل بالثياب فقد ستر عورته وزاد التجمل.

الاستمتاع بالطيبات فى الحدود التى بينها الإسلام تحقق التوازن النفسى للعباد والشعور بالقناعة والرضا

وقد أشارت السنة النبوية المطهرة إلى اهتمام النبى ﷺ باتخاذ الزينة بشتى صورها، فكان يخصص الثياب الجميلة الفاخرة للجمع والجماعات والعيدين ولاستقبال الوفود القادمة عليه، كما كان يسوى شعره ولحيته، ويتطيب، روى مكحول عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: «**كان نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه بالباب، فخرج يريدهم وفى الدار ركوة فيها ماء (إناء فيه ماء) فجعل ينظر فى الماء ويسوى لحيته وشعره، فقلت: يارسول الله، وأنت تفعل هذا؟ قال: نعم، إذا خرج الرجل إلى إخوانه فليهيئ من نفسه، فإن الله جميل يحب الجمال**».

كما بين ﷺ أن الاعتناء بحسن الهندام والمظهر ليس من الكبر فى شىء، ففى صحيح مسلم عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنا، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغَمْط الناس**».

وقد ترسم الصحابة والتابعون هذا النهج النبوى الكريم، ونذكر من ذلك تلك الواقعة التى تدل على حسن الفهم لكتاب الله - تعالى - ألا وهى أن ابن عباس لما بعثه على بن أبى طالب لمناقشة الخوارج ما كان منه إلا أن لبس أفضل ثيابه، وتطيب بأفضل طيبه، وركب أحسن دوابه، وذهب إليهم، فلما رأوه قالوا له: يابن عباس أنت خير الناس ولكنك جئتنا فى لباس الجبابرة ومراكبهم أى أنهم ينكرون عليه هذه الهيئة الحسنة، فتلا عليهم هذه الآية فأفحمهم.

وقد أنكر العلماء اتخاذ الملابس المزرية، والتى يكون الباعث على اتخاذها إظهار الزهد والفقر؛ ذلك لأنها ملابس الشكوى من الله تعالى.

ثانيا: إباحة الأكل والشرب مما أحله الله:

وهذه قاعدة عامة، إذ الأصل فى الأشياء الإباحة إلا ما ورد الأمر بخلافه، يؤيد ذلك قول الله - تعالى -: ﴿**قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم**﴾ الأنعام: آية ١٤٥.

ثالثا: النهى عن الإسراف:

وقد أوردت الآيات ضابطا عاما ومهما للاستمتاع بالطيبات، ألا وهو البعد عن الإسراف، فلا ينبغى للعبد أن يتجاوز حد الاعتدال فى اتخاذ الزينة عند إرادة الصلاة، لأن ذلك يورثه الزهو

والغرور والخيلاء، ولا عند تناول الطعام والشراب، فإن ذلك يورثه التخمة، والاضطرابات الهضمية، ومعلوم أنه من أكل كثيرا شرب كثيرا نام كثيرا فاته خير كثير. وقد أجمع الأطباء قديما وحديثا على أن المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء، وأن الدواء قلما ينفع مع عدم الحمية، وكثيرا ما اعتمد حكماء الهند على حمية المريض أياما فيصح جسده بدون علاج.

وقد وضع رسول الله ﷺ دستورا عظيما لحماية الجسم البشرى من شَرَهِ تناول الطعام والشراب، يتمثل فى النصوص التالية:

يقول رسول الله ﷺ: **«ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه»** أخرجه الترمذى عن المقدام بن معد يكرب.

يقول رسول الله ﷺ: **«كل ما شئت، والبس ما شئت، ما أخطأتك خصلتان: سرف ومخيلة»** والمخيلة الكبر. أخرجه البخارى وابن أبى شيبة.

ومن طريف ما يروى أنه كان للرشيد طبيب نصرانى حاذق، فقال هذا الطبيب لعلى بن الحسين ابن واقد: ليس فى كتابكم من علم الطب شىء؟ والعلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان؟ فقال له على: قد جمع الله الطب كله فى نصف آية من كتابه، وهى قوله: **﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾** فقال الطبيب: ولم يرو عن رسولكم شى فى الطب؟ فقال: قد جمع رسولنا الطب فى ألفاظ يسيرة، وهى قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء، واعط كل بدن ما عودته»** فقال النصرانى: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا.

وهذا يؤكد للدنيا أن هذه الآية الكريمة قد جمعت وجوه البلاغة وأصول الأحكام، باشتمالها على الأمر والنهى، والإباحة والخبر، كما جمعت فى نصفها الحكمة. ولقد تأكد هذا فى الواقع العملى عند أولئك الذين التزموا بهذه المناهج، واتبعوا هذه المقررات، فقد صحت أبدانهم، واستقام دينهم، فما احتاجوا إلى مراجعة الطبيب فى هذا الخصوص، وهذا ما تشير إليه واقعة رد الطبيب الذى أهداه المقوقس عظيم القبط بمصر لرسول الله ﷺ ضمن الهدية التى بعث بها إليه مع من جاء يدعوه إلى الإسلام، وقد علل النبى ﷺ رده للطبيب بقوله: **«نحن قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع».**

ولقد أشار القرآن الكريم إلى أن الفرق بين الطيبات والخبائث فرق واضح وضوح الشمس فى رابعة النهار، يدركه ويلحظه أصحاب الفطر السليمة والعقول المستقيمة، يقول الله تعالى: **﴿الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾** الأعراف: آية ١٥٧.

فمن الخصائص التى ميز الله بها الشريعة الإسلامية تلك الآيات والعلامات الواضحة لسيدنا محمد ﷺ والتى يجدها أهل الكتاب فى كتبهم السابقة كالتوراة والإنجيل، فهو يأمرهم بالمعروف، أى ما تعارفت عليه الفطر السليمة، وينهاهم عن المنكر، وهو ما أنكرته الفطر السليمة، ونفرت منه، كما أنه يبيح لهم ما حرمه الله عليهم بسبب ظلمهم ومعاصيهم كالشحوم ونحوها، كما أنه يحرم عليهم كل ماهو خبيث وضار، فما كانوا يتناولونه كالدم والميتة ولحم الخنزير، كما أنه يحرم عليهم بعض التصرفات الضارة، كالتعامل بالربا، وأخذ الرِّشا؛ ذلك لأن الكسب الناتج عن ذلك كله كسب خبيث ممحوق البركة، والعياذ بالله.

وبهذا وغيره يتضح لنا جميعا أن الشريعة الإسلامية قد وضعت هذه القضية فى نصابها، وبينت أنها قضية جوهرية فى حياة الناس، وأن الاستمتاع بالطيبات فى الحدود التى بينها الله هو الذى يحقق للفرد وللجماعة السعادة فى الدنيا وفى الآخرة، بما يتيح لهم تحقيق التوازن النفسى، والشعور الطيب بأنعم الله التى أنعمها على عباده، وبما يدخل على النفوس القناعة والرضا عن الله فى كل نعمة أنعم بها على عباده، ولقد كان رسول الله ﷺ يدعو ربه فيقول: «**اللهم آت نفسى تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها».**

الفن الإسلامى

عبر ١٤٠٠ عام

٥ الخزف

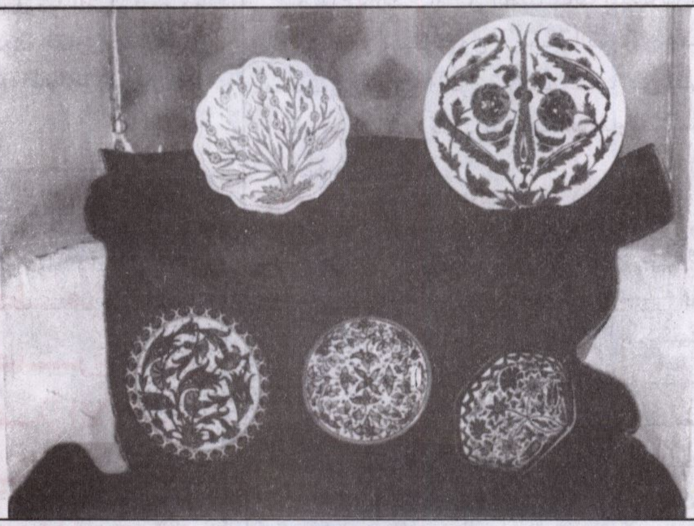

نماذج من الأطباق الخزفية

تحقيق: سعاد بدوى ـ محمد كامل شاهين
تصوير: سيد الزفزاف

الفسطاط.. من أشهر المدن المصرية فى صناعة الأوانى الخزفية ولاسيما المصنوعة والمزخرفة بمادة البريق المعدنى

د. جمال عبدالرحيم

كان وسيظل الخزف من أقدم ما أبدع الفنان المسلم على مر العصور الإسلامية.. تلك العصور التى شهدت تطورا فى هذه الصنعة التى بقيت شاهدة على عظمة الحضارة الإسلامية وثرائها، ومتاحف العالم مليئة بأنواع متعددة من الخزف الإسلامى الغنى بزخارفه البديعة التى قلما نجدها فى أى حضارة أخرى.

وقد برع الصناع والفنانون المسلمون فى صناعة العديد من أنواع الخزف الراقى، وأتقنوا تشكيله وزخرفته، فوجدت العديد من الأوانى الخزفية التى بلغت درجة كبيرة من الدقة والإتقان.

ومن هذا المنطلق ونظرا لأهمية الخزف كأحد الفنون الإسلامية المهمة، كان لابد من إلقاء الضوء عليه حتى يتعرف القارئ على مدى أهميته فى حياة المسلمين.

مجموعة من الأوانى الفخارية

الخزف قبل الإسلام

صناعة الفخار من الصناعات المصرية القديمة التى ترجع إلى عصر مينا الأول موحد القطرين حيث كان المصريون يصنعون الأوانى المنزلية المستخدمة فى طهى الطعام أو حفظ العسل والنبيذ، وكانت صناعة الفخار منتشرة فى الوجه القبلى خاصة فى الفيوم.

الخزف بعد ظهور الإسلام

وفى صدر الإسلام، زاد الإقبال على الأوانى الخزفية حيث وجدوا فيها بديلا عن الأوانى الذهبية والفضية التى كره الإسلام استعمالها وعن ذلك تقول أ. د. سهير صلاح الشامى - أستاذ مساعد بكلية الفنون التطبيقية - قسم الخزف - جامعة حلوان -: إن صناعة الخزف والفخار تقدمتا تقدما كبيرا فى العصور الإسلامية المختلفة، فقد فتح المسلمون بلادا كان لها ماض عريق فى هذه الفنون مثل إيران، والعراق، وبلاد الشام، ومصر، وبفضل خضوع هذه البلاد للحكم العربى ومراعاته لهذا الفن، حدث تبادل فى الخبرات المتعلقة بهذه الصناعة مما أدى إلى ظهور نهضة كبيرة فى هذا المجال بعد أن كانت صناعة

العصر الفاطمى..من العصور الذهبية فى صناعة الخزف لتوافر العناصر الفنية والاتصالات الخارجية عن طريق التجارة

د. سهير الشامى

الخزف والفخار آخذة فى التدهور قبل الفتح العربى، وذلك نتيجة الخلل العام الذى أصاب هذه البلاد فى تلك الفترة.

ولقد كانت بلاد ما وراء النهرين مصدر إشعاع لفن وصناعة الخزف فى العالم الإسلامى.

كما أن سامراء حاضرة الخلافة العباسية كانت إحدى المراكز المهمة فى صناعة الخزف، وقد ركز المسلمون جلَّ اهتمامهم على زخرفة الأسطح الخزفية أكثر من اهتمامهم بتشكيلها وربما كان ذلك راجعا إلى تأثرهم بما وصل إليهم من خزف «أسرة تانج».

وهى إحدى الأسر التى اشتهرت بصناعة الخزف فى بلاد (ما وراء النهرين) فحاولوا الوصول إلى تأثيرات لونية جميلة من الطلاء، ومن أهمها التأثيرات اللونية ذات البريق المعدنى، ويلاحظ أن فن الخزف وصناعته قد ازدهرت فى بعض العصور الإسلامية دون الأخرى، ويرجع ذلك إلى استقرار شئون البلاد فى تلك العصور، واهتمامهم بالجوانب الفنية والثقافية بوجه عام، وقد تدهور الفن عموما فى بعض العصور بسبب كثرة الاضطرابات والقلاقل وإهمال شئون الدولة.

ومن أهم العصور الإسلامية التى ازدهرت فيها الفنون الخزفية فى مصر، العصر الطولونى، والفاطمى، والمملوكى، ومن أهم مميزات فنون الخزف فى تلك العصور التأثيرات اللونية التى توصلوا إليها والخامات التى استخدموها، وطرق تطبيق الطلاء على الأجسام الخزفية لديهم.

العصر الطولونى

لقد جذب الطولونيون عددا من الفنانين من بلاد ما وراء النهرين إلى مصر واستقروا فى مدينة الفسطاط بمصر القديمة، والبهنسا فى مصر العليا، ومن هنا تأثر الخزاف المصرى فى هذه الفترة بما جلبه هؤلاء الفنانون من أساليب جديدة للزخرفة.

وتدل دراسة أساليب صناعة الخزف فى ذلك العصر على أنها كانت تقليد للنماذج العراقية ذات الزخارف البارزة فى أواخر القرن الثامن الميلادى.

واستطاع الفنان المسلم أن يعطى مثالا على قدرته الفنية الرائعة فى التأثيرات اللونية، والقدرة على تداخل مجموعة من الألوان مع بعضها البعض حيث أن هذه النوعية من الأعمال الفنية كانت بداية للفن الطولونى.

وقد تميزت الأوانى فى هذا العصر بصغر حجمها فنجد منها صحونا وكؤوسا وقدورا مزخرفة بطلاء ذات بريق معدنى ليغلب عليه اللون الزيتونى على أرضية بلون أبيض عاجى وترتبط هذه الأوانى من حيث الشكل بخزف «سامرا» فى العراق، وتشتمل الزخارف على رسوم حيوانات أو رسوم آدمية مبسطة مثل «صياد سمك يمسك رمحا»، وزخارف نباتية تشبه الزخارف الموجودة فى الجامع الطولونى كما تميزت أوانى هذا العصر بأنها ذات قاعدة ارتفاعها منخفض جدا مطلية بطلاء يغطيها كلها بما فى ذلك القاعدة، ومزخرفة من الخارج بطلاء غالبا لونه أبيض، كما استخدم الطلاء ذو البريق المعدنى.

العصر الفاطمى

يعتبر عصر الفاطميين فى مصر عصرا ذهبيا لفنون الخزف، وللفنون التطبيقية عامة، ويرجع ذلك إلى ما تجمعت لهؤلاء من العناصر الفنية المحلية، والاتصالات الخارجية عن طريق التجارة التى كانت مدينة الاسكندرية فى ذلك الوقت مركزا لها بين الشرق والبلاد الأوروبية، هذا إلى

جانب ما حققته البلاد من أرباح وأموال طائلة من وراء هذه التجارة، كما أن السياسة التى اتبعها الحكام الفاطميون من تسامح مع الشعب وإغداق النعم والأموال على أفراده ساعد على ازدهار فن الخزف.

وقد برع الصناع والفنانون العرب إبان الحكم الفاطمى، وتوصلوا إلى كثير من أنواع الخزف الراقى، وأتقنوا تشكيله وزخرفته، وأنتجوا أوانى ذات بريق معدنى مميز.

وتضيف أ. د. سهير الشامى إلى أنه قد عثر فى حفائر مدينة الفسطاط على الكثير من القطع الخزفية ذات البريق المعدنى الذى ينسب إلى العصر الفاطمى، ووجد من بين هذه القطع بعض النماذج السليمة الخالية من تاريخ صنعها ولكنها تحمل توقيعات صانعيها ومن أشهرهم صانع يدعى «سعد» الذى يرجح أنه كان موجودا فى أواخر القرن الحادى عشر وآخر يدعى «مسلم بن الدهان» ويعدان من أشهر الخزافين المصريين إبان العصر الفاطمى.

وفى نهاية القرن الحادى عشر أصبحت الأوانى أكثر متانة وتميل إلى اللون البنى وانعكس على زخارفهم الفن البيزنطى، كما رسموا بعض النماذج التى يرونها فى حياتهم اليومية مثل الطيور الجارحة والمصارعين والحمالين، كما زخرفوا على أوانيهم موضوعات خاصة بالطبقة الحاكمة مثل مناظر الشراب، والرقص، والموسيقى، أو صور للأمراء فى طريق عودتهم من الصيد.

وتشير د. سهير الشامى إلى أنه يمكن تقسيم الأوانى الفاطمية إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى: رسمت زخارفها بخطوط خارجية واضحة وكانت الرسوم الآدمية، ورسوم الحيوانات هما العنصران الأساسيان فى الزخارف فى حين كانت الفروع النباتية عنصرا ثانويا يظهر كخلفية للموضوع الرئيسى، ويفضل الفنان عادة رسم إنسان أو طائر أو حيوان بحجم كبير يأخذ الصدارة على سطح الإناء.

أما زخارف المجموعة الثانية فتظهر بها موضوعات مختلفة حافلة بشخصيات كثيرة، ويلاحظ أن من زخارف هذه المجموعة ابتعادها عن التقاليد العراقية، واهتمامهم بصور من الحياة المصرية اليومية.

كما يوجد نوع آخر من الخزف أنتج فى منطقة الفيوم، وكان يشبه إلى حد ما أوانى بلاد الرافدين.

وقد نجح الفنان المصرى فى العصر الفاطمى فى الوصول إلى طراز تميز به ويبدو ذلك فى رسمه للموضوعات الشعبية المصرية، كما تمكن من تسجيل الحركات المختلفة بدقة لم يبلغها الخزافون فى مصر من قبل.

العصر المملوكى

أما عن الخزف فى العصر المملوكى فهو سميك وألوانه واضحة سواء كانت خضراء أو زرقاء، أو صفراء.

وقد تميزت الأوانى الخزفية لهذا العصر بالزخارف النباتية الطبيعية التى كانت على درجة كبيرة من الدقة والإتقان، على أننا نلاحظ أن إنتاج الأوانى الخزفية ذات البريق المعدنى قد توقف إنتاجه فى مصر فى حين استمر فى الظهور فى سوريا ومنذ منتصف القرن الثامن الهجرى أو الرابع عشر الميلادى شاعت صناعة الأوانى الخزفية التى تشبه الخزف الصينى وتزين هذه الأوانى زخارف نباتية مرسومة باللونين الأسود والأزرق تحت الطلاء الزجاجى، وغالبا ما يتوسط هذه الزخارف رسما لحيوان أو طائر، ولقد تشابه هذا النوع من خزف الشام لدرجة يصعب معها التمييز بين ما صنع فى مصر وما استورد إليها من بلاد الشام.

ولقد تمكن الخزافون المصريون من إدخال بعض التحسينات على أسلوب صناعته حتى يتجنبوا اختلاط اللون الأزرق بالطلاء الزجاجى.

وتميزت الأوانى فى هذا العصر بأنها كبيرة

الحجم وثقيلة الوزن، وزخرفت بنفس الطريقة التى زخرفت بها فى العصر الفاطمى.

ويقول أ. د. جمال عبدالرحيم - أستاذ الآثار والفنون الإسلامية بكلية الآثار - جامعة القاهرة -: يعتبر الخزف الإسلامى فى عصوره المختلفة من أرقى وأجود المنتجات الإسلامية حيث ابتكر الفنان المسلم وعلى مدار العصور الإسلامية طرقا جديدة فى الصناعة والزخرفة لم تكن معروفة قبل الإسلام، وتعج المتاحف العالمية بأنواع كثيرة من الخزف مقسمة حسب مواد ومدن صناعتها التى تشهد على أن المنتجات الخزفية كانت منتشرة وبصورة كبيرة فى كل الأقطار التى دخلها الإسلام حتى صارت هذه المنتجات علامة مميزة فى أسلوب صناعتها.

ومن أهم الابتكارات فى صناعة الخزف هو الزخرفة بأسلوب البريق المعدنى بمعنى استخدام الأكاسيد المعدنية فى عمل العناصر الزخرفية، ويعتبر هذا النوع من أجود وأغنى وأرقى أنواع الخزف الذى شهدته مصر إبان العصور العباسية والطولونية والفاطمية، وهذا وإن دل على شىء إنما يدل على الغنى الفاحش والثراء الذى تميزت به هذه العصور ولاسيما فى مصر، وينافس هذا النوع خزف صنع فى إيران كان يعرف بالخزف «المينائى» وهو أيضا نوع جيد وثرى صنع بمادة المينا المتعددة الألوان لدرجة أن المصانع الإيرانية كانت تشتهر عن غيرها من مصانع البلدان الإسلامية الأخرى بهذا النوع من الخزف، وكان أجمل ما فيه تلك البانوراما الزخرفية التى تحكى بصورة حية صور البلاط بكافة أنواعها سواء الحياة السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية فى إيران فى تلك الأثناء أى أنها وثيقة رائعة مصورة لهذه الحياة تنافس بذلك تلك المقتنيات والصور التى كانت بالمخطوطات الإيرانية، وفى مصر كانت صناعة الخزف هى أهم المنتجات الفنية، وكانت مدينة الفسطاط وعلى مر العصور الإسلامية هى المفرخة لهذه الأنواع المتعددة من الخزف سواء كان خزفا مرسوما تحت الطلاء «أى العناصر الزخرفية رسمت بالألوان ثم وضع طلاء مزجج شفاف عليها».

والدليل على ذلك ما ذكره كثير من المؤرخين والرحالة الذين زاروا مصر فى عصورها المختلفة ولاسيما فى العصر الفاطمى حيث وصلت إلينا مجموعة من توقيعات الصناع وأسماء الخزافين والدهانين برعوا فى هذه الصناعة لدرجة كانت هناك مدارس فنية لصناعة الخزف تميزت كل مدرسة عن الأخرى من خلال العناصر الزخرفية والأسلوب الفنى أى أنه كان هناك تنافس شديد بين هذه المدارس.

ويضيف أ. د. جمال عبدالرحيم قائلا: استمرت مصانع الفسطاط تنتج وتبدع فى عمل الأوانى الخزفية المميزة ولاسيما المصنوعة والمزخرفة بمادة البريق المعدنى إلى أن تم حريق الفسطاط فى القرن السادس الهجرى الثانى عشر الميلادى، وفى أواخر العصر الفاطمى تأثرت هذه المصانع وبالتالى مصر فى إنتاج أنواع جيدة جدا من الخزف ثم انتقلت الصدارة فى إنتاج الخزف إلى بلاد الشام ولاسيما فى مدينتى الرقة ودمشق، ويرجع السبب فى ذلك أيضا إلى وحدة الحكم السياسى فى مصر والشام والتى بدأت منذ العصر الأيوبى حيث صارت مصر والشام بلدا واحدا يحكمها حاكم واحد، وبالتالى فإن المنتجات الخزفية كانت تنتج بكثرة فى الشام والقليل منها فى مصر وخاصة الفسطاط حتى جاء العصر المملوكى ورأينا مصر تأخذ الصدارة مرة أخرى فى إنتاج الخزف ولاسيما النوع المستخدم فيه الطلاء بسبب احتضانها لكثير من المدارس الفنية الشرقية الوافدة من إيران والصين نتيجة الهجمات المغولية على تلك المناطق حيث هاجروا إلى مصر ومعهم أساليبهم الفنية لما تتمتع به مصر من الأمن والأمان بعد هزيمة المغول فى عين جالوت سنة ١٢٦٠م

نافذة على المعلومات

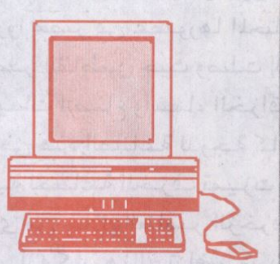

إعداد: منى القاضى

بسبب الحجاب: محكمة أمريكية تنصف تلميذة مسلمة

اتهمت وزارة العدل فى ولاية أوكلاهوما الأمريكية إدارة إحدى المدارس الحكومية بمقاطعة ماسكوجى بالتمييز الدينى، بسبب موقفها من تلميذة مسلمة بالمدرسة عمرها ١٢ عاما ترتدى الحجاب، مما جعل أسرة التلميذة تتوجه إلى القضاء.

وقالت المحكمة فى حكمها الذى جاء لصالح التلميذة المسلمة إن مثل هذا التعصب هو خلق غير أمريكى جدير بالازدراء.

ومما يزيد من الشعور بالقلق أن مثل هذه الحوادث تأتى فى وقت تزداد فيه مشاعر الكراهية والعداء ضد مسلمى أمريكا.

وقد اضطرت المدرسة بناء على حكم المحكمة إلى تغيير الزى الرسمى الخاص بطلابها لكى يسمح للتلميذة المسلمة بارتداء الحجاب.

الإسلام ينقذ التشيك من الضياع

تعتبر جمهورية التشيك التى تتوسط القارة الأوروبية، أقل بلدان أوروبا تدينا، حيث ينتشر فيها الملحدون وأتباع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية. لكن اللافت للنظر هو أن الإسلام بدأ يعرف طريقه إليها، حيث يزداد عدد معتنقى الإسلام فيها كل يوم، حتى وصل عدد الجالية الإسلامية إلى ما يزيد على ٢٠ ألف مسلم خلال فترة لا تتجاوز الخمسة عشر عاما، بعد انتهاء الحكم الشيوعى فيها، وبفضل تأثير بعض المهاجرين العرب، أو الذين توجهوا إليها وأقاموا بهدف الدراسة.

وفى لقاءات أجرتها إذاعة أوروبا الحرة مع عدد من معتنقى الإسلام فى جمهورية التشيك من مختلف الأعمار يظهر مدى اقتناعهم بأن هذا الدين الحنيف وفر لهم الحماية والخلاص من الضياع الذى كانت تجرفهم إليه الحياة المادية التى تطغى على مجتمعهم. لقد رووا تجاربهم خلال رحلة بحثهم عن معنى روحى لحياتهم، حتى اهتدوا إلى الإسلام.

فلاديمير سنكا: هذا الرجل يبلغ من العمر ٤٠ عاما. كان ينتمى مثل غيره من أبناء شعبه إلى عائلة ملحدة، ودرس - مثلهم - مبادئ الإلحاد فى المدارس والجامعة.

وقد اعتنق الإسلام عام ١٩٩٥ وأصبح فيما بعد رئيسا للمركز الإسلامى فى العاصمة التشيكية براج، وإماما للمصلين فى المسجد الوحيد فيها.

قال سنكا إنه اهتدى إلى الإسلام خلال رحلته الطويلة والمجهدة، للبحث عن معنى روحى، فى مجتمع لا يؤمن إلا بالماديات.

وذكر أنه اكتشف أن الإسلام وحده هو الذى يناسب رؤيته، وأنه يستوعب فى ذات الوقت قيم ومبادئ المسيحية واليهودية. فهو امتداد لهما، كآخر رسالة سماوية.

وأضاف أنه يرى أن الإسلام بسيط جدا، واضح وعملى. أما الأهم فهو يقدم إجابات منطقية وعقلانية لجميع التساؤلات التى تصادف الإنسان فى حياته اليومية.

أوندرج ماشاتوف: اهتدى إلى الإسلام عام ١٩٩٨ وكان عمره تسعة عشر عاما، بعد بحث شاق ورحلة مضنية، يغلفها الضياع الإلحادى. فعندما بلغ السابعة عشر، بدأ فى البحث عن معنى روحى لحياته، ينجيه من هذا الضياع.

قضى بعض الوقت بأحد الأديرة فى فرنسا، وعاش حياة تتسم بالتقشف والصرامة، ثم سافر إلى مصر حيث تعرف على الثقافة العربية. التقى مصادفة بفتاة متدينة ملتزمة، فأعانته على فهم مبادئ الدين الإسلامى فأعلن إسلامه وتزوجها.

قال فى حديثه أن حياته الآن أصبحت تتسم بالتوازن. فقد اكتشف الشىء الأهم هو كيفية تعامل الإنسان مع غيره من الناس، وكيف يرى الله سبحانه وتعالى فى كل شىء من حوله.

الإسلام فى تكساس قبل الحرب الأهلية

يمثل المسلمون في ولاية تكساس الأمريكية نسبة تزيد قليلا عن ٦٪ من تعداد سكان الولاية، أي حوالي ٢٥٠ ألف شخص، أكثرهم من المهاجرين الجدد، الذين وفدوا في الستينيات من القرن الماضي اضافة إلي حوالي ١٢ ألفا اعتنقوا الإسلام خلال الأعوام العشرين الماضية، معظمهم من الأمريكيين والمهاجرين الإنجليز والألمان والمكسيكيين والبريطانيين والسلاف، وكذلك الفيتناميين والصينيين، والسكان الأصليين من الهنود الحمر.

وهناك دلائل تاريخية علي أن أوائل المسلمين قد ظهروا في تكساس، قبل نشوب الحرب الأهلية الأمريكية، عندما قرر الجيش الأمريكي تشكيل فرق عسكرية للنقل علي الجمال بين ولايتي تكساس وكاليفورنيا.

وكان معظم راكبي هذه الجمال من الأتراك والعرب، وذلك في حوالي ١٨٥٦ ميلادية.

وفي الأعوام التالية وصل مزيد من العرب علي جمالهم إلي مدينة هيوستن، حتي بلغ عددهم في عام ١٩٢٠ حوالي ٣٠ ألف شخص.

ورغم نسبتهم القليلة بين عدد السكان، إلا أن المسلمين في ولاية تكساس لهم تأثير كبير في الحياة العامة. فهناك يلمس الزائر الكثير من مظاهر هذا التأثير. حيث توجد المساجد المقامة علي الطراز المعماري الإسلامي، والمدارس الإسلامية ومحطات الإذاعة الخاصة. ويعمل كثير من المسلمين والمسلمات في مؤسسات حكومية، ومن بينها الشرطة، التي انضم إليها كثير من النساء المحجبات.

المسلمون الهنود قوة سياسية

أثبت المسلمون فى الهند أنهم قوة لا يستهان بها، بعد أن سعت جميع الأحزاب الهندية إلى كسب أصواتهم فى الانتخابات البرلمانية الأخيرة، والتى أدت إلى هزيمة حزب «بهاراتيا جاناتا» الهندوسى المتطرف، وفوز حزب المؤتمر.

ويذكر أن هناك مخاوف من قيام حزب بهاراتيا جاناتا بإقامة معبد هندوسى فى مدينة بابرى محل المسجد الذى تم هدمه فى نفس المكان، فى إشارة إلى الحادث المأساوى الذى راح ضحيته أكثر من ثلاثة ألاف شخص، حين قام الهندوس بهدم مسجد أثرى يعود تاريخ إنشائه إلى القرن السادس عشر فى بلدة أبوديا بولاية أوتار براديش الشمالية وفى ديسمبر ١٩٩٢م.

موقع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية على الشبكة الدولية

Website Address: http:// WWW.islamic. Council. org
E-mail Addresses : Coun 11@ hotmail. com
Council @ Al azhr. org
Webmaster @ islamic- council. com
Postal Address: 9. El-Nabatat St. Garden City- Cairo A.R.E.
Tel. Nos.: (202) 7951438- 7951494
Fax No.: (202) 7954005

شاشة ثلاثية للإنترنت تحيط بك من كل جانب

ستغزو الأسواق قريبا أجهزة كمبيوتر، ترضى رغبات عشاق الإنترنت، الذين يرغبون فى أن يكونوا محاطين بها من كل جانب. والأجهزة الجديدة ذات شاشات مسطحة، مساحة كل منها ١٥ بوصة، ولا تفصل بين شاشة وأخرى سوى أقل من بوصة واحدة، ولهذا فإنها تمنح المستخدم رؤية رائعة.

ولنا أن نتصور عدد نوافذ البرامج التى يمكن فتحها على هذه الشاشة، التى يعتبر إنتاجها خطوة جديدة على طريق ثورة البحث العلمى، فى مجال الكمبيوتر. إلا أن اقتناء هذه الشاشة لن يكون فى متناول يد الكثيرين قريبا، بسبب ارتفاع سعرها. إنها تكلف حوالى عشرة آلاف دولار.. فقط!

عفاريت الإنترنت

قامت مجموعة من شباب الأقاليم ممن ينطبق عليهم وصف عفاريت بتجربة فريدة من نوعها، حيث أنتجوا فيلما سينمائيا بكاميرا Handi cam اسمه «رجال لا تعرف المستحيل» وبإمكانيات ذاتية اختاروا موقع التصوير: فيلاتم تأجيرها، وملابس وسيارات وممثلين هواة، وميزانية إنتاج من مصروفهم الشخصى.. ثم قاموا بتصوير وإنتاج وإخراج الفيلم، ووضعه على اسطوانة CD، وقاموا بتأجير أحد مقاهى الإنترنت، وأعدوها كصالات السينما للمشاهدة الجماعية، وبيعت التذاكر وغطت الإيرادات المصاريف، وحققت هامش ربح لا بأس به.

استمرارا لمسيرة العطاء...

مصر تحتضن وفد تلاميذ مسلمى البوسنة

مصطفى إبراهيم خيان

كما كانت مصر دوما ـ ومنذ فجر التاريخ ـ قلعة الأمان وواحة الأمن وقبلة الطامحين إلى الحرية والمتطلعين إلى غد جديد.

وكما كانت منذ أشرقت شمس الإسلام على الدنيا، هى القلب النابض الذى يخفق بدعوة الإسلام، واللسان الذاكر الذى يلهج بالتوحيد، والحضن الدافئ الذى يحتضن أبناء هذه الأمة من مشرقها إلى مغربها.

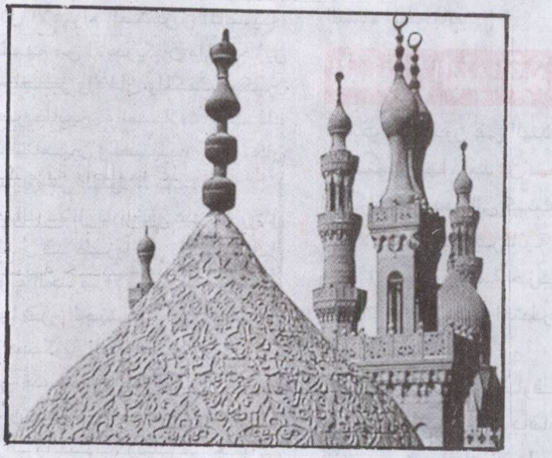

فهاهى تمد يدها الحانية لأبناء شعب عزيز من شعوب أمتنا الإسلامية عانى طويلا ويلات الحروب دُمِّرت دياره وتشتت أهله، وقد آن له أن يعود أدراجه إلى حظيرة الأمة امتدت إليه يد مصر الحانية لتنتشل أبناءه من ركام العنصرية، وتقيه خطر التغريب والذوبان فى ثقافات الآخرين.

وانطلاقا من رسالة مصر فى دعم الأقليات المسلمة، ومن خلال مبادئها الراسخة فى توثيق عرى العلاقات مع أبناء العالم الإسلامى من مشرقه إلى مغربه، استقبل الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف وفد طلبة المدارس من مسلمى البوسنة حيث أعدت لهم الوزارة برنامجا ثقافيا وترفيهيا حافلا كان له عميق الأثر فى نفوس أبناء البوسنة والهرسك وترك

مفتى المدارس البوسنية:

الأزهر الشريف منارة العلم الدينى المستنير

لديهم انطباعا طيبا بما يكنه أبناء الشعب المصرى لأبناء البوسنة من مودة وحب جارف.

اشتمل البرنامج على زيارة عدد من المناطق الأثرية والترفيهية حيث قام الوفد بجولات حرة زاروا خلالها مناطق القاهرة الفاطمية والأزهر وخان الخليلى، كما زاروا المناطق السياحية بالفيوم ومنطقة الأهرامات، وكذلك المتحف المصرى، والقرية الفرعونية إضافة إلى مدينة الإسكندرية حيث زاروا مكتبة الإسكندرية واطلعوا على أحدث ما توصلت إليه النظم المكتبية من تقنية حديثة ونظم اطلاع متطورة حول طبيعة الوضع فى البوسنة والهرسك وأهداف الزيارة وانطباعات الوفد ومشاعره تجاه الشقيقة الكبرى مصر، كان هذا اللقاء.

مشرف الوفد البوسنى:

الزيارة أتت ثمارها الطيبة وكل الشكر لمصر وشعبها الكريم المضياف

مكانة مصر

فى البداية أكد حسين إسماعيتش - مفتى المدارس الإسلامية - على عمق العلاقات والمشاعر وأواصر الحب والصداقة التى تربط بين الشعبين المصرى والبوسنى برباط الإسلام العظيم.

وأشار إلى مكانة مصر ودورها فى حماية ونشر الإسلام وتعاليمه السمحاء بالحسنى والموعظة الحسنة.

وقال إن أبناء البوسنة شغوفون بما قرأوه عن مصر بعالميها القديم والحديث حيث تتلاقى حضارة مصر القديمة المتمثلة فى الآثار العظيمة والأهرامات، مع الحضارة الإسلامية خاصة وأنها تعد من أكبر الدول الإسلامية وأهمها مكانة؛ حيث الأزهر الشريف منارة العلم الدينى المستنير والذى تخرج من جامعته المرموقة الآلاف من أبناء العالم الإسلامى، ومن بينهم أكثر من مائة وخمسين خريجا من أبناء البوسنة والهرسك، وأعتز أننى واحد من خريجى هذه الجامعة الإسلامية العريقة، وأعمل حاليا مفتى بسراييفو، أقوم بمساعدة الناس على فهم أمور دينهم وإزالة اللبس عما يكون قد غمض عليهم من أمور دينهم من خلال اللقاءات التى أعقدها معهم.

إعادة الإعمار

ماذا عن دور مصر تجاه أبناء البوسنة والهرسك خلال الحرب الماضية؟

- كان لمصر دور بارز فى مساندة أبناء البوسنة والهرسك والوقوف إلى جانبهم خلال الحرب التى استمرت زهاء أربع سنوات خلال الفترة من ١٩٩٢م وحتى ١٩٩٦م، وهى الحرب التى شهدت أكبر عدد من ضحايا المسلمين خلال تاريخ البوسنة والهرسك الطويل، فقد بلغ عددهم ما يربو على مائتى وعشرين ألف مسلم، حيث قدمت مصر المساعدات العينية والمادية أثناء الحرب، واستمر ذلك إلى فترة ما بعد الحرب، فساهمت فى إعادة إعمار المدن التى أصابها الدمار، خاصة فى مناطق شرق البوسنة، وخصوصا أن منها أكبر

عدد من المتضررين الذين نزحوا بعيدا عنها هربا من الدمار والقتل.

كما ساهمت مصر فى بناء المساجد، وخاصة فى مدينة إلياش، حيث أنشئ مسجد جديد أطلق عليه اسم مسجد مصر، وهو يعد من أكبر وأهم المساجد فى البوسنة والهرسك والتى أصاب الدمار ما يربو على ألف مسجد من مساجدها.

حرية العبادة

وعن مدى حفاظ أبناء البوسنة على ممارسة شعائر الدين الإسلامى أشار المفتى البوسنى إلى أن مسلمى البوسنة كغيرهم من أبناء الديانات الأخرى لم يكن مسموحا لهم - فى ظل النظام اليوغسلافى السابق - بممارسة شعائر دينهم بحرية، فقد كانت الحكومة شيوعية لا تعترف بالدين، وكانت غالبية الشعب أعضاء بالحزب الشيوعى، وكانت شعائر الدين تمارس سرا ثم تبدل الحال بعد تفكك الاتحاد اليوغسلافى فى عام ١٩٩٢م.

وعاد الناس ليمارسوا شعائر دينهم بحرية تامة، وخاصة الشباب وتلاميذ المدارس بعد أن أدخلت مادة الدين الإسلامى ضمن مناهج الدراسة، وخاصة القرآن الكريم وعلومه.

ولا يقتصر مردود التعليم على هؤلاء التلاميذ وحدهم وإنما يمتد أثر ذلك إلى أسرهم وذويهم حيث يقوم الأبناء بنقل ما تعلموه إلى الآباء الذين تسبب الحكم الشيوعى السابق فى عزلهم عن شعائر دينهم.

رغم الوجود العربى الموغل فى القدم إلا أن نهضة هذه الأمة ارتبطت بالإسلام

وحدة الأراضى

وما طبيعة العلاقة بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى؟

- العلاقات - والحمد لله - طيبة وإن كانت ليست على المستوى الذى نطمح إليه، والفرصة مواتية لتمتين وتقوية هذه العلاقات بصورة أفضل، فالحرب بين مسلمى البوسنة والهرسك وبين غيرهم من الطوائف لم تكن دينية كما حاول البعض أن يدعى، ولكنها كانت حرب أطماع وتوسع فقد حاول الصرب اقتطاع جزء من أراضى البوسنة إلا أن محاولتهم باءت بالفشل بسبب تمسك أبناء البوسنة من كافة الطوائف بوحدة أراضيهم.

ونحن من جانبنا لا نألوا جهدا من أجل العمل سويا وتوحيد جهودنا لبناء البوسنة الجديدة التى تتعانق فيها كافة الأديان والنحل.

صحيح الدين

● وعن نوع المساعدة التى يتطلع البوسنيون إلى الحصول عليها يرى حسين إسماعيتش أن هذه المساعدات تتنوع بين المساعدات المادية والمساعدات العينية فى كافة المجالات العلمية

والتعليمية والاقتصادية، وقال: إننا بحاجة إلى كليات إسلامية لتخريج دعاة وأئمة ينشرون الإسلام ويقدمون صحيح الدين، وليس لدينا الآن إلا كلية واحدة تقوم بتدريس علوم الدين الإسلامى، ولذلك فنحن فى مسيس الحاجة لكليات جديدة تساهم فى ترسيخ العقيدة الإسلامية فى نفوس أبناء البوسنة خاصة ونحن فى قلب أوروبا.

وناشد مفتى المدارس البوسنية الإعلام الإسلامى أن يساند قضايا البوسنة بالكلمة والرأى بحيث تجد هذه القضايا مكانها على خريطة العالم الإسلامى الإعلامية حيث يمثل الإعلام قوة دفع هائلة مساندة لأبناء البوسنة فى رغبتهم الصادقة ليعودوا كلبنة طيبة فى الصرح الإسلامى الكبير.

زيارات متبادلة للوفود الطلابية من مصر والبوسنة دعما لأواصر التعارف والترابط والألفة

تطور تعليمى ملحوظ

أما حمزة روبنشر - المشرف على الوفد البوسنى - فقد أكد على أن التعليم فى البوسنة يتطور بصورة ملحوظة وهناك نوعان من المدارس: النوع الأول وهو المدارس المختلطة التى تضم كافة الديانات والمذاهب، وهناك المدارس الدينية التى تضم أبناء الديانة أو الطائفة الواحدة، فهناك مدارس خاصة بالمسلمين وأخرى خاصة بالكروات وغيرهم حيث يبلغ عدد المدارس الإسلامية ست مدارس يتخرج منها المعلمون والأئمة والوعاظ.

ثمار الزيارة

وعن مردود الزيارة على وفد التلاميذ البوسنى فقد أثنى المشرف على الوفد على الحفاوة البالغة التى قوبل بها الوفد ولقائهم بالدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف الذى شمل الوفد برعايته، وقال إن هذه الزيارة هى الخامسة من نوعها التى يقوم فيها وفد من تلاميذ مدارس البوسنة بزيارة مصر حيث بلغ عدد أفراد الفوج خمسة وخمسين تلميذا.

وقد أتت هذه الزيارة ثمارها الطيبة فى نفوس هؤلاء النشء الذين استمتعوا بأوقاتهم فى ضيافة وزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وتولد لديهم انطباعا طيبا عن ذلك البلد العظيم مصر وشعبه المضياف الذى احتضنهم واختصهم بالعطف والحب كعادته دائما مع كافة أبناء الأقليات المسلمة انطلاقا من رسالته العظيمة فى دعم الإسلام والمسلمين.

تكرار الزيارات

واقترح حمزة روبنشر أن يقوم وفد من الطلبة المصريين بزيارة للبوسنة ردا على زيارة وفد تلاميذ البوسنة لمصر بحيث تتكرر هذه الزيارات المتبادلة لتحقيق المزيد من الألفة والحب والترابط بين أبناء الشعبين المسلمين الشقيقين ولتعميق أواصر العلاقات بين الشعبين، ولدفع هذه العلاقات فتلك سُنة حميدة استنتها وزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، كعهدنا دائما بمصر ودورها الرائد فى دعم أبناء الجاليات الإسلامية فى كل أنحاء العالم.

فى المنتدى الثقافى بحلوان

ندوة حقيقة الخلق وأكذوبة التطور

جدل كثير ولغط عقيم وزخم.. أقل ما يوصف به أنه ضرب من الخبل وتوجه من الحيل غير سليم حول واحدة من أهم القضايا التى شغلت بال الكثيرين ومازالت تطل برأسها إلى يوم الناس هذا، تولى كبرها دارون والماديون الذين لا يريدون أن يثوبوا إلى رشدهم ويرجعوا عن غيهم إلى فطرتهم ويعترفوا بوجود الله فهم يأخذون نظرية التطور بفهم مشوش ومغالطة واضحة، الأمر الذى أدى إلى الخروج بها عن قصدها، لذا يؤكد الدكتور حسنى حمدان ـ أستاذ الجيولوجيا المساعد بجامعة المنصورة وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى إحدى ندوات الملتقى الثقافى بحلوان.

سعيد صالحة

نظرية التطور ضرب من الخيال ومازالت بدون براهين حتى الآن

عدم وجود سند علمى واحد تقوم عليه نظرية دارون عن التطور العلمى لا من الأحافير التى تمثل بقايا الكائنات ولا من بين الكائنات الحية على السواء ولم يتمسك بها الكثير من المخدوعين إلا لسبب وهو أن رفض النظرية يعنى الإيمان بالله. ويتعجب د. حسنى حمدان من اندفاع بعض المسلمين قائلين إن القرآن يشير إلى التطور ولاسيما بعدما تأكد أن نظرية التطور كذب وافتراء، كما أن مفهوم التطور من الكلمات المطاطة اختلف الناس حوله فمنهم من يخلط بين مفهوم التطور كما وضعه دارون ومفهوم التغير فى تاريخ حياة الفرد والنوع، فالثانى يعنى مراحل خلق الكائن كما فى الإنسان مثلا من نطفة وعلقة ومضغة وعظام..

ودراسة تطور تلك المراحل لا بأس به بل ومرغوب فيه، أما مفهوم التطور الداروني على أنه ارتقاء الحياة من جهاز عضوى ذى خلية واحدة إلى أعلى درجات الأحياء فى سلم الارتقاء فنقول فيه نظر، فلم ولن يؤدى تبديل الكائنات الحية جيلا بعد جيل إلى ظهور أنواع جديدة عن الأنواع القديمة إلا بأمر الله الخالق، ولا يوجد دليل أحفورى قوى على عملية التحول بين الأنواع غير الزمن الجيولوجى منذ ظهرت الحياة على الأرض إلى اليوم، كما أن الكيفية التى ظهرت بها أوائل جميع الأنواع تمثل ألغازا مختلف عليها بين العلماء ناهيك عن عملية تبديل الأنواع إلى أنواع أرقى وأحدث.

ويستطرد د. حسنى حمدان قائلا: إن سجل الحياة على قدمها لم يقدم دليلا على صحة نظرية دارون للتطور العضوى والظهور المفاجئ والمتنوع لكائنات طين (بورجسن) تضرب نظرية دارون فى الصميم.

دعاة التطور يفشلون:

لقد عجز أحد دعاة التطور وهو «ستيفن جاى جولد» عن تفسير ظهور الكائنات ووصفها بأنها تجربة فاشلة وتعامى - مع التسليم جدلا برأيه - عمن وراء التجربة وكذلك الحال فى تفسير ظهور الفكوك للأسماك من أسماك عديمة الفكوك مع إقرار العلماء بعدم وجود دليل مباشر على التحول من الأولى إلى الثانية ثم إقرارهم بالألغاز المتعلقة بأصول البرمائيات والزواحف والطيور والثدييات.

ويستطرد د. حسنى حمدان موضحا أن نماذج التطور المزعومة لا تمثل سوى خيال واضعيها وفق أهوائهم لتقليل ظهور الخلائق المتعاقبة على الأرض وقد فشلت جميعها ابتداء من نموذج التدرج المستمر لدارون ومرورا بنموذج القواصل «لأردج وجو» وانتهاء بالنموذج الشبكى «لأرنست ماير» والأخير يرى أن من أعظم إسهامات إيجاده الكائنات من خلال التطور من دون اللجوء إلى ما فوق الطبيعة! هكذا كفر بواح ثم إن الارتقاء الطبيعى أو الاصطفاء المزعوم ليس بذاته قوة خلاقة ولا يدفع شيئا جديدا للتطور، ودارون هذا رضى بأن يطوع العلم للهوى وروج لمبدأ استعمارى بغيض هو البقاء للأحسن الذى يعجز عن تفسير وجود الأضعف بجانب الأقوى ثم إنه قد أعلى من دور الصدفة على حساب العقل.

ومات دارون ولم تمت أفكاره حتى بعد السقوط الذريع لنظريته والآن أخذت الدارونية الجديدة تطل بوجه خادع يرتدى زيا عصريا مفصلا من علم جزئيات الأحياء والموروثات وهذا المبدأ الجديد يرى أنه بوسع الباحثين إعادة الماضى التطورى لأنواع الحياة من خلال تقييم تباعد سلسلة الجينات أو البروتينات التى تم عزلها من تلك الكائنات ومن قبل أغرق دارون الناس فى مسألة التسلسل الشكلى لأن كل زوج وبمعنى آخر كل نوع يحمل خريطته الوراثية المستودعة فى أول زوج من كل نوع خلقه الله وتلك الشفرة الوراثية تميز النوع من غيره من الأنواع.

لا توجد فى تاريخ البشرية نظرية تم الترويج لها مثل نظرية دارون

ولم يفت الدكتور حسنى حمدان أن يشير إلى بعض الحقائق المتعلقة بالخلق التى ذكرت فى القرآن الكريم: الله هو الخالق وما دونه الباطل، وهو الله الخالق كل شىء بقدر وجعل من الماء كل شىء حى، وخلق سبحانه الكائنات على تنوعها من كل زوجين اثنين، وهو سبحانه خلق ويخلق وخلاق عظيم وكل الكائنات تسجد له طائعة أو مكرهة وقد أحاط علمه بكل شىء.

حقائق الخلق فى الإسلام

الحقيقة الأولى: الله هو الحق وما دونه باطل ومن ثم فهو أحق أن يعبد وأن لم يتبع الحق فليس هناك إلا الضلال والباطل زاهق. والحق باق تلك المعانى هى آيات محكمات فى كتاب الله وردت فى قوله تعالى: **﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن مايدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلى الكبير﴾** الحج: آية ٦٢، و**﴿ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾** يونس: آية ٥، ومن ثم فإن الادعاء بأن الطبيعة تصطفى ادعاء باطل لأنه يناقض الذى يخلق ما يشاء ويختار والادعاء بحدوث التطور وفق آليات قائمة على الظن باطل يبعد الناس عن فهم قدرة الله المطلقة وبناء عليه فإن التطور أو الانتقاء الطبيعى باطل من وجهة نظر العلم والشرع وأيضا ما سوف يستحدث من تجديد للفكر التطورى القديم سيكون باطلا إنه بعيد عن الله.

الحقيقة الثانية: **الله هو الخالق..** الله تعالى هو الخالق وغيره عاجزون عن خلق أى حياة، سبحانه وتعالى فاطر يخلق من غير أصل وغيره يحتاجون إلى أصول لم يأتوا بها من عندهم وهذه المعانى تؤكد عليها بشدة آيات القرآن الكريم فى قوله تعالى: **﴿الله خالق كل شىء وهو على كل شىء وكيل﴾** الأنعام: آية ١٠٢.

وبما أن كل نوع من الخلائق شىء فإن جميع الأنواع مخلوقة رغم أنف دعاة التطور وعليهم أن يأتوا ببرهان إن كانوا صادقين والطبيعة لا تخلق ولا تصطفى ليس لها من أمرها شىء **﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾** القصص: آية ٦٨.

ومشكلة التطور أن قد تشابه الخلق عليهم **﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم﴾** الرعد: آية ١٦. يخبر الحق تبارك وتعالى عن عجز البشر عن أن يخلقوا حياة سواء بأنفسهم أو بواسطة ما يتخذونه آلهة من دون الله **﴿ياأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له..﴾** الحج: آية ٧٣.

لم تستطع التأثيرات البيئية أن تغير الشفرة الوراثية للكائنات

الحقيقة الثالثة: كل شىء بقدر

يوضح د. حسنى حمدان أن ظهور الخلائق لا يخضع للتجريب ولكنه يتم بقدر وكل شىء خلقه الله بحدود مميزة وليس فى الخلق حلقات وسطى بين الأنواع يقول الحق تبارك وتعالى: **﴿إنا كل شىء خلقناه بقدر﴾**.

الحقيقة الرابعة: كل شىء حى من ماء

إن جميع الأحياء من ماء هذا ما أخبرنا به القرآن الكريم فى قوله تعالى: **﴿وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون﴾** الأنبياء: آية ٣٠ وجميع الدواب مخلوقة.

﴿والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم

من يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شىء قدير﴾.

وهناك عدة حقائق منها أن الزوجية قانون عام فكل المخلوقات خلقها الله وهى أنواع وكل نوع من زوجين ﴿ومن كل شىء خلقنا زوجين اثنين لعلكم تذكرون﴾ الذاريات: آية ٤٩.

وكذلك حقيقة الرزق، فجميع الكائنات مرزوقة: ﴿وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين﴾ هود: آية ٦، الرزاق متكفل بإعاشة ٤,٥ مليون نوع من الكائنات يتوقع العلماء وجودها فى هذه اللحظة فكم عدد الأنواع التى تعاقبت على الأرض منذ بدء الخلق.

وكذلك تنوع الخلق، فالتنوع سمة رئيسية فى جميع الدواب وصدق الله حيث يقول: ﴿وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء ثم إلى ربهم يحشرون﴾.

إن من يتمسك بأهداب خيوط الطبيعة الواهنة عليه أن يتذكر أن الطبيعة تفنى وتزول ثم يقف الجميع أمام رب العالمين، وصدق الله حيث يقول: ﴿إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا﴾ مريم: آية ٩٣.

وتأتى الحقيقة الأخيرة: ﴿وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون﴾ العنكبوت: آية ٦٤.

الخلاصة

إن الظن لا يغنى من الحق شيئا والظن هو التطور العضوى والحق هو الخلق والخلق والتطور ضدان لا يجتمعان وحقيقة الخلق تنفى فرضية التطور. كما أن الأحافير لم تفد نظرية التطور العضوى حيث لم يسجل أرشيف الحياة القديمة أية حلقات وسطى من حلقات التطور المزعوم وعجز العلماء عن الوصول إلى سلف مشترك لجميع الكائنات ولم تنجح جميع نماذج التطور فى شرح الآلية التى تظهر بها الكائنات الجديدة ولايزال سر الحياة غامضا ولم يؤد نقص أصول شجرة الحياة إلى وجود الكائنات ومع الأسف الشديد بعد أن فشلت نظرية الداروينية فشلا ذريعا أطلت الداروينية الجديدة برأسها فى رداء عصرى خادع تحت ستار براق أسموه التسلسل الجينى والوهم يكمن فى محاولات فهم نشأة الحياة وتنوعها بعيدا عن الله.

إن نماذج التطور المزعومة لا تمثل سوى خيال واضعيها وفق أهوائهم

والحقيقة أن الله خلق من كل شىء زوجين وخلق الأشياء بقدر وخلق الله من الماء كل شىء وجعل التنوع سمة أساسية فى الخلائق التى يعلم الله مستقرها ومستودعها وخلق الله متجدد ومستمر وسجل جميع الخلائق لا يحيط به البشر وهو سبحانه يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى وضرب الله لكل أمة أجلا، وستفنى جميع المخلوقات ويبقى وجه ربك ذى الجلال والإكرام.

حلقة نقاشية بجامعة الأزهر تؤكد:

دول العالم الإسلامى تمتلك الثروات والمقومات التى تمكنها من تحقيق التنمية

وراء الأخبار

منير بيومى

حذرت الحلقة النقاشية التى نظمها مركز الاقتصاد الإسلامى بجامعة الأزهر من تراجع معدلات التنمية فى الدول الإسلامية نتيجة فشلها فى جذب رؤوس الأموال العالمية مؤكدة أن دول العالم الإسلامى لديها مقومات النجاح من ثروات طبيعية وبشرية إلا أنه ينقصها كيفية توظيف ما لديها من إمكانيات لمصلحة شعوبها وخاصة أن الاقتصاد هو عصب الحياة المعاصرة.

أكد الدكتور محمد عبدالحليم عمر - مدير مركز الاقتصاد الإسلامى بجامعة الأزهر - أهمية الاستثمار والتمويل الدولى فى الدول النامية والتى تدخل فى إطارها الدول الإسلامية التى يبلغ عددها ٥٨ دولة تصنف ٢٩ منها ضمن الدول ذات الدخل المنخفض و٢٥ دولة ضمن الدول ذات الدخل المتوسط، فى حين تبقى أربع دول فقط تصنف عالميا من بين الدول ذات الدخل المرتفع بالرغم من غنى الدول الإسلامية بالموارد حيث تشغل ٢٢,٥٪ من مساحة الأرض وبها قوة عاملة تصل إلى ٨٠٠ مليون نسمة وتملك العديد من الموارد الطبيعية ولديها فائض فى الطاقة، ومع هذا فإن الأداء الاقتصادى فيها منخفض ويظهر ذلك بمقارنة الناتج القومى الذى يصل متوسط نصيب الفرد منه فى عالمنا الإسلامى إلى ألف دولار فقط سنويا، بينما متوسط نصيب الفرد على المستوى العالمى يبلغ ٤٨٩٠ دولارا وهذا ناتج بالدرجة الأولى عن عرقلة الاستثمارات وعدم كفاية المدخرات المحلية لتمويلها، ووجود فجوة بين المدخرات المحلية.

ضعف القاعدة الإنتاجية للاقتصاد العربى يقلل من فرص التجارة البينية

التجارة البينية

ويؤكد الدكتور سعيد عبدالخالق - وكيل وزارة التجارة الخارجية - فى بحثه حول الاستثمار العربى البينى - أن انخفاض حجم التجارة البينية العربية تمثل ٨,٩٪ من إجمالى التجارة الخارجية العربية، وهذا يعود إلى عدة عوامل أهمها:

- ضعف القاعدة الإنتاجية للاقتصاد العربى حيث يلاحظ ارتفاع حجم الواردات العربية من السلع والخدمات مما أدى إلى

تحول الموارد - أى الفرق بين الصادرات والواردات - من فائض فى بعض السنوات إلى عجز فى سنوات أخرى.

- معدلات نمو الطلب تتسارع بدرجة تعجز ظروف العرض عن ملاحقتها مما إدى إلى انخفاض مرونة العرض وقلة مستويات الإنتاج حجما ونوعا.

ومن الغريب أنه رغم هذا الانخفاض فى التجارة البينية العربية نجد أن حجم الأموال العربية المهاجرة يتراوح بين تريليون، ١,٢ تريليون دولار أى أن الاستثمار البينى العربى يقل ١,٥٪ من مجموع التدفقات الاستثمارية العربية للخارج.

أبعاد مشكلة الاستثمار

ويحدد الدكتور يوسف إبراهيم - أستاذ الاقتصاد الإسلامى والمستشار العلمى لمركز الاقتصاد الإسلامى - أبعاد مشكلة الاستثمار فى العالم العربى فى بحثه حول التنمية فى العالم العربى بين التمويل الأجنبى والاعتماد على الذات من منظور إسلامى يحدد ثلاثة أبعاد للمشكلة.. أولها: تنبع من انقسام الأمة الإسلامية إلى منطقة نقص ومنطقة فائض فى رأس المال وحيلولة الأفكار المستوردة بمضامينها وتكوينها لعقليات المسئولين العرب دون انسياب الفوائض بين المنطقتين.

وثانيها: بناء دول النقص لسياستها على الإمكان المالى وليس الاجتماعى مع فشل الأفكار المستوردة فى تعبئة الفائض المالى فى هذه المنطقة.

وثالثها: عدم استفادة جماهير المسملين بشكل فعال من الزكاة ولهذا لابد من الاستفادة من الفكر الإسلامى الاقتصادى.

ومن المملكة العربية السعودية شارك الدكتور محمد بن على العقلا - نائب مدير جامعة أم القرى - ببحث موضوعه (الاستثمار الأجنبى المباشر فى الدول الإسلامية وموقف الاقتصاد الإسلامى منه) فهو يرى أن هناك بعض العوامل المؤثرة فى هذا الجانب منها:

- مدى الحاجة لهذا الاستثمار.

- الحكم الشرعى لمشاركة المسلم لغير المسلم فى المشروعات الاستثمارية.

- الحكم الشرعى لعمل المسلم عند غير المسلم.

تجارب ناجحة

وأشار الدكتور خليل محمود خليل - أستاذ الاقتصاد بتجارة أسيوط - إلى تجربة ماليزيا وإندونيسيا فى الاستفادة بالدور التنموى للاستثمارات الأجنبية المباشرة حيث بلغت الاستثمارات فى إندونيسيا عام ١٩٧٧م نحو بليون دولار فى حين بلغت فى ماليزيا ٧ بلايين دولار.. إلا أنها تراجعت بعد الأزمة التى أصابت منطقة جنوب شرق آسيا إلى النصف تقريبا وقد عملت الدولتان على تحقيق أكبر استفادة ممكنة من الاستثمار الأجنبى فى كافة مشروعات التنمية.

بدء إيفاد الدعاة وقراء القرآن لإحياء ليالى رمضان فى الخارج

بدأت وزارة الأوقاف إيفاد الدعاة من مصر لإحياء ليالى شهر رمضان المبارك المقبل من خلال المراكز ومقار التجمعات الإسلامية، وقرر الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف إيفاد ٣٣ داعية إسلاميا إلى ١٥ دولة هى فلسطين، والدانمارك، وفنزويلا، واستراليا، وموزمبيق، وسريلانكا، وأرتريا، ونيوزيلاندا، والمكسيك، وكينيا، وأسبانيا، والبرازيل وتنزانيا، والجابون وروانda.

وأوضح الوزير أنه سيتم إيفاد المزيد من الدعاة تباعا إلى دول أخرى، إلى جانب قراء القرآن الكريم الذين يجرى اختيارهم وتحديد أعدادهم حاليا، وقال الدكتور الوزير إنه سيتم عقد دورات تدريبية للمرشحين قبل سفرهم للتوعية بدورهم الذى تتزايد أهميته فى ضوء التحديات التى يواجهها الإسلام، والأفكار المغلوطة بشأن الإسلام والمسلمين مشيرا إلى حرص الوزارة على تلبية معظم الطلبات فى هذا المجال من العناصر ذات الكفاءة العالية، والتى تتمتع بالخبرات والثقافة الواسعة وإجادة اللغات الأجنبية.

فى المؤتمر الثانى للتمريض بهيئة المستشفيات

٢ مليون طفل معاق بسبب زواج الأقارب

أكدت الاحصائيات الميدانية التى قامت بها منظمة اليونيسيف أن هناك أكثر من ٢ مليون طفل معاق فى مصر بسبب زواج الأقارب وأن مشكلة الإعاقة تؤثر اجتماعيا واقتصاديا ونفسيا على حوالى ١٠ ملايين مواطن تقريبا يمثلون عائلات الأطفال المعوقين من آباء وأمهات وأخوة.

جاء ذلك خلال جلسات المؤتمر الثانى للتمريض والذى عقدته الهيئة العامة للمستشفيات والمعاهد التعليمية مؤخرا تحت رعاية د. محمد عوض تاج الدين وزير الصحة والسكان.

وعلى مدى جلستين علميتين ناقش المؤتمر ٢٠ بحثا تناول أصحابها دور الممرضة فى توعية الأسرة فى التعامل مع ظاهرة العنف بين الأطفال ومع السيدات فى سن اليأس ودور التمريض النفسى فى رعاية الأطفال المصابين بالأنيميا والربو الشعبى والسرطان وفى فترة ما قبل الجراحة ولتقليل حدوث التبول اللاإرادى وبالأطفال المبتسرين.

وقد أشار الدكتور عبدالحميد أباظة أمين عام الهيئة إلى الأهمية البالغة لدور التمريض فى مصر معتبرا أنه العمود الفقرى للعلاج فى مصر وأن الممرضة المصرية هى أعظم ممرضة فى العالم حيث تعمل فى ظروف بالغة القسوة.

المكرمون من حفظة القرآن الكريم يؤدون العمرة على نفقة الأوقاف

بدأت وزارة الأوقاف فى اتخاذ إجراءات سفر المكرمين لأداء العمرة من حفظة القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف الفائزين فى المسابقات الدينية الكبرى طوال العام الهجرى ١٤٢٥هـ، والأئمة المثاليين على مستوى الجمهورية بواقع إمام لكل محافظة.

وأعلن الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية أنه تم تكليف فضيلة الشيخ حسين خضر وكيل أول الوزارة رئيس القطاع الدينى برئاسة البعثة ولأول مرة فى تاريخ بعثات العمرة للوزارة يكون وكيل البعثة سيدة وهى وفدية أحمد مصطفى ربيع مديرعام الإعانات والبحث الاجتماعى بالوزارة.

كما تضم بعثة العمل كلا من عبدالحميد عمر للعلاقات العامة، وسعيد شهاب للشئون المالية، ومحمد زينهم للشئون الإدارية.

ومن الجدير بالذكر أن الأوقاف تنظم هذه البعثة سنويا لتكريم شباب مصر وأطفالها وأئمة المساجد المتميزين دينيا وخلقيا ودراسيا لتكون حافزا لباقى الشباب على المشاركة فى الأنشطة الدينية.

وقال: إن الوزارة ومجموعة العمل المكلفة بالإشراف على البعثة تتولى سنويا إنجاز جميع الإجراءات اللازمة لسفر وعودة أعضاء البعثة وعددهم ٣٥٠ مصريا ومصرية. وإجراء الاتصالات المطلوبة مع الجهات المعنية فى مصر والمملكة العربية السعودية وإعداد مقرى الوزارة بمكة المكرمة والمدينة المنورة لإقامة أفراد البعثة وتوفير سبل الراحة والأمان لهم وتنقلاتهم بالأراضى المقدسة فى سهولة ويسر وتقديم الخدمات المطلوبة لهم لمدة ١٤ يوما شاملة أيام السفر والعودة.

في ندوة التعددية في ضوء الشريعة الإسلامية

إنشاء الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين من السنة والشيعة في أوروبا خطوة على طريق الوحدة

أكد الدكتور يوسف القرضاوي أن إنشاء الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين في أوروبا كان أملا لكل مسلم وقال إن هذا الاتحاد الذي يضم العلماء المسلمين من السنة والشيعة فكرة قديمة منذ عام ١٩٨٠م تحققت على أرض الواقع بعد أن كانت أملا يراود مسلمي الغرب الذين كانوا يواجهون انتقادات حادة هناك.

جاء ذلك خلال الندوة التي نظمتها نقابة الصحفيين حول «التعددية في ضوء الشريعة الإسلامية». قال د. القرضاوي إن التعددية السياسية هي من أبرز مظاهر الديمقراطية ويجب على كل من يشتغل ويعمل بالسياسة أن يعرض أفكاره على الأمة ولا يجوز على السياسي أن يحتكر فكرا واحدا ومجموعة واحدة فهذه تعد مشكلة كبرى في عالمنا العربي والإسلامي.

وفي حديث القرضاوي عن التعددية الثقافية أشار إلى مسألة منع الحجاب بالمدارس الفرنسية التي رفضت قبول الناس بعضهم لبعض على اختلاف ثقافتهم وطالب الجميع بأن يكونوا نسخة واحدة وشكل واحد.

ورفض العرقية التي تروج لها إسرائيل بما قالوه عن أنفسهم بأنهم شعب الله المختار وكل شعب فيه الخبيث والطيب والمؤمن والكافر، وإنما يتفاوت الناس بالتقوى **﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾**، وقال: إننا عندما ننظر إلى الشريعة الإسلامية نجد أنها تؤيد التعددية العرقية لأن الله خلق الناس أجناسا مختلفة منها العربي والأعجمي ونجد هذا واضحا في قوله تعالى: **﴿ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾**.

أما عن التعددية اللغوية فيقول: إن من فضل الله أن حبب كل لسان إلى أهله وكل جماعة يعتزون بلغتهم ولكن للأسف نجد داخل المجتمع العربي من يتبرأ من هذه اللغة ويسبها على أنها لغة متخلفة وصعبة ويجب أن نغيرها ولم ينظر إلى قول الله تعالى: **﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيت للعالمين﴾**.

وأوضح القرضاوي أن التعددية الدينية مقبولة في الإسلام ومن يرفضها يرفض القرآن إعمالا بقوله تعالى: **﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾** وخصوصا النصارى منهم، يقول تعالى: **﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى﴾**، فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وجعل له إرادة واختيارا فلا يجوز إكراه الناس على دين واحد بل هذا بمشيئة الله، فالله يحاسب المهتدي على هداه والضال على ضلاله والحساب يكون في الآخرة وليس في الدنيا.

موسوعة حديثة للصحابيات

دور الصحابيات في المجتمع الإسلامي في عصر رسول الله ﷺ هو محور الموسوعة العلمية التي صدرت حديثا للدكتورة سامية منيسي الحاصلة على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي حيث اعتمدت في إعداد هذه الدراسة على كثير من المصادر التاريخية الموثقة.

قالت: إن من الصحابيات من آمنت في فجر الدعوة الإسلامية، والمهاجرات، والمجاهدات وراويات الحديث ومن نزل فيهن تشريع إسلامي وكذلك الخطيبات والفقهيات.

هذا وقد تضمن الجزء الأول من الموسوعة نبذة مختصرة عن النبي ﷺ وصحابته وأمهات المؤمنين وبنات النبي ﷺ - رضى الله عنهم أجمعين - أما الجزء الثاني فيتحدث عن الصحابيات من قريش، وخصص الجزء الثالث للأنصاريات والرابع لنساء العرب.

وتناولت الموسوعة دور أولئك الرائدات الأوائل من النساء في المساهمة في بناء الأمة الإسلامية، واللاتي يعتبرن من مؤسسات حقبة من حقب التاريخ الإسلامي والقدوة الصالحة للمرأة المسلمة في أروع معانيها.

وبالرغم من صعوبة الكتابة في هذا الموضوع ودقة مصادره فقد استخرجت الباحثة أقصى ما استطاعت من حقائق علمية في هذا الشأن قدمت خلالها خدمة جليلة للدراسات التاريخية في هذا المجال.

قطوف في تحويل القبلة

محمد سيد أحمد

روى ابن إسحاق وابن جرير والستة عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ (١) أن رسول الله ﷺ «صلى أول ما صلى إلى الكعبة ثم صُرف إلى بيت المقدس وهو بمكة فصلى ثلاث حجج ثم هاجر».

ولما هاجر ﷺ إلى المدينة وكان أكثر أهلها اليهود أمره الله تبارك وتعالى أن يستقبل صخرة بيت المقدس، فعرَض اليهود بذلك، وكان رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبل البيت الحرام، لأن اليهود قالوا ساخرين: «خالفنا محمد ويتبع قبلتنا». وقال ﷺ لجبريل عليه السلام: «وددت أن الله ـ عز وجل ـ صرفنى عن قبلة يهود إلى غيرها». فقال جبريل عليه السلام: «إنما أنا عبد مثلك لا أملك لك شيئا إلا ما أمرت به، فادع الله تعالى» فكان رسول الله ﷺ يدعو الله تعالى ويكثر النظر إلى السماء ينتظر أمر الله تبارك وتعالى وذلك قوله تعالى: ﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها﴾ البقرة: آية ١٤٤.

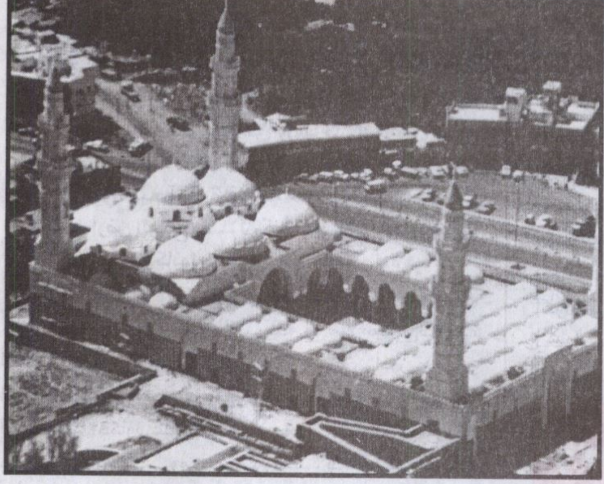

قصة تحويل القبلة

خرج رسول الله ﷺ زائرا أم بشر بن البراء بن معرور، فى بنى سلمة، فصنعت له طعاما، وحانت صلاة الظهر، فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه فى مسجد هناك الظهر، فلما صلى ركعتين نزل جبريل عليه السلام فأشار إليه أن صلِّ إلى البيت، وصلى جبريل إلى البيت فاستدار رسول الله ﷺ إلى الكعبة واستقبل الميزاب فهى القبلة التى قال فيها رب العزة تبارك وتعالى: ﴿فلنولينك قبلة ترضاها﴾ فسمى ذلك المسجد مسجد القبلتين فصلى الظهر اثنين إلى بيت المقدس واثنين إلى الكعبة.

فخرج عباد بن بشر(٢) رضى الله عنه، وكان قد صلى مع رسول الله «الظهر» فمر على قوم من الأنصار ببنى حارثة وهم راكعون فى صلاة العصر، فقال: «أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قِبَل البيت»، فاستداروا قال تعالى: **﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون﴾** البقرة: آية ١٤٤.

موقف الجُهَّال والمشركين من تحويل القبلة

أتى رسول الله ﷺ قوما منهم رفاعة بن قيس، وكعب بن الأشرف ورافع بن أبى رافع والربيع وكنانة وغيرهم فقالوا: «يامحمد ما ولاك عن قبلتك التى كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه؟ ارجع إلى قبلتك التى كنت عليها نتبعك ونصدقك». وهم بذلك يريدون فتنته عن دينه فأنزل الحق تبارك تعالى قرآنا: **﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها﴾** والمعنى سيقول الجهال واليهود والمشركون والمنافقون ما صرفهم عن قبلتهم التى كانوا يستقبلونها، وجاء الرد من الله تبارك وتعالى: **﴿قل لله المشرق والمغرب﴾** والمراد أن جميع الجهات لله فيأمر بالتوجه إلى أى جهة شاء **﴿يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم﴾** البقرة: آية ١٤٢، وقد جاءت الآية الكريمة بعدها تقرر أن الملك بيد الله يصرفه كيف يشاء وأن دين الإسلام دين الوسطية والاعتدال وأمة محمد ﷺ أمة وسطا خيارا عدولا ليكونوا يوم القيامة شهداء على جميع الأمم **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم﴾** البقرة: آية ١٤٣.

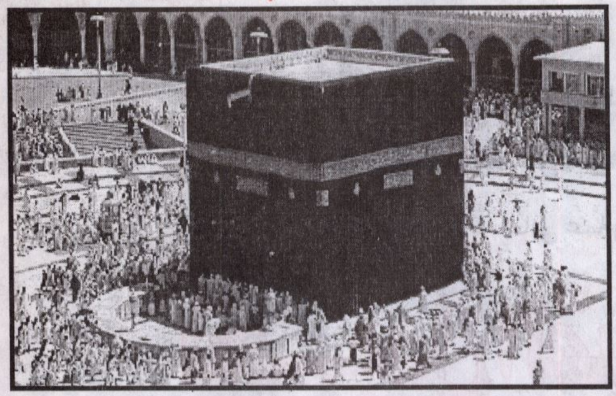

وقد كانت هذه الآية الكريمة إجابة شافية لكثير من الأسئلة التى سألها المنافقون لرسول الله منها **وما حكم صلاة من مات قبل تحويل القبلة أيضيع الله أعمالهم؟** «صلاتهم» فكانت الإجابة شافية وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم.

وقد جاء فى فتح البارى بشرح صحيح البخارى ـ كتاب الإيمان ـ أن من مات على قبلة «بيت المقدس» ولم يصل نحو البيت الحرام قبل أن تحول عشرة أنفس: فقد مات بمكة من قريش: عبدالله بن شهاب، والمطلب بن أزهر الزهريان والسكران بن عمرو العامرى.

ومات بأرض الحبشة: حطاب بن الحارث الجمحى، وعمرو ابن أمية الأسدى، وعبدالله بن الحارث السهمى، وعروة بن عبدالعزى، وعدى بن نضلة العدويان.

ومن الأنصار بالمدينة: البراء بن معرور، وأسعد بن زرارة وهؤلاء العشرة متفق عليهم «فتح البارى بشرح صحيح البخارى (أ) كتاب الإيمان «٢٦» باب ٤٠ الحديث ٣٦».

الهوامش:

١ ـ أحاديث تحويل القبلة أخرجها الستة: البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجة والنسائى، كما أخرجها مالك وأحمد والدارمى. وقد أخرجها البخارى فى صحيحه فى كل من كتاب الصلاة (جـ١ ص١٧٦: ١٧٧) وفى كتاب التفسير (جـ٦ ص٤٩ ـ ٥١) وفى صحيح مسلم (جـ٥ ص٩ ـ ١١) بشرح النووى.٢ ـ عباد بن بشر بن قيظى وهو الذى ورد ذكر اسمه فى حديث نويلة بنت أسلم وهو من بنى حارثة. أسد الغابة (جـ٣ ص٩٩).

قال تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤) ﴾ البقرة: آية ١٤٤

تحويل القبلة

خضرة رشاد

تحويل القبلة ذكرى عظيمة وكم فى تاريخ الإسلام من ذكريات كان لها أبعد الأثر فى جوانب الإسلام وفى حياة المسلمين.

فقد استجاب الله سبحانه وتعالى دعاء نبيه ﷺ فى تحويل القبلة إلى الكعبة وتوجيه بصره الشريف إلى السماء فنزل جبريل بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى القبلة التى يهواها ﷺ وهى قبلة سيدنا إبراهيم فحول وجهك فى الصلاة نحو المسجد الحرام.

ولقد كان فى استقبال النبى ﷺ فى صلاته ببيت المقدس بعد هجرته إلى المدينة بعض التأليف لقلوب اليهود لأنه رمز وحدتهم وقبلتهم وكان - عليه الصلاة والسلام - يرجو أن يستجيبوا لدعوته وأن يسارعوا إلى الدخول فى الإسلام، ولكنهم بدلا من ذلك أخذوا يشيعون بين الناس أن رسول الله ﷺ قد اتجه إلى قبلتهم، وعما قريب سيتبع ملتهم وأن فى اتجاه المسلمين إلى قبلتهم نوعا من اقتباس الهدى منهم، وهنا تألم الرسول الكريم - عليه الصلاة والسلام - من موقفهم هذا وانبعثت فى نفسه الشريفة أمنية التحول إلى الكعبة الشريفة فى صلاته فأخذ يدعو ويبتهل إلى الله - عز وجل - كى يوجهه إلى البيت الحرام، واشتد شوق الرسول ﷺ إلى نزول الوحى يأمره بالتوجه إلى بيت الله الحرام، وكان يتوقع ذلك من الله - جل شأنه - لماذا؟

لأن الكعبة أقدم القبلتين، ولأنها قبلة أبيه إبراهيم عليه السلام وقد أجاب المولى تبارك وتعالى رجاءه ودعاءه وولاه القبلة التى يرضاها ونزل قوله تعالى: **﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء﴾** البقرة: آية ١٤٤، ومما روى فى أمر تحويل القبلة عن عطاء عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: **«البيت قبلة لأهل المسجد والمسجد قبلة لأهل الحرم والحرم قبلة لأهل الأرض فى مشارقها ومغاربها من أمتى»**.

قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس: كان أول ما نسخ من القرآن القبلة وذلك أن رسول الله ﷺ لما هاجر كان أكثر أهلها اليهود فأمره أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود واستقبلها رسول الله بضعة عشر شهرا وكان يحب قبلة إبراهيم فكان يدعو إلى الله وينظر إلى السماء فأنزل الله تعالى: **﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء﴾** إلى قوله: **﴿فولوا وجوهكم شطره﴾**.

التحول فى كتبهم

تبين الآية الكريمة: **﴿وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه**

الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون﴾ البقرة: آية ١٤٤.

إن أهل الكتاب يعرفون أن أمر التحويل إلى الكعبة الشريفة هو الحق لأنه موجود فى كتبهم وأن المصطفى ﷺ يصلى إلى القبلتين وليس ذلك ابتداعا من عند رسول الله الكريم. وأن أهل الكتاب ما اتخذوا هذا الموقف من تحويل القبلة إلا لعنادهم، وما الله بغافل عن أعمالهم بل هو محيط بها وسيحاسبهم يوم القيامة حسابا عسيرا، وهكذا فضح الله كيد اليهود ورده فى نحورهم، وحمى المسلمين من لغطهم مع أنهم يعرفون أنهم مطالبون بالدخول فى الإسلام، كما دخل فيه عميدهم (يعقوب) من قبل وهو (إسرائيل) وأنه حين حضرته الوفاة وصى بالإسلام بنيه فأقروا له بما قد وصاهم به **﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون﴾** البقرة: آية ١٣٣.

وهذه هى الحقيقة

الإسلام هو ملة أبينا إبراهيم وهو الذى سمانا مسلمين قال تعالى: **﴿ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل﴾** الحج: آية ٧٨، وهذه هى حقيقة الدين الذى بشر به الرسل بعد إبراهيم وقبل محمد - عليهم السلام - وليس لله دين سواه قال تعالى: **﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾** فنحن وأهل الكتاب مطالبون يقينا بالدخول فى ملة إبراهيم (الإسلام) وأهل الكتاب جميعا يعلمون هذا وكان اليهود يطمعون أن يكون خاتم الرسل منهم فلما خاب أملهم طمسوا من التوراة ما كان بشارات صريحة وهم حين لغطوا فى أمر القبلة كانوا يعلمون أن ما حدث حق وصواب ليس أمامنا إلا أن نقول:

إن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام كان واحدا من التدابير والحكمة التى استقر اليها أمر هذا الدين بعد عدة عهود وقعت ما بين عهد إبراهيم وعهد خاتم الرسل - عليهم الصلاة والسلام -.

***

من أسرار لا إله إلا الله

أن جميع حروفها جوفية: إشارة إلى الإتيان بها من خالص الجوف وهو القلب.

وأنه ليس من حروفها حرف معجم «فنقول» إشارة إلى التجرد عن كل معبود سوى الله.

وهى اثنا عشر حرفا على عدد شهور السنة منها أربعة حرم وهى «الجلالة» كما أن الأشهر الحرم أربعة فمن قالها مخلصا كفرت عنه ذنوب السنة. وهى مع محمد رسول الله أربعة وعشرون حرفا والليل والنهار أربعة وعشرون ساعة فكل حرف منها يكفر ذنوب ساعة.

وكلماتها سبع: وأبواب جهنم سبع فكل كلمة تسد بابا عن قائلها.

بم تفاضل الناس

قالت عائشة - رضى الله عنها -: يارسول الله بم تفاضل الناس فى الدنيا؟ قال: **«بالفعل»** قالت فى الآخرة؟ قال: **«بالعقل»**، فقالت عائشة: أليس إنما يجزون بأعمالهم؟

***

محنة أحمد بن حنبل

لما ضرب ابن حنبل بالسياط فى فتنة خلق القرآن قال فى السوط الأول: بسم الله.

قال فى السوط الثانى: لا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم قال فى السوط الثالث: القرآن كلام الله غير مخلوق.

وقال فى السوط الرابع: قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا.

ثم انقطعت حاشية سراويله فقال: اللهم إنى أسألك باسمك الذى ملأت به العرش: إن كنت تعلم أنى على الصواب فلا تهتك لى سترا، فرفعت سراويله رضي الله عنه.

أنت تسأل والفقيه يجيب

فضيلة الشيخ
عطية صقر

الصلاة عن المتوفى

السؤال من القارئ/ أبو العباس فخرى سعد، يقول:

هل يجوز للابن أن يصلى الفوائت عن والده المتوفى؟ وما الأشياء التى يجب أن يفعلها أهل الميت بعد دفنه؟

الجواب: قال جمهور العلماء: لا يجوز قضاء الصلاة المفروضة التى فاتت الميت، ونقل ابن بطال الإجماع على ذلك، وجاء فى موطأ مالك أنه بلغه أن عبدالله بن عمر كان يقول: لا يصلى أحد عن أحد، وأخرج النسائى عن ابن عباس مثل ذلك القول، وبهذا يعلم أن ما يفعله بعض الناس مما يسمى بإسقاط الصلاة عن الميت غير مشروع، أما حكم الصلاة للميت، أى صلاة نافلة وهبة ثوابها للميت فلا مانع منه، فقد جاء فى رواية الدارقطنى «**أن من البر بعد الموت أن تصلى لهما - أى للوالدين - مع صلاتك، وأن تصوم لهما مع صيامك**»، وذلك فى النوافل المهداة.

روى أبو داود أن رجلا سأل النبى ﷺ: يارسول الله، هل بقى من بر أبوى شىء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: «**نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما من بعدهما**».

والمراد بالصلاة عليهما الدعاء لهما، وكذلك الاستغفار، فقد روى أبو داود أن النبى ﷺ كان إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال «**استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل**».

والصدقة على الميت تنفعه لحديث أحمد والنسائى أن أم سعد بن عبادة لما ماتت قال: يارسول الله إن أمى ماتت أفأتصدق عنها؟ قال: «نعم» قلت: فأى الصدقة أفضل؟ قال: «سقى الماء».

وقراءة القرآن فيها خلاف فى انتفاع الميت بها، والرأى المختار أنها إذا كانت بحضرة الميت فانتفاعه بها مرجو، وجاء النص على ذلك فى قراءة (يس) وكذلك إذا كانت القراءة بعيدة عن الميت ثم دعا القارئ أن يرحم الله الميت بفضل هذه القراءة، أو دعاه أن يهديه مثل ثوابه.

ومحل انتفاع الميت بقراءة القرآن إذا لم تكن بأجر يأخذه القارئ فالجمهور على عدم انتفاع الميت به.

إن الموضوع طويل جدا، يمكن الرجوع إليه فى المجلد الثالث من «أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام».

الصلاة على النبى وإبراهيم ـ عليهما الصلاة والسلام ـ

السؤال من القارئ/ على فهيم، من السيدة عائشة بمحافظة القاهرة، يقول:

معروف أن سيدنا محمد ﷺ أفضل الأنبياء والمرسلين، غير أن صلاتنا عليه كما صلى الله على إبراهيم قد يفهم منها أن إبراهيم أفضل منه، لأن المشبه به يكون أفضل من المشبه، فما سر هذا التشبيه؟

الجواب: قرر العلماء أن المزية لا تقتضى الأفضلية، وإذا كان الله سبحانه أعطى مزية لأحد الأنبياء لم يعطها لغيره فلا يدل ذلك على أفضليته المطلقة، وذلك واضح من قول الله تعالى: **﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس﴾** البقرة: آية ٢٥٣.

أما سر التشبيه بإبراهيم فى الصلاة على محمد التى علمها للصحابة كما رواه مسلم وغيره فقد تحدث عنه القسطلانى فى «المواهب اللدنية والزرقانى فى شرحه ج٦ ص٣٤٠» بأن العلماء أجابوا عن السؤال عن ذلك بأجوبة كثيرة، منها:

١ ـ أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال ذلك قبل أن يعلم أنه أفضل من إبراهيم، بل كان يظن أن إبراهيم أفضل منه، ويدل لهذا الجواب أن مسلما أخرج من حديث أنس أن رجلا قال للنبى ﷺ: ياخير البرية، فقال **«ذاك إبراهيم»** لثناء الله عليه بنحو **﴿إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا﴾**، ونحو **﴿أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا﴾** لكن تعقب هذا الجواب بأنه لو كان كذلك لغير الرسول صفة الصلاة عليه بعد أن علم أنه أفضل، لكنه لم يغيرها، وإن كان هذا التعقيب رده بعضهم بأنه لا تلازم بين علمه بأنه أفضل وبين التغيير لأن بقاء طلب ذلك لا يستلزم نقصا فيه، بل التغيير قد يوهم نقصا لإبراهيم.

٢ ـ أنه قال ذلك تواضعا وهضما لنفسه وتعظيما للأبوة، وشرع ذلك لأمته من أجل اكتساب فضيلة التواضع.

٣ ـ أن التشبيه إنما هو تشبيه أصل الصلاة بأصل الصلاة، لا تشبيه القدر بالقدر، فهو كقوله تعالى: **﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾** فالتشبيه فى الوحى مع اختلاف الشرائع، ومثله قول الله تعالى: **﴿وأحسن كما أحسن الله إليك﴾** فالتشبيه فى أصل الإحسان وإن كان إحسان الله لا يعدله إحسان أحد، ورجح القرطبى هذا الجواب فى كتابه «المفهم فى شرح مسلم».

٤ ـ أن قوله: اللهم صل على محمد، مقطوع عن التشبيه، فيكون التشبيه متعلقا بقوله: وعلى آل محمد، فكأنه قيل: اللهم صل على محمد صلاة غير مقدرة بشىء، وصل على آل محمد كما صليت على إبراهيم.. ورد هذا الجواب بأن غير الأنبياء ـ وهم آل محمد ـ لا يمكن أن يساووا الأنبياء، وأجيب بأن المطلوب لهم هو أصل الثواب وليس جميع الصفات التى كانت سببا للثواب، ونسبت هذه الإجابة للشافعى ولم يرتضها ابن القيم لأسباب لغوية، لكن العلماء صححوها من جهة اللغة.

٥ ـ منع المقولة التى تقول: إن المشبه به أرفع من المشبه، فإن ذلك ليس مطردا، بل قد يكون التشبيه بالمثل بل بالدون والأقل كما فى قوله تعالى: **﴿مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾** فأين يقع نور المشكاة من نوره تعالى؟ فالمراد من المشبه به أن يكون شيئا ظاهرا واضحا، وتعظيم إبراهيم وآله بالصلاة عليهم مشهور واضح عند جميع الطوائف، ويؤيد ذلك ختم الدعاء المذكور بقوله **﴿فى العالمين﴾**، فليس فى إلحاق الناقص بالكامل، بل إلحاق مالم يشتهر بما اشتهر. قال النووى: أحسن الأجوبة ما نسب إلى الشافعى ـ وقد تقدم ـ وأن التشبيه لأصل الصلاة بأصل الصلاة وليس للقدر بالقدر، وأن التشبيه للمجموع بالمجموع، فمجموع آل إبراهيم أفضل من مجموع آل محمد، لأن فى آل إبراهيم أنبياء لا يحصون بخلاف آل محمد فليس فيهم نبى.

هذا، وهناك كلام آخر فى هذا التشبيه وسببه كما قال الحليمى، أن الملائكة قالت فى آل بيت إبراهيم **﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد﴾** وقد علم أن محمدا وآل محمد من أهل إبراهيم فكأن النبى ﷺ قال: قولوا: **اللهم أجب دعاء الملائكة الذين قالوا ذلك فى محمد وآل محمد كما أجبتها عندما قالوها فى آل إبراهيم الموجودين حينئذ.**

كشف الجبهة فى السجود

السؤال من القارئة/ فتحية مبارك، بمحافظة الاسكندرية، تقول:

هل يجب أن تكون الجبهة مكشوفة عند السجود، وما الحكم فيما لو جاء طرف الخمار على موضع السجود فسجدت عليه؟

الجواب: الأعضاء التى يتحقق بها السجود فى الصلاة سبعة، اليدان، والركبتان، والقدمان، والجبهة، وهى كلها من العورة فى الصلاة بالنسبة للمرأة، يجب سترها على خلاف فى القدمين عند بعض الفقهاء، وذلك فيما عدا الجبهة فلا يجب سترها، لأن الوجه ليس بعورة فى الصلاة وكذلك الكفان، لكن هل يجوز سترها أولا؟

الأئمة الثلاثة أبو حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل قالوا: يجوز سترها بحيث لا تلمس موضع السجود وهى مكشوفة، والإمام الشافعى قال: يجب كشفها ولا يجوز أن يحول بينها وبين موضع السجود حائل.

وعلى رأى الجمهور يجوز السجود على جزء من الملبوس الذى يتحرك بحركة المصلى، كالكم وطرف الثوب وطرف الخمار، وكوْر العمامة التى يلبسها الرجال، ودليلهم على هذا ما رواه البخارى ومسلم عن أنس قال: كنا نصلى مع النبى ﷺ فيضع أحدنا طرف الثوب من شدة الحر مكان السجود، كما قاسوا الجبهة على بقية أعضاء السجود، حيث يصح السجود وهى مستورة.

وممن رخص فى السجود على طرف الثوب عطاء وطاووس من التابعين، وكذلك النخعى والشعبى والأوزاعى، وذلك لاتقاء شدة الحر والبرد من الرمل أو الحصباء التى يسجدون عليها، ورخص أيضا فى السجود على كور العمامة ومثله طرف الخمار الحسن البصرى، ومكحول وعبدالرحمن بن زيد، وسجد شريح القاضى على بُرْنسه، والبرنس هو كل ثوب رأسه منه ملتزق به، من دراعة أو جبة أو ممطر أو غيره، وقال الجوهرى: هو قلنسوة طويلة كان النُسّاك يلبسونها فى صدر الإسلام، وهو من البرس - بكسر الباء - وهو القطن، والنون زائدة، وقيل إنه غير عربى كما فى «النهاية» لابن الأثير. وما روى أن النبى ﷺ سجد على كور العمامة فسنده ضعيف، والاستدلال هو القياس على طرف الثوب المتقدم ذكره.

ودليل الشافعى على وجوب كشف الجبهة حديث مسلم عن خباب قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ حَرَّ الرمضاء فى جباهنا وأكفنا فلم يشكنا - يعنى لم يزل شكوانا بالترخيص بالسجود على حائل يقينا حرارة الأرض كما قال فى الاستدلال على ذلك: لو سجد على ماهو حامل له لأشبه ما إذا سجد على يديه أى وضع جبهته على يديه وهو ممنوع.

قال ابن قدامة فى «المغنى ج١ ص٥٦١ - ٥٦٢» المستحب مباشرة المصلى بالجبهة واليدين ليخرج من الخلاف ويأخذ بالعزيمة، قال أحمد: لا يعجبنى - أى الستر - إلا فى الحر والبرد.. وكان ابن عمر يكره السجود على كور العمامة، وكان عبادة بن الصامت إذا قام إلى الصلاة يحسر عمامته - أى يكشف جبهته بإزاحة العمامة عنها. وقال النخعى: أسجد على جبهتى أحب إلى.

فالخلاصة أن الجمهور على جواز السجود على طرف الثوب والكم والخمار وكور العمامة، ولكن يكره إلا عند الحاجة كشدة الحر والبرد على موضع السجود. أما الشافعى فلا يرى جواز ذلك أبدا. ورخص فى المنديل الذى يحمله فى يده أن يضعه ليسجد عليه، كما رخص فى ستر الجبهة لعذر كجراحة يخاف من نزع العصابة أو الساتر حصول مشقة. أما السجود على اليد أو اليدين فلا يجوز وتبطل الصلاة به عند الجمهور. وأبو حنيفة رخص فيه مع الكراهة «انظر فقه المذاهب الأربعة نشر وزارة الأوقاف».

التفريج بين القدمين فى الصلاة

السؤال من القارئ/ عزت عبد المجيد، من محافظة الشرقية، يقول:

نرى بعض المصلين يفرجون بين أقدامهم بدرجة كبيرة، وإذا كانوا فى جماعة ألصقوا أرجل بعضهم بأرجل البعض الآخر، فتتسع المسافة بين قدمى المصلى بصورة لافتة للنظر، فما حكم الدين فى ذلك؟

الجواب: إذا كان الإنسان يصلى إماما أو منفردا كان من السنة ألا يضم قدميه عند القيام فى الصلاة بل يفرج بينهما، وذلك باتفاق الأئمة، أما المسافة بين القدمين فقدرها الحنفية بأربع أصابع، فإن زاد أو نقص كان مكروها، وقدرها الشافعية بشبر، وقال المالكية والحنابلة: يكون التفريج متوسطا، بحيث لا يضم القدمين ولا يوسعهما كثيرا حتى يتفاحش عرفا.

وإذا كان المصلى مأموما فى صف فمن السنة سد الفرج وتراص الصفوف، جاء فى حديث رواه البخارى ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال: أقيمت الصلاة فأقبل علينا رسول الله ﷺ بوجهه فقال: **«أقيموا صفوفكم وتراصوا فإنى أراكم من وراء ظهرى»**، وجاء فى رواية البخارى: فكان أحدنا يلزق منكبه بمنكب صاحبه وقدمه بقدمه، وجاء فى رواية أبى داود وابن خزيمة فى صحيحه عن النعمان بن بشير قوله: فلقد رأيت الرجل منا يلزق منكبه بمنكب صاحبه وكعبه بكعبه.

والكعب هو العظم الناتئ فى جانبى الرجل عند ملتقى الساق بالقدم، لأنه هو الذى يمكن أن يلزق بالذى بجنبه، والقول بأن الكعب هو مؤخر القدم قول شاذ ينسب إلى بعض الحنفية، ولم يثبته محققوهم كما جاء فى «فتح البارى لابن حجر ج٣ ص١٤٧».

والزاق أو لزق المناكب يتبعه بسهولة إلزاق الكعوب، لكن لو تباعدت المناكب اقتضى إلزاق الكعوب التفريج بين الأقدام بمسافة كبيرة تتفاحش عرفا كما يقول المالكية والحنابلة، وتزيد على الشبر كما يقول الشافعية، وعلى الأصابع الأربعة كما يقول الحنفية وذلك مكروه.

وقد يحرص بعض الأشخاص على إلزاق الكعوب على الرغم من تفاحش المسافة بين قدميه، فهو يريد فعل سنة فيقع فى مكروه، إلى جانب مضايقته لمن يجاوره، الذى يحاول ضم قدميه لكنه يلاحقه ويفرج بين قدميه بصورة لافتة للنظر، وقد يضع رجله ويضغط عليها، ومضايقة المصلى تذهب خشوعه أو تقلله، والإسلام نهى عن الضرر والضرار.

وتضرر بعض المصلين من إلزاق جاره رجله برجله ذكره أحد رواة الحديث ـ وهو معمر ـ فيما أخرجه الإسماعيلى، حيث قال: «ولو فعلت ذلك بأحدهم اليوم لنفر كأنه بغل شموس. فأرجو التنبه لذلك إبقاء على المودة ومساعدة على الخشوع فى الصلاة.

الالتزام بمذهب معين فى الزواج

السؤال من القارئ/ تاج الدين سليمان، من طنطا بمحافظة الغربية يقول:

هل الالتزام فى الزواج بمذهب من المذاهب واجب بمعنى أنه يمنع الأخذ من المذاهب الأخرى فى الزواج والطلاق؟

الجواب: جاء فى كتاب «بيان للناس من الأزهر الشريف» أن هناك خلافات للعلماء فى بعض الأحكام الفقهية الفرعية، وأنه لا يجوز التعصب لرأى اجتهادى غير مجمع عليه، ومن ليس عنده استعداد للاجتهاد فى مسألة عليه أن يسأل من له علم بها. ويجوز له أن يقلد أى مذهب من المذاهب المعروفة، ولا يلتزم بمذهب معين لأنه يعتبر عاميا، والعامى لا مذهب له.

وشرط التقليد للمذاهب ألا يكون موقعا فى أمر يجتمع على إبطاله كل المذاهب، كأن يتزوج بغير صداق ولا ولى ولا شهود، وألا يكون شأنه التقاط رخص المذاهب أينما وجدها.

ومن الأصول المعروفة أن حكم الحاكم يرفع الخلاف، بمعنى أن الحاكم إذا اختار رأيا من الآراء الفقهية المختلفة وجب الأخذ به، وبخاصة عند التخاصم والتقاضى، وصار قانونا يسرى على الجميع، منعا للبلبلة والاضطراب.

وفى موضوع الزواج يتم العقد بين الطرفين بمعرفة المختصين العارفين بالقانون ولاداعى فيه لذكر مذهب معين كأبى حنيفة وغيره، ومن أراد التوسعة فى المعرفة فليرجع إلى الجزء الثانى من كتاب «بيان للناس» المشار إليه.

تجـــويد القـــرآن

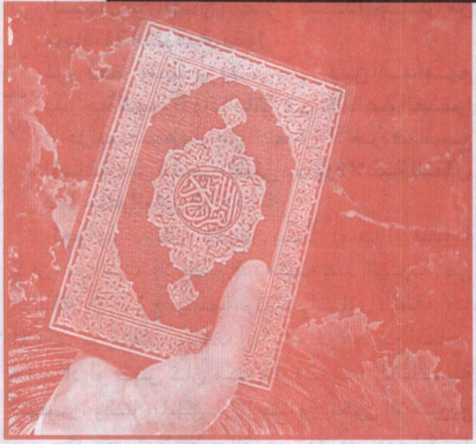

السؤال مـن القارئ/ ماهر أحمد محمد، من مصر القديمة، يقول: أنا أحب قراءة القرآن الكريم مباشرة من المصحف، دون أن أتلقاه من معلم، وفى بعض الأحيان يتغير نطقى ببعض الحروف، لكن بعض العلماء قال: لابد من تجويد القراءة، والقراءة بدون التجويد حرام، فهل هذا صحيح، مع علمنا بأن الإسلام دين اليسر، ورحمة الله واسعة؟

الجواب: سبق نشر الإجابة على هذا السؤال فى أكثر من عدد من المجلة، وهذه هى خلاصتها:

قـال علمـاء التـجـويد: تجـويد القـرآن الكريم مطلوب من كل من يريد قراءته، لقوله تعالى: **﴿ورتل القـرآن ترتيـلا﴾** المزمل: آية ٤، وقـولـه: **﴿ورتلناه ترتيـلا﴾** الفـرقـان: آية ٣٢، وقـول النبى ﷺ فـيـمـا أخرجه ابن خزيمة فى صحيحه عن زيد بن ثابت **«إن الله يحب أن يقرأ القرآن كما أنزل»**، وقد سئل الإمام على رضي الله عنه عن معنى الترتيل فقال: هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف، وفسر صاحب «النشر» هذا المعنى فقال: التجويد هو حلية القراءة، ويكون بإعطاء كل حرف من حروف الهجاء حقه ومستحقه، أى أنه يجب أن تكون حروفه مرتبة، ويردُّ كل حرف إلى مخرجه وأصله، وبلطف النطق على كمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف، ولا إفراط ولا تكلُّف، والوقف هو قطع الصوت على آخر كلمة زمنا يتنفس فيه القارئ. أهـ.

وقال ابن عباس فى تفسير الآية الأولى: معنى (رتل القـرآن) بيِّنه، وقـال مـجـاهد: تأنَّ فـيـه، وقـال الضحاك: انبذه حرفا حرفا - يعنى تلفظ به - وتلبَّثْ فى قراءته وتمهل فيها، وافصل الحرف من الحرف الذى بعده. وقال الإمام الغزالى فى كتابه «الإحياء»: تلاوة القرآن حق تلاوته هى أن يشترك فيها اللسان والعقل والقلب، فحظُّ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل، وحظ العقل تفسير المعانى، وحظ القلب الاتعاظ والتأثر.

وهذا التـجـويد يتنافى مع اللحن الذى هو الميل عن الصواب، وهو قسمـان: القسم الأول لحن جلى واضح إذا كان فيه إبدال حرف بحرف أو حركة بحركة، بحيث يكون هناك إخلال بالمعنى، كالذى ينطق التـاء فى «يقنت» طاء «يقنط» لأن القنوت معناه الطاعة والدعاء، والقنوط معناه اليأس، وكـالذى يضم تاء «أنعمت عليـهم» لأن المنعم هو المطلوب منه الهـداية، وليس القـارئ هو المنعم. والقسم الثانى لحن خفى لا يدركه إلا المختصون من العارفين بأحكام القراءة، وهو يخل بالأداء ولا يخل بالمعنى، مثل قصر الممدود، وإظهار المدغم وتفخيم المرقق وهكذا.

وإذا كان التجويد مطلوبا فما هى درجة الطلب؟ هل هى الوجوب بحيث يكون المقصر آثما يستحق العقوبة، أو هى الندب والاستحباب، بحيث لا يأثم تاركه ولا يعاقب.

يقول ابن الجزرى:

والأخذ بالتجويد حتم لازم
من لم يجوِّد القرآن آثم

لأنه به الإله أنزلا

وهكذا منه إلينا وصلا

قال المحققون: التجويد الذى يحمى من اللحن الجلى واجب، وتعمد هذا اللحن حرام، لأن فيه عبثا بكلام الله واستهزاء بآياته، وفيه كذب وافتراء عليه، سواء من جهة النطق أو من جهة المعنى، والله يقول: **﴿إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾** النحل: آية ١١٦، وقال بعض العلماء إنه كفر بواح «الموسوعة الفقهية بأوقاف الكويت: المجلد ٣٥ صفحة ٢١٤».

وأما التجويد الذى يحمى من اللحن الخفى فهو مستحب ولا يأثم تاركه، وقيل: يأثم عند تعمد هذا اللحن.

والخلاصة أن الذى يريد أن يقرأ القرآن ليثاب على قراءته لابد له من إخراج كل حرف من مخرجه، مثل الذال والزاى، والتاء والطاء، ولابد من مدِّ الحرف الممدود ولو بحركتين.

والتقصير فى ذلك إثم كبير، ومن يرد الزيادة فى الثواب فيستحب له معرفة الأحكام الأخرى، ويستعان على ذلك بالتلقى عن المختصين، وبخاصة أن كتابة المصحف الموجود الآن تخالف الكتابة الإملائية التى تعلمناها، وهذا التلقى ميسر جدا، يشهد بذلك الآلاف والملايين فى كل عصور التاريخ، والكتاتيب التى أدت دورها على أحسن وجه يكون.

ولا معنى لما جاء فى السؤال من سماحة الإسلام ويسره، فمن القواعد المقررة: درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، ومن أراد الاستفادة من القرآن تلاوة فليكرر ما يحفظه جيدا، ولو قليلا من السور والآيات، أما الثقافة فتمكن بالنظر والتصفح دون تلاوة، وأؤكد أن المحافظة على قدسية القرآن أمر مجمع عليه إلى جانب النصوص المذكورة، والمخالفة تؤدى إلى التحريف فى كلام الله، وهو أمر خطير.

نقض الوضوء بخروج الريح

السؤال من القارئ/ عصام حسن محمد، من الهرم بمحافظة الجيزة، يقول:

الشائع بين الناس أن الريح الخارج من بطن الإنسان يخرج من الدبر، ومن أحكامه أنه ينقض الوضوء، فهل لو خرج ريح من القبل أو الفرج ينقض أيضا الوضوء؟

الجواب: جاء فى «مغنى اللبيب» لابن قدامة المتوفى سنة ٦٢٠هـ» ج١ ص١٦٢ ما نصه: نقل صالح عن أبيه فى المرأة يخرج من فرجها الريح: ما خرج من السبيلين ففيه الوضوء، وقال القاضى: خروج الريح من الذكر وقُبُل المرأة ينقض الوضوء. وقال ابن عقيل: يحتمل أن يكون الأشبه بمذهبنا فى الريح يخرج من الذكر ألا ينقض، لأن المثانة ليس لها منفذ إلى الجوف، ولا جعلها أصحابنا جوفا، ولم يبطلوا الصوم بالحقنة فيه، ولا نعلم لهذا وجودا، ولا نعلم وجوده فى حق أحد.

وقد قيل: إنه يعلم وجوده بأن يحس الإنسان فى ذكره دبيبا، وهذا لا يصح، فإن هذا لا يحصل به اليقين، والطهارة لا تنتقض بالشك، فإن قُدِّر وجود ذلك يقينا نقض الطهارة، لأنه خارج من أحد السبيلين فنقض، قياسا على سائر الخوارج. انتهى.

وجاء فى «كفاية الأخيار» فى فقه الشافعية «ص٢٩» ما نصه: الخارج من السبيلين وهما القبل والدبر ناقض للوضوء، عينا كان أو ريحا، معتادا كان أو نادرا، كالدم والحصى، نجس العين كان أو طاهرا كالدود، والأصل فى ذلك قوله تعالى: **﴿أو جاء أحد منكم من الغائط﴾** وسئل أبو هريرة رضي الله عنه عن الحدث فقال: فُساءٌ أو ضراط، رواه البخارى، وذلك عندما روى حديث **«لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ»**.

ويشترط فى النقض بالريح التأكد من خروجه بصوت أو ريح كما ثبت فى عدة أحاديث «إذا كان أحدكم فى الصلاة فوجد ريحا من نفسه فلا يخرج حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا» وعند أبى حنيفة وصاحبيه ومالك والشافعى فى أحد قوليه أن الصلاة لا تفسد إذا سبقه الحدث ولم يتعمد خروجه «نيل الأوطار للشوكانى ج١ ص٢٠٨، ٢٠٩».

لعق الإناء

السؤال من القارئ/ أسامة رمضان الأقرع، من طنطا، بمحافظة الغربية، يقول:
هل هذا الحديث صحيح «الإناء يستغفر لمن يلعقه» والفرق بينه وبين الحديث الذى يقول «إذا أكلتم فأفضلوا».

الجواب: روى مسلم عن جابر أن النبى ﷺ أمر بلعق الأصابع والصحفة وقال: **«إنكم لا تدرون فى أى طعامكم البركة»**، والمقصود منه تنظيف الإناء وعدم ضياع شىء من الطعام، وأكد الرسول ﷺ ذلك بأن الإناء يستغفر للاعقه كما جاء فى عدة روايات.

وقد سئل بعض العلماء عن هذا الحديث وعن حديث «**إذا أكلتم فأفضلوا**» فقال ما نصه: هذا لا أصل له «مجلة الإسلام - المجلد الرابع - العدد ٣٦» ومن أراد زيادة توضيح فليرجع إلى «أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام» المجلد الأول.

لغة سيدنا يوسف عليه السلام

السؤال من قارئ، من محافظة القاهرة، يقول:
ما اللغة التى تحدث بها سيدنا يوسف والحوار الذى دار بينه وبين امرأة العزيز، هل كان بالعربية كما جاء فى سورة يوسف؟

الجواب: يقول الله سبحانه: **﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾** إبراهيم: آية ٤، والرسول ﷺ أرسل إلى الناس كافة، فكان يرسل كتبه إلى الملوك باللغة العربية مع من يحسن ترجمتها إلى لغاتهم.

ورسالة يوسف عليه السلام كانت فى مصر، فمن الطبيعى أن يكون التفاهم فيها باللغة المصرية هذا ما أعرفه، فإن كان هناك غير ذلك فاسأل أيها السائل أهل الذكر، وليس من الضرورى أن تعرف الجواب، فهناك ماهو أولى وأهم وبخاصة فى ظروفنا الحاضرة.

راتب من صاحب عمل مسيحى

السؤال من القارئ/ مسعود محمدين فتحى، يقول:
ما الحكم فى مرتب يتقاضاه زميل لنا مسلم من صاحب شركة مسيحى؟

الجواب: إذا كان العمل الذى يزاوله المسلم عند صاحب دين آخر حلالا كان له أجره عليه، حتى لو كانت ميزانية الشركة مخلوطة الحلال مع الحرام، وذلك لتعذر فصل المال الحرام من الحلال، كما قال الإمام الغزالى فى كتابه «الإحياء» وذلك أن أثمان الخمور ودراهم الربا المأخوذة من أيدى أهل الذمة مختلطة بالأموال، ومن يوم أن نهى الرسول ﷺ عن الربا فى حجة الوداع ماترك الناس الربا بأجمعهم كما لم يتركوا شرب الخمور ولا تركوا المعاصى، وأدرك أصحاب الرسول ﷺ الأمراء الظلمة ولم يمتنع أحد منهم عن الشراء والبيع فى السوق بسبب نهب المدينة، والأكثرون لم يمتنعوا عن تلك الأموال مع الاختلاط وكثرة الأموال المنهوبة فى أيام الظلمة.

ثم يقول الغزالى: لو منع ذلك لانسد باب جميع التصرفات وخرب العالم، إذ الفسق يغلب على الناس ويتساهلون بسببه فى شروط البيع فى العقود ويؤدى ذلك إلى الاختلاط، ولو قيل إن الحرام كثر عن أيام السلف فيجب ترك المختلط بالحلال الآن أقول: ليس حراما، وإنما الورع تركه (انظر المجلد الرابع من أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام).

فى العقيقة

السؤال من القارئ/ إبراهيم أحمد على، من محافظة القاهرة، يقول:
لم أعق عن ولدى وابنتى وهما صغيران فهل يجوز أن أجمع بين العقيقتين بشىء كبير واحد؟

الجواب: لا مانع من عمل عقيقتين للولد والبنت فى أى وقت، وأقل ما يمكن فى ذلك شاة للولد وشاة للبنت، وإذا أراد أن يجمع بينهما فى ذبيحة واحدة فلتكن من البقر أو الجاموس إذا بلغ سنتين ودخل فى الثالثة حيث تكفى الواحدة عن سبعة أشخاص، كما يتبع ذلك فى الأضاحى والكفارات.

من أخلاق الرسول ﷺ

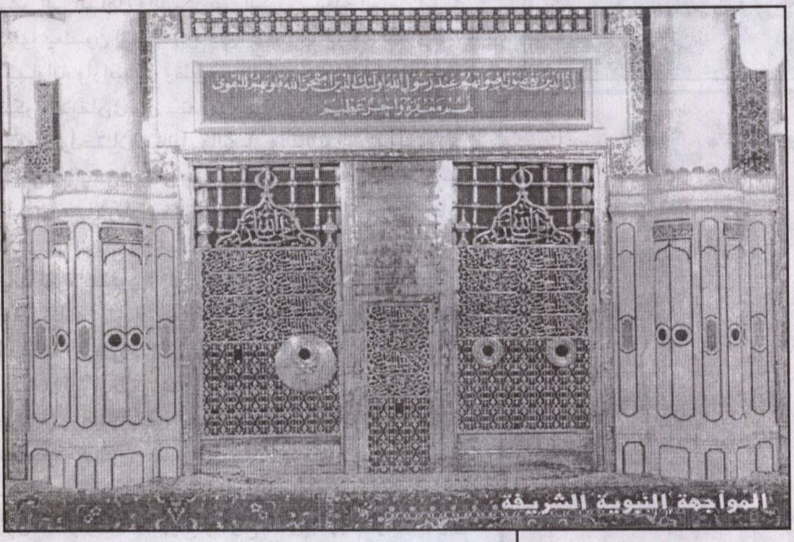
المواجهة النبوية الشريفة

للقارئة بنت الريف نادية عبدالرازق أحمد - البحيرة - كفر الدوار - كوم البركة.

يقول الرسول ﷺ: **«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدى لواء الحمد لا فخر، وما من نبى يومئذ فمن سواه إلا تحت لوائى وأنا أول من تنشق عنه الأرض وأنا أول شافع وأول مشفع»**، حديث صحيح أخرجه أحمد وابن ماجة، ولقد زكى الله - سبحانه - سيدنا محمد ﷺ فزكى عقله وقال: **﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾** النجم: آية ٣، وزكى لسانه فقال: **﴿وما ينطق عن الهوى﴾** النجم: آية ٥، وزكى جليسه فقال: **﴿علمه شديد القوى﴾** النجم: آية ٣، وزكى فؤاده فقال: **﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾** النجم: آية ١١، وزكى بصره فقال: **﴿مازاغ البصر وما طغى﴾** النجم: آية ١٧، وزكى صدره فقال: **﴿ألم نشرح لك صدرك﴾** الانشراح: آية ١، وزكى الرسول كله فقال: **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾** القلم: آية ٤، كان خلق الرسول ﷺ القرآن الكريم يسخط لسخطه ويرضى لرضاه لا ينتقم لنفسه ولا يغضب لها إلا أن تنتهك حرمات الله فيغضب لله، وكان أصدق الناس لهجة وأوفاهم ذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة وأشد حياء من العذراء فى خدرها، أكثر نظره «التفكير» لم يكن فاحشا ولا لعانا ولا يجزى السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح، من سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول، ليس بفظ ولا غليظ، **﴿ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾** لا يقطع على أحد حديثه حتى يتعدى الحق فيقطعه بنهى أو قيام، لا يكذب قائلا ولا يحقد عليه ولا يستحلفه بيمين وكان يحفظ جاره ويكرم ضيفه، ولا يمض له وقت فى غير العمل لله أو فيما لابد منه، يحب التفاؤل ويكره التشاؤم وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثما، يحب إغاثة الملهوف ونصرة المظلوم، وكان يحب أصحابه ويشاورهم ويتفقدهم فمن مرض عاده ومن مات دعا له، يقبل معذرة المعتذر إليه والقوى والضعيف عنده فى الحق سواء وكان يمزح ولا يقول إلا حقا وكان رحيما بأمته إلى أقصى ما تكون الرحمة كما قال عنه رب العزة - سبحانه - **﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾** التوبة: آية ١٢٨.

العلم وأدواته فى القرآن الكريم

للقارئ/ أحمد جمال الدين عزام ـ المطرية ـ دقهلية.

كرم الله ـ سبحانه ـ العلم وكرم أدواته فكان أول شىء أقسم به الله ـ تعالى ـ تكريماً له القلم فقال ـ جل جلاله ـ: **﴿ن والقلم ومايسطرون﴾** وجاء هذا القسم فى القرآن الكريم تاريخيا قبل القسم بالأجرام الكبرى المضيئة فى الكون مثل الشمس والقمر والنجوم، فقدم نور العلم وهديه على نور الكواكب وهديها؛ فالقرآن يدعو إلى التأمل والتفكر فى الكون ليتعلم الناس ما لم يكونوا يعلمون لتسخيره فى حياتهم، وجعل الكون كله بسماواته وأراضيه وظواهره الطبيعية والبشرية مادة للفكر والإيمان؛ قال ـ تعالى ـ: **﴿إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾** البقرة: آية ١٦٤، وقوله ـ سبحانه ـ: **﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين﴾** الروم : آية ٣٢، يدعونا الله للتأمل فى تعاقب الليل والنهار لنتعلم من حركة دوران الفلك وكذلك يدعونا للتأمل فى البحر لنتعلم منه قانون طفو الأجسام على الماء ولنتعلم أيضاً وسائل السفر والتجارة والنقل كما نتعلم من الآية أسباب نزول المطر وسير الرياح وأنواع الدواب ويدعونا القرآن الكريم للتفكر فى اختلاف ألسنتنا وألواننا وفى هذا إشارة إلى علم الأجناس واللغات، فالإسلام دين يحث الناس على التأمل والاستقراء والبحث والمعرفة عن طريق العقل والتجربة.

* * *

من أجل التأمل والتفكر والبحث والمعرفة والتجربة قدم الله ـ جل جلاله ـ العلم على كل الأجرام السماوية والأرضية واختلاف الأجناس والألوان؛ لأن الإنسان دون علم وكتابة لاتأتى معرفته بكل هذا، فالعلم أساس المعرفة وأصل التفكر والتدبر واستعمال العقل، فكيف نستعمل عقولنا وأفكارنا إذا لم يكن هناك علم ومعرفة تسبق كل هذا؟ ولابد من أدوات العلم حتى لايضيع العلم من غير التدوين فى زحمة الحياة الزاخرة بصنوفها وألوانها.

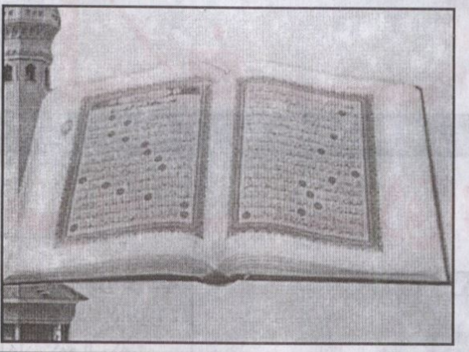

من.. ومن؟

للقارئ/ محمد عباس محمد عرابى ـ الطائف.

من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن نظر فى العواقب نجا، ومن أطاع هواه ضل، ومن لم يحلم ندم، ومن صبر غنم، ومن خاف رحم، ومن اعتبر أبصر، ومن فهم علم، الدنيا: دار أولها عناء وآخرها فناء، فى حلالها حساب وفى حرامها عقاب، من افتقر فيها رهق ومن استغنى فيها فسق، قالوا: الكريم من كف أذاه والقوى من غلب هواه، مكانة المرء تصنعها مكارمه، من جهل قدر نفسه كان بقدر غيره أجهل، ما رزق العبد رزقا أوسع له من الصبر، وقال الشاعر:

إذا قل مال المرء لانت قناته
وهان على الأدنى فكيف الأباعد؟

وقال آخر:

حياك من لم تكن ترجو تحيته
لولا الدراهم ما حياك إنسان

ذكاء امرأة عربية، جىء بامرأة إلى الحجاج وكان جنده قد أسروا زوجها وابنها وأخاها، فقال لها الحجاج: اختارى أحدهم فأطلقه معك، فقالت: ياأمير المؤمنين: أما الزوج فهو موجود وأما الابن فهو مولود ولكن الأخ مفقود، لذا فإنى اخترت الأخ، فأعجب الحجاج بذكائها وحسن كلامها، وكافأها بإطلاقهم جميعا، **فصاحة امرأة عربية:** سئلت امرأة عربية عن حاجة لم تكن عندها فى بيتها فلم تستجب، فقيل لها" بخلت؟ فقالت: بيتى يبخل لا أنا، تعنى أن البخل ليس من أخلاقها ولكن ليس فى بيتها شىء تجود به، فصار قولها مثلا.

خصال الجهل: أربعة من خصال الجهل: من غضب على من لايرضيه وجلس إلى من لايدنيه وتفاقر إلى من لا مالا يغنيه وتكلم بمالا يعنيه.

الأمانة

للقارئ/ محفوظ محمد عليمى ـ أبوريشة ـ كفر الشيخ ـ خريج معهد الدعاة بكفر الشيخ.

الأمانة من تكاليف الإسلام وهى من صفات النبيين والصديقين والصالحين، يقول الله ـ تعالى ـ: **﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾** النساء: آية ٥٨، كما وصف الله بها المؤمنين المخلصين فقال فى سورة المؤمنون: **﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾**، وقال سبحانه فى سورة البقرة: **﴿فليؤد الذى ائتمن أمانته وليتق الله ربه﴾**، ولقد نهجت السنة نهج القرآن فوصى بها النبى ﷺ فقال: **«أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك»**، وقد سأل رجل النبى ﷺ عن أشد شىء فى الدين وألينه؟ فقال له الرسول ﷺ: **«ألين شىء فى الدين شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأشد شىء فيه هو الأمانة»** رواه البزار عن على رضي الله عنه وعن عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن النبى ﷺ قال: **«أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة واحدة كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر»** رواه البخارى فى مسنده، ولقد جاء رجل إلى النبى ﷺ يسأله عن الساعة فرد عليه النبى ﷺ قائلا: **«إذا ضيعت الأمانة فانتظروا الساعة»** وفى البخارى قال ﷺ: **«من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو شىء فليتحلله من اليوم قبل أن لا يكون درهم ولا دينار إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحملت عليه»**، وقال العلماء: التحلل هو أداء الحق، ويؤتى بخائن الأمانة يوم القيامة بين يدى الله فيقول له الحق تبارك وتعالى ـ: **«أد الأمانة إلى صاحبها؛ فيقول: كيف يارب وقد فنت الدنيا؟ فيقال له: إنها فى هذه البئر فينظر فيهوى به فى البئر سبعين خريفا».**

***

هذه هى الأمانة كما نصت عليها الشريعة الإسلامية وتحدثت عنها السنة المحمدية، فالأمانة لها قدرها العظيم ومكانها الجليل والخائن يخافه المجتمع وينفر منه الجميع فلا يجد له صديقا ولا رفيقا، ومادام قد خان الأمانة فلابد أن يقع فى الكذب وربما دعته يداه إلى السرقة، لأن الأخلاق الفاضلة قد انعدمت عنده فلم يعد لديه وازع من دين أو خلق أو مروءة ولهذا حذرت منه الشريعة الإسلامية لأنه أصبح خطرا على المجتمع والناس وبات منافقا.

معنى التواضع

للقارئ/ خيرى محمد إبراهيم أبو الروس - إمام وخطيب بالمسجد الكبير - كفر الجرايدة - بيلا - كفر الشيخ.

التواضع صفة محمودة ينبغى أن تكون فى كل مؤمن ومؤمنة، والتواضع أن تخفض جناحك للمسلمين كما قال المولى - عز وجل -: ﴿**وعباد الرحمن الذى يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما**﴾ الفرقان: آية ٦٣، والتواضع أن لا ترى لنفسك قيمة فليس من التواضع نصيب؛ ولقد سئل الفضيل بن عياض عن التواضع فقال: أن تخضع للحق وتنقاد له وتقبله ممن قاله، وقال إبراهيم بن شيبان: التواضع هو قبول الإنسان للحق ممن كان والعز فى التواضع؛ فمن طلبه فى الكثير فهو كطلب الماء من النار والشرف فى التواضع والعز فى التقوى والحرية فى القناعة، ولقد قال سفيان الثورى - رحمه الله - أعز الخلق خمسة أنفس: عالم زاهد وفقيه صوفى وغنى متواضع وفقير شاكر وشريف سنى، وقال عروة بن الزبير بن العوام - رضى الله عنهما - رأيت عمر بن الخطاب ﷺ مرة فدنا عبدالله بن عباس ابن عم رسول الله ﷺ فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بكبرائنا، فقال: أرنى يدك وأخرجها إليه فقبلها وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت رسول الله ﷺ فيأمة الإسلام ويأمة خير الأنام سيدنا محمد - عليه الصلاة والسلام - تواضعوا للمتواضعين وتكبروا على المتكبرين فإن ذلك إذلالهم.

***

التواضع أن يعرف الإنسان قدر نفسه فلا يبخسها حقها ولا يرفع من قيمتها أكثر مما يجب وألا يتعالى على الناس مهما كانت قيمتهم فالإنسان لا يفضل غيره إلا بالتقوى والعمل الصالح والناس بحكم الحياة الاجتماعية واتصالاتهم الشخصية وارتباطاتهم لا يستغنى بعضهم عن البعض الآخر، فالله - جل جلاله - يقول فى محكم التنزيل: ﴿**ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ فهذه الآية شاملة جامعة ولا تفرق بين إنسان وآخر من عباد الله أجمعين، والخلق فيهم الصالح والطالح والقوى والضعيف والغنى والفقير، وهذا له تأثيره بين جميع الناس.

مسابقة منبر الإسلام للحج والعمرة - شعبان ١٤٢٥هـ (١٢)

السؤال : وعلى هذا فإن المقاومة بهذا المعنى ليست إرهابا على الإطلاق. المقاومة موقف استنفارى دفاعى شرعى يأتى استجابة فطرية لمطلوبات الدفاع عن الذات.

من قائل هذه العبارة وفى أى مقال وردت؟

عنوان المقال : .... اسم الكاتب : ....

العنوان : ....

العمل : ....

اسم المتسابق : .... رقم التليفون : ....

تاريخ الميلاد : ....

رقم البطاقة : .... جهة الصدور : ....

املأ بيانات هذه البطاقة بعد معرفة الإجابة، واحفظها عندك لترسل إلينا جميع البطاقات مرة واحدة فى آخر أشهر المسابقة عسى أن تفوز برحلة للحج أو رحلة للعمرة. ومسابقة هذا العام تبدأ من شهر رمضان ١٤٢٤هـ حتى شعبان ١٤٢٥هـ

بريد التعارف

أهلاً

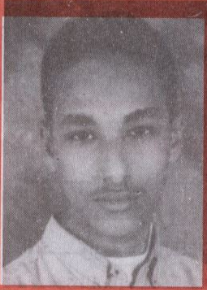

الاسم : رعد إسماعيل محمد
الهواية : الاطلاع وحفظ القرآن الكريم
العنوان : طما - محافظة سوهاج

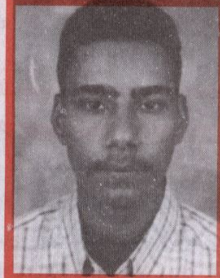

الاسم : مصطفى سيد محمد على
الهواية : حفظ القرآن الكريم
العنوان : المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية

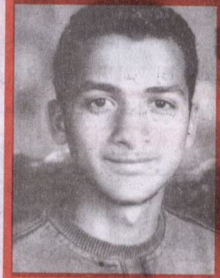

الاسم : محمد عبدالقادر الزنفلى
الهواية : الاطلاع وحفظ القرآن الكريم
العنوان: معهد أكوة - مركز ديرب نجم - محافظة الشرقية

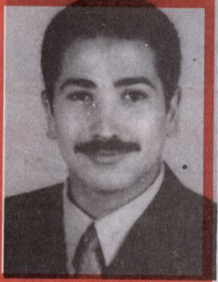

الاسم : هشام أحمد يحيى
الهواية : الاطلاع
العنوان : مدرسة العلم والإيمان - كفر الزيات

الاسم : محمد ناجى أحمد السيد
الهواية : قراءة القرآن والمراسلة
العنوان : قرية بردونة الأشراف - بنى مزرار محافظة المنيا

الاسم : عبدالفتاح حسين عبدالفتاح
الهواية : الإنشاد الدينى والخطابة
العنوان : ٣ ش صالح عبدالرحمن - حلمية الزيتون - القاهرة

الاسم : محمد عبدالحميد إبراهيم
الهواية : القراءة ونظم الشعر
العنوان : قرية العدلية - مركز بلبيس - الشرقية

الاسم : مصطفى عبدالرحمن الوجيه
الهواية : حفظ القرآن والشعر
العنوان: شابور - شارع الحضارة

الاسم : أحمد أحمد عبدالواحد
الهواية : الاطلاع الدينى والثقافى
العنوان : ٣ ش صالح عبدالرحمن ـ حلمية الزيتون ـ القاهرة

الاسم : محمد عبدالرحمن عطية حبيب
الهواية : الوعظ والإرشاد وقراءة القرآن
العنوان : مدينة الصفا ـ عين شمس الشرقية ـ القاهرة

الاسم : محمد حسن عبدالفتاح عارف
الهواية : الوعظ والإرشاد والخطابة
العنوان : شارع عفيفى عفت ـ عين شمس ـ أحمد عصمت

الاسم : إبراهيم محمد إسماعيل
الهواية : الاطلاع وقراءة القرآن
العنوان : ش وسط البلد عرب الحصن المطرية ـ القاهرة

الاسم : محمود محمد محمود عبدالحميد
الهواية : الاطلاع وقراءة القرآن
العنوان : شارع الزعفرانى ـ أطسا ـ الفيوم .

الاسم : جمعة على موسى على
الهواية : الإطلاع وقراءة القرآن
العنوان : بنى سويف ـ ببا ـ غياض الغربية

الاسم : أسامة محمد سالم
الهواية : قراءة القرآن الاطلاع الدينى
العنوان: بورسعيد ـ الحرفيين ـ ع٢٣ شقة ٥

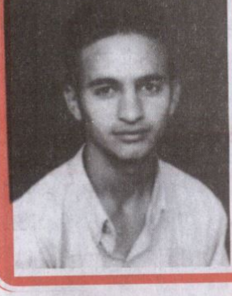

الاسم : محمود حامد فهيم محمود
الهواية : كتابة الشعر
العنوان : كفر أشليم ـ قويسنا ـ محافظة المنوفية

تعارف منبر الإسلام

الاسم : ....
الهواية: ....
العنوان: ....

ترجو المجلة من قرائها فصل الكوبون المجاور وملء بياناته وإرفاق الصورة به وإرساله إلينا

محتويات العدد

□ **كلمة التحرير**		١
□ **حديث الشهر** (تحويل القبلة: المغزى والحدث)	بقلم أ. د عبدالصبور مرزوق	٢
● انتظار المستحيل (شعر)	حسن أبو الغيط	٦
□ **القرآن الكريم وعلومه**		٧
● تفسير سورة الحاقة	أ. د. محمد سيد طنطاوى	٨
● قل هل يستوى الخبيث والطيب	أ. د. محمد محمد أبو ليلة	١٢
● منهج الجاحظ فى الدفاع عن القرآن الكريم	أ. د. عبدالرحيم الكردى	١٩
● كلمة الأستاذ الدكتور أحمد فتحى سرور فى الاحتفال بمولد السيدة زينب		٢٤
□ **دراسات فى السنة المطهرة**		٢٧
● جولة نقدية لكتاب: محمد المثل الكامل	أ. د. محمد رجب البيومى	٢٨
● تصحيح نسبة كتاب سيرة الحضرة النبوية	د. ضاحى عبدالباقى	٣٧
● تحويل القبلة مغزاه ومعناه	الشيخ فكرى حسن إسماعيل	٤٠
● أشهر الدعاة فى العصر الحديث: السيد محمد بن على السنوسى	أ. د. محمد إبراهيم الجيوشى	٤٣
□ **الأسرة فى التشريع الإسلامى**		٤٧
● الإسلام والشباب	أ. د. أحمد عمر هاشم	٤٨
● محاسن الإسلام ومزاياه فى تشريعات المرأة	أ. د. عبدالعظيم المطعنى	٥٣
● الإسلام وتنظيم الأسرة	د. سالم محمود عبدالجليل	٥٨
● موقف الإسلام من الحرب والسلام	الشيخ شوقى عبداللطيف	٦٢
□ **الحضارة والعلوم**		٦٥
● أثر البيئة فى السلوك	أ. د. محمد شامة	٦٦
● الصحة أمانة: الوقاية من سرطان المثانة	أ. د. عبدالمعبود عمارة	٧٢
● تحيا اللغة العربية.. ويرحم الله سيبويه	أ. د. محمد فتحى فرج بيومى	٧٦
● الإسلام ودوره فى التنمية الشاملة	أ. د. جمال رجب سيدبى	٨٢
● الماء فى التراث العربى	صلاح عبدالستار محمد الشهابى	٨٥
● عمر مكرم.. بطل المقاومة الشعبية	كمال عبدالوهاب	٩٠
● من أحكام التصوير فى الإسلام	رجب عبدالمنصف	٩٤
□ **الدعوة والدعاة**		٩٩
● من خلق المسلم: الحلم والصفح	الشيخ فوزى فاضل الزفزاف	١٠٠
● العمل ميدان الكسب ومحراب العبادة	الشيخ محمد عبدالمجيد زيدان	١٠٣
● الضوابط الشرعية للاستمتاع بالطيبات	أ. د. عبدالحكم الصعيدى	١٠٦
● الفن الإسلامى عبر ١٤٠٠ عام(٥) الخزف	سعاد بدوى ـ محمد كامل شاهين	١٠٩
● نافذة على المعلومات	إعداد: منى القاضى	١١٤
● مصر تحتضن وفد تلاميذ مسلمى البوسنة	مصطفى إبراهيم خيان	١١٦
● ندوة حقيقة الخلق وأكذوبة التطور	سعيد صالحة	١٢٠
● من وراء الأخبار	منير بيومى	١٢٤
● قطوف	إعداد: محمد سيد أحمد ـ خضرة رشاد	١٢٨
□ **أنت تسأل والفقيه يجيب**	فضيلة الشيخ عطية صقر	١٣٢
□ **مع القراء**	يحرره: حسين السكرى	١٣٩
□ **بريد التعارف**		١٤٢

يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أن يزود المكتبة الإسلامية والقارىء المسلم فى جميع أنحاء العالم الإسلامى بأمهات الكتب التى صدرت عن المجلس ومنها:

أمهات كتب التراث الإسلامى

- الأحاديث القدسية مع تعليق كبار العلماء
- صحيح البخارى الأجزاء من ١ : ١١
- سبل الهدى والرشاد الأجزاء من ١ : ١٢
- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار الأجزاء من ١ : ٤
- المقتضب للمبرد الأجزاء من ١ : ٤
- الوجوه والنظائر الأجزاء ١ : ٢
- مختصر سيرة ابن هشام الأجزاء ١ : ٢
- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز الأجزاء من ١ : ٦
- المعلم بفوائد مسلم الأجزاء١ : ٢
- إخلاص الناوى من ١ : ٤

المصحف الشريف

- المصحف الشريف طباعة المجلس ٢ لون بصمة ذهب
- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم «مجلد فاخر»
- المصحف المعلم ٣٨ شريطا للشيخ الحصرى
- المصحف المرتل ٢٢ شريطا للشيخ محمود خليل الحصرى
- المصحف المجود ٦٠ شريطا للقراء عبد الباسط عبد الصمد - مصطفى إسماعيل محمود على البنا - محمود خليل الحصرى

وهذه الكتب لكبار العلماء القدامى وكبار المحققين فى العالم الإسلامى:

- موسوعة الفقه الإسلامى الأجزاء من ١ : ٢٥
- الفتاوى الإسلامية مجلدات من ١ : ٢٠
- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون الأجزاء من ١: ٥

وتيسيرا على القارىء المسلم ومشاركة فى تزويد المكتبات الإسلامية بالمطبوعات التى صدرت عن المجلس، تباع هذه المطبوعات للجمهور بسعر التكلفة الفعلية، مع إجراء نسبة خصم للبيع بالنقد إذا زاد عدد النسخ المباعة على عشر للكتاب الواحد أما بالنسبة للهيئات الحكومية والمؤسسات العامة فيمكن البيع بالأجل على أقساط شهرية دون أية زيادة على أسعار التكلفة الفعلية.

مراكز البيع

القاهرة ٩ شارع النباتات - جاردن سيتى

مكتبة مسجد النور بالعباسية

٢ شارع الأمير قدادار المتفرع من ميدان التحرير

٧٦ شارع الجمهورية (شرائط القرآن الكريم)

الاسكندرية فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ٤٢ شارع سعد زغلول

مواعيد العمل من ٩ صباحا إلى ٢ ظهرا

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر